

التَّسْهِيلُ لِمَعْلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأْلِيفُ الْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ أَبِي الْفَاسِي
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ السَّكَلَكِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْفِرْنَاطِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشُّهُدَاءِ (٦٩٣ - ٥٧٤ هـ)

وَمَعَهُ تَفَرُّدَاتُ الْفَضِيلَةِ الشَّيخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَقَّعَ يَدَهُ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَمِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

مُخَيِّقُ

عَلِي بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِيِّ
عُضُوهُنَا الْفَائِزِينَ بِمَجْلَدِ الْفُرْقَانِ

المجلد الثالث
من الكهف إلى المؤمن



دار طبعة الخضراء
للنشر والتوزيع | صنع بطنجمة

التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأْلِيفُ الْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ أَبِي الْفَلَاسِمِ
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغُرَنَاطِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشُّهُدَاءِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعَهُ تَقَرَّرَاتُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُشْكَلَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسَّلَوُكِ
تَحْقِيقُ

عَلِيٌّ بْنُ حَمْدٍ الصَّبَاحِيِّ
عُضُوهُ هَيْئَةِ الدَّلِيلِينَ بِمَجَامِعِ لُغَةِ الْفَرَنْجِي

المجلد الثالث
مَرَّ الْكُفَّ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينفع به

حقوق الطبِّ مع محفوظات

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينفع به

0125562986 | yyy.01@hotmail.com



dar.taibaa



@dar.tg



dar.taibagreen123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986



﴿ سورة الكهف ﴾

[﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا ① ۖ فَيَسَا لِيُنْزِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② ۖ مَتَكَبِّرِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ ۖ وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④ ۖ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ⑤ ۖ فَلَمَّا كَانَتْ بَنَاجٌ نَفْسًا عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ⑥ ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَسْلُوهُمْ أَهْمُ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦ ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑧ ۖ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ⑨ ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ⑩ ۖ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑪ ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ⑫ ۖ ﴾].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ العبد هنا : هو النبي ﷺ ، ووصفه بالعبودية تشريفًا له ، وإعلامًا باختصاصه وقربه .

والكتاب : القرآن .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا ﴾ العوج بكسر العين : في المعاني التي لا تُحسُّ .

وبالفتح : في الأشخاص ، كالعصا ونحوها .

ومعناه: عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا: معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه.

وقيل: لم يجعله مخلوقاً.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿فَيَمَّا﴾ أي: مستقيماً.

وقيل: يَمَّا على الخلق بأمر الله تعالى.

وقيل: يَمَّا على سائر الكتب بتصديقها.

وانتصابه على الحال من ﴿الْكِتَابِ﴾، والعامل فيه ﴿أُنْزِلَ﴾.

ومنع الزمخشري ذلك؛ للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر، تقديره: جعله يَمَّا^(١).

﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾، أو بـ ﴿فَيَمَّا﴾، والفاعل به: ضمير الكتاب أو النبي ﷺ.

والبأس: العذاب.

وحذف المفعول الثاني^(٢) - وهو الناس -، كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ﴾...؛ لدلالة المعنى على المحذوف.

(١) انظر: الكشاف (٤٠٤/٩).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صواب العبارة: «وحذف المفعول الأول»؛ إذ المفعول الثاني مذكور وهو (بأساً). انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٦٣)، وحاشية الطيبي على الكشاف (٤٠٧/٩).

﴿مِنْ لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد على الله تعالى.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿مَكْنِيَّتٍ فِيهِ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿٣١﴾ هم النصارى؛ بقولهم ^(١) في عيسى، واليهود في عزيز، وبعض العرب في الملائكة.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد: على قولهم، أو على الولد.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التمييز، وقيل: على الحال.

ويعني بالكلمة قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ﴾ أي: قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى: تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.

﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ استعارة فصيحة؛ كأنهم من قَرِطَ إِدْبَارَهُمْ قد بُعدوا، فهو يتبع آثارهم؛ تأسفًا عليهم.

وانتصب ﴿أَسْفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ﴿بَخِيعٌ نَفْسِكَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ يعني: ما يصلح للترزين، كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك.

(١) في د: «لقلولهم».

﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى: إخباراً بفناء الدنيا وزينتها.

والصعيد: هو التراب، والجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها؛ أي: سنُفني ما على الأرض من الزينة، حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء بهجة^(١).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿٩﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عَجَبٌ؟، بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب.

والكهف: الغار الواسع.

والرقيم: اسم كلبهم.

وقيل: هو لوح رُقِمت فيه أسماؤهم على باب الكهف.

وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم.

وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف.

وقيل: الجبل الذي فيه الكهف.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الرقيم!

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ نذكر من قِصَّتْهم على وجه الاختصار ما

لا غنى عنه؛ إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا:

(١) في د: «مبهجة».

وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم، وعرفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له: دعهم يموتوا جوعًا وعطشًا، وكان الله قد ألقى عليهم نومًا ثقیلاً، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم، فعجب منها البائع وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أي جاءتك؟، وشاع الكلام بذلك في الناس، وقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف، فقال: هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى.

وأما موضع كهفهم:

فقيل: إنه بمقربة من فلسطين.

وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لَوْشَة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جُدُرَاتِهِ^(١)، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دَقْيُوس، والله أعلم.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٩٥)، وقال بعد إيراد ذلك: «وإنما استسهلتُ ذكرَ هذا مع بُعْده؛ لأنه عَجَبٌ يتخلَّد ذكره ما شاء الله ﷻ».

ومما يُبعد ذلك : ما روي أن معاوية مرَّ عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضًا فإن الموتى الذين في غار لؤشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحدًا الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف .

﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ عبارة عن إلقاء النوم عليهم .

وقال الزمخشري : المعنى : ضربنا على آذانهم حجابًا ، ثم حذف هذا المفعول^(١) .

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي : كثيرة .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي : أيقظناهم من نومهم .

﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِسُوا أَمَدًا﴾ أي : لنعلم علمًا يظهر في الوجود ؛ لأن الله قد كان علم ذلك .

والمراد بالحزبين : الذين اختلفوا في الكهف في مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف ، والحزب الآخر : القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم .

وقيل : إن الحزبين معًا أصحاب الكهف ؛ إذ كان بعضهم قد قال : ﴿لَيْسَ بِنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، وقال بعضهم : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ﴾ .

و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماض ، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول به .

وقيل : ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسم للتفضيل ، و﴿أَمَدًا﴾ تمييز ، وهذا ضعيف ؛ لأن «أفعلَ مِن» التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي ، إلا في الشاذ .

(١) انظر : الكشاف (٩/٤١٦) .

[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ءِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلَهَةً لَّوْلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُغْنِيكُمْ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ بِشَرِّ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ الْهَادِ يُذِلُّ الْقَوْمَ يَهْدِي اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْنَا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوينا عزمهم، وألهمناهم الصبر.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد:

قيامهم من النوم.

أو قيامهم بين يدي الملك الكافر، لما آمنوا ولم يبالوا به.

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولاً شططاً، والشطط: الجور والتعدي.

﴿لَّوْلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز؛ أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم.

﴿وَمَا يَغْنِيكُمْ﴾ عطفٌ على المفعول في ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى «غير»، وهذا استثناء:

متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره.

ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله.

وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله».

﴿فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿وَإِذِ انْعَزَلْتُمُوهُمْ﴾، والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذ^(١) فارَقْنَا الكُفَّارَ فَلْنَجْعَلِ الكَهْفَ لَنَا مَأْوًى، وَنَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَرْحَمُنَا وَيَرْفُقَ بَنَا.

﴿مَرْفُقًا﴾ بفتح الميم وكسرهما: ما يُرْتَفَقُ به وَيُنْتَفَعُ.

﴿وَنَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قبل هذا الكلام^(٢) محذوف تقديره: فَأَوَّا الْقَوْمَ إِلَى الْكَهْفِ، وَمَكْنُوا فِيهِ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ.

ومعنى ﴿تَزَاوَرُ﴾: تَمِيلُ وَتَرُوحُ.

ومعنى ﴿تَقَرِّضُهُمْ﴾: تَقْطَعُهُمْ؛ أَي: تَبْعُدُ عَنْهُمْ، وَهُوَ مِنَ الْقَرْضِ بِمَعْنَى الْقَطْعِ.

وذاة اليمين والشمال^(٣): أَي: جِهَتَهُ.

(١) في ب، ج، د، هـ: «إذا»، والمثبت أصوب، وموافق لما في المحرر الوجيز (٥/٥٧٧).

(٢) في هـ: «كلام».

(٣) في ب: «وذاة الشمال».

ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛
لئلا يحترقوا بحرّها.

ف قيل: إن ذلك كرامةُ الله لهم، وخرقُ عادةٍ.

وقيل: كان باب الكهف شمالياً يستقبل بنات نعش^(١)، فلذلك لا تصيبهم
الشمس.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مُفْتَحٌ لإصابة
الشمس^(٢)، ومع ذلك حجبها الله عنهم.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرقُ
عادةٍ.

وإن كان لكون بابهم إلى الشمال؛ فالإشارة إلى أمرهم بجملته.

~~~~~

(١) بنات نعش: من الكواكب الشامية القريبة نجم القطب، وهي سبعة أنجم، أربعة منها  
نعش؛ لأنها مربعة، قيل: سُبَّهَتْ بحمّلة النعش في تربيعها، وثلاثة بنات نعش.

انظر: كتاب الأنواء، لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، وتاج العروس (٤١٨/١٧).

(٢) عبارة الكشف (٤٢٦/٩): «مع أنهم كانوا في مكان واسع مُفْتَحٍ مُعْرَضٍ لإصابة  
الشمس».

[وَنَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَّسَأَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾].

﴿وَنَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾ أَيْقَاطًا : جمع يَقِيطُ ، وهو المُنْتَبِه ، كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون ، فيحسبهم من يراهم أَيْقَاطًا .

وفي قوله : ﴿أُنْقَاطًا﴾ و﴿رُفُودٌ﴾ مطابقة ، وهي من أدوات البيان .

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي : نقليهم من جانب إلى جانب ، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض ، وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته ، وهم لا يتنبهون من نومهم .

وروي أنهم كانوا يقبلون مرتين في السنة ، وقيل : من سبع سنين إلى مثلها .

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل : إنه كان كلبًا لأحدهم يصيده به .

وقيل : كان كلبًا لراع ، فمروا عليه فصحبهم ، وتبعه كلبه .

وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي؛ لأنه حكاية حال.

﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، وقيل: عَتَبَتِه، وقيل: الفناء.

﴿وَلَمُلِّثْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة.

وقيل: لطول أظافرهم وشعورهم، وعِظَم أجرامهم.

وقيل: لوحشة مكانهم.

وعن معاوية أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنماهم كذلك بعثناهم؛ ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾ لام الصيرورة.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولكنه لم يعلم مقدارها؛ فأسند علمها إلى الله.

﴿فَاذْكُرُوا أَهْلَكُمْ بِرِيقِكُمْ﴾ الوريق: الفضة، وكانت دراهم تزودها حين خروجهم إلى الكهف.

ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه.

ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة.

فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟

فالجواب : أنهم كأنهم قالوا : ربكم أعلم بما لبستم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك ، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم ، فابعثوا أحدكم .

﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل : إنها طرسوس .

﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ قيل : أكثر ، وقيل : أحل .

وروي : أنه أراد شراء زبيب ، وقيل : تمر .

﴿وَلَيْسَ لَطْفٌ﴾ أي : في اختفائه وتحيله .

﴿إِنْ يَّظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ﴾ أي : إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة .

وقيل : معنى ﴿يَرْجُمُوكَ﴾ : بالقول .

والأول أظهر .

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي : كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم .

﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف ؛ أي : أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور .

﴿إِذْ يَنْتَرِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿أَغْتَرْنَا﴾ ، أو مضمرة تقديره : اذكر .

والمتنازعون : هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ؟ .

وقيل : تنازعوا هل تحشر الأجساد، أو الأرواح بالأجساد؟، فأراهم الله حال أصحاب الكهف؛ ليعلموا أن الأجساد تحشر.

﴿فَقَالُوا أَبْنَاؤُا عَلَيْهِمُ بَنِينَ﴾ أي : على باب كهفهم، إما ليطمس أثرهم<sup>(١)</sup>، وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذ تربتهم تبرُّكا .  
وإما ليكون علما على كهفهم يعرف<sup>(٢)</sup> به .

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل : يعني الولاة .

وقيل : يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحقَّ بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله .

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود، أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف .

﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي : ظنا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي .

﴿سَبْعَةٌ وَثَمَانُهُمْ كُتِبَ لَهُمُ﴾ قال قوم : إن الواو واو الثمانية؛ لدخولها هنا، وفي قوله : ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة : ٧]، وفي قوله في أهل الجنة : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر : ٧٣]، وفي قوله في «براءة» : ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة : ١١٢] .

وقال البصريون : لا تثبت واو الثمانية، وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفي يده سيف .

(١) في ج : «أناهم» .

(٢) في د : «لُيعْرِف» .

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا: ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم؛ لتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصحَّ الكلام<sup>(٢)</sup>.

وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول.

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عدَّتَهُمْ إِلَّا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب.

وقال ابن عباس: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم»<sup>(٣)</sup>؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾، ولم يقل ذلك في ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: من المراء؛ وهو الجدل والمخالفة والاحتجاج.

ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إِلَّا مراء ظاهراً؛ أي: غير متعمق فيه، من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم.

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥٨٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠).

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي : لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال .





[وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ٢٣] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ٢٤ وَلِئِنْ شَاءَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٢٥ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوًّا لَمْ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْصُرَ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ٢٦ وَأَنْزَلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٧ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ٢٨ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَذْيٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ٣١].

[وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ٢٣] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿سببها﴾ : أن قريشًا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم : أسألوهم عن فتية ذهبوا في الزمان الأول، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو ذو القرنين، وعن الروح؛ فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوهم فقال : «غدا أخبركم»، ولم يقل : «إن شاء الله»، فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يومًا، فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فقص

عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين<sup>(١)</sup>، وأنزل عليه هذه الآية؛ تأديباً له وتعليماً، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل.

وقوله: ﴿غَدَاً﴾ يريد به الزمان المستقبل، لا اليوم الذي بعد يومه خاصة.

وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: «إن شاء الله»، أو تقول: «إلا أن يشاء الله». والمعنى: أن يعلّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته، ويبرأ هو من الحول والقوة.

وقيل: إن قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله؛ بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة - على هذا - راجعة إلى القول، لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وحكاها ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يُحكى<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس: الإشارة بذلك إلى الاستثناء؛ أي: استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولاً، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٥).

(٢) انظر: الكشف (٤٤٩/٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥٩٠/٥).

وأما مذهب مالك والشافعي : فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلاً باليمين .

وقيل : معنى الآية : اذكر ربك إذا غضبت .

وقيل : اذكره إذا نسيت شيئاً ؛ ليذكرك ما نسيت .

والظاهر : أن المعنى : اذكر ربك إذا نسيت ذكره ؛ أي : ارجع إلى الذكر متى غفلت عنه ، واذكره في كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه »<sup>(١)</sup> .

﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ هذا كلامُ أمر النبي ﷺ أن يقول ، والإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى خبر أصحاب الكهف ؛ أي : عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوتي من خبر أصحاب الكهف .

واللفظ يقتضي أن المعنى : عسى أن يوفقني<sup>(٢)</sup> الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب الكهف وأقرب إلى الله .

وقيل : إن الإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى المنسي ؛ أي : إذا نسيت شيئاً فقل : عسى أن يهديني الله إلى شيء آخر هو أرشد من المنسي .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ في هذا قولان :

أحدهما : أنه حكاية عن أهل الكتاب ؛ يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود : « وقالوا لبثوا في كهفهم » ، وهو معطوف على ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً ﴾ ،

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣) .

(٢) في د : « يؤتيني » .

فقلوه : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ ردّ عليهم في هذا العدد المحكي عنهم .

القول الثاني : أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل في قوله : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١) ، ومعنى قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ - على هذا - : أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم ، فإخباره هو الحق ؛ لأنه أعلم من الناس ، فكأن قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ احتجاج على صحة ذلك الإخبار .

وانتصب ﴿سِنِينَ﴾ :

على البدل من ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ ، أو عطف البيان .

أو على التمييز .

وذلك على قراءة التنوين في ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ .

وقرئ بغير تنوين : على الإضافة ، ووضع الجمع موضع المفرد .

﴿أَبْصِرْ بِهِ، وَاسْمِْعْ﴾ أي : ما أبصره وما أسمعته ؛ لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات .

﴿مَا هُمْ﴾ الضمير : لجميع الخلق ، أو للمعاصرين للنبي ﷺ .

﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ هو خبر ؛ على القراءة بالياء والرفع .

وقرئ بالتاء والجزم ؛ على النهي .

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ يحتمل أن يراد بالكلمات هنا :

القرآن ؛ فالمعنى : لا يبدّل أحد القرآن ولا غيره .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْكَلِمَاتِ : الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ .

﴿مُلْتَحِلاً﴾ أي : ملجأً تميل إليه .

﴿وَأَصِيرَ نَفْسَكَ﴾ أي : احبسها صابراً .

﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ هم فقراء المسلمين ، كبلال وصهيب وخباب ، وكان الكفار قد قالوا له : اطرده هؤلاء نجالسك نحن ، فنزلت الآية .

﴿بِالْفَدْوَةِ وَالْمَشْيِ﴾ قيل : المراد الصلوات الخمس .

وقيل : الدعاء على الإطلاق .

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي : لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، قال الزمخشري : يقال عداه : إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بـ «عن» ؛ لأنه تضمن معنى : نَبَتْ عَيْنُهُ عَنِ الرَّجُلِ : إذا احتقره<sup>(١)</sup> .

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال ، فهي متصلة بما قبلها ، وهي في معنى تعليل لفعل المنهي عنه في قوله : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ؛ أي : لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا .

﴿أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ﴾ أي : جعلناه غافلاً ، أو وجدناه غافلاً .

وقيل : إنه يعني عيينة بن حصن الفزاري ، والأظهر : أنها مطلقة من غير تعيين .

(١) انظر : الكشف (٩/ ٤٦٠) .

﴿فُرُطًا﴾ من التَّفْرِيط والتَّضْيِيع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا هو الحق.

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ لفظه: أمرٌ وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر، فيختارُ كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيهِ، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديدٌ.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ السُّرْدَاق في اللغة: ما أحاط بالشيء، كالسُّور والجدار.

وأما سرادق جهنم: فقليل: حائط من نار، وقيل: دخان.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حرُّه، روي ذلك عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقيل: ما أذيب من الرِّصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: شيئًا يرتفق به؛ فهو من الرُّفْق<sup>(٢)</sup>.

وقيل: يُرْتَفَق عليه؛ فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضٌ.

ويجوز أن يكونا خبرين.

أو يكون ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الخبر، و﴿أُولَئِكَ﴾ كلام مستأنف، ويقوم العموم في قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدر: من أحسن عملاً منهم.

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧١)، والترمذي (٢٥٨١).

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «به»، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري (٢٥٣/١٥).

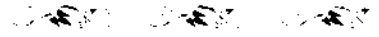
وروي أن النبي ﷺ قال: «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي»<sup>(١)</sup>.

﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسوار، أو سوار، وهو ما يجعل في الذراع.

وقيل: أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار.

﴿مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿الْأَرَايِكَ﴾ الأسرّة والفرش.



(١) أخرج أبو جعفر النحاس بإسناده في معاني القرآن (٢٣٥): «عن البراء بن عازب قال: قدم أعرابي إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته الصهباء، فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؟ قال النبي ﷺ: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم منك ببعيد هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فأعلم قومك أن هذا الآية نزلت في هؤلاء الأربعة»، وذكره السهيلي بإسناده إلى أبي جعفر النحاس في التعريف والإعلام (ص: ١٨٤).

[ ﴿٢١﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٢٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تُطْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٢٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٢٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٢٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٣١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٣٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٣٤﴾ ] .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير: للكفار الذين قالوا: اطردهم فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم؛ أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثله هذين الرجلين. وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فغيره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر.

وروي أن اسم المؤمن تملیخا، واسم الكافر فوطس.

وقيل: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله.



﴿أُكْلَهَا﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.  
 ﴿وَلَمْ تَطْلُرْ﴾ أي: لم تنقض.  
 ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ بضم الثاء والميم: أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة.  
 وقيل: هو الذهب والفضة خاصة.  
 وهو من ثمر ماله: إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفاً.  
 وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر.

﴿يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام.  
 ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: الأنصار والخدم.  
 ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ﴾ أفرد الجنة هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين؛ إذ لا يمكن دخول الجنتين معاً في دفعة واحدة.  
 ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ إما بكفره، أو بمقالته لأخيه؛ فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه.

﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبْدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يحتمل أن تكون الإشارة:  
 إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلاً ببقاء هذا الوجود، كافراً بالآخرة.  
 أو تكون الإشارة إلى جنته، فيكون قوله إفراطاً في الاغترار وقلة التحصيل.

﴿وَلَمَّا زُجِرَتْ إِلَيْنَا﴾ أي: إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم أخي، لأجدن في الآخرة خيرًا من جنتي في الدنيا.

وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة.

﴿مُتَقَلِّبًا﴾ أي: مرجعًا.

﴿أَكْفَرَتْ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تَرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرًا بالله؛ لشكّه في البعث.

﴿سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ كما تقول سَوَّاهُ سَوَّاهُ إنسانًا.

ويحتمل أن قصّد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا: «لكن أنا»، ثم أُلقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون.

وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك: بأن تكون «لكن» لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا» و«ضربنا»، ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ الآية؛ وصية من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيض.

﴿فَمَسَى رَبِّي أَن يُّؤَيِّنَ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمرًا مهلكًا، كالحرّ والبرد ونحو ذلك.

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد: وجه الأرض، والزَلَق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ذاهبًا، وهو مصدر وصف به.

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ عبارة عن هلاكها<sup>(١)</sup>.

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يريد: أن السَّقْف وقعت وهي العروش، ثم تهدمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش.

وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عروشها، ثم سقطت الكروم عليها.

﴿وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أُشْرِكُ﴾ قال ذلك:

على وجه التمني لِمَا هَلَكَ بستانه.

أو على وجه التوبة من الشرك.

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ يحتمل:

أن يكون العامل فيه ﴿مُنْصَرًّا﴾.

أو يكون في موضع خبر ﴿الْوَلِيَّةُ﴾.

﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو: بمعنى الرياسة والملك، ويفتحها: من الموالاة والمودة.

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة.

(١) في ب: «إهلاكها».

[﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٩﴾﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٥١﴾﴾ وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٥٧﴾﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ رَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُبْدِلْنَا مَالٍ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٦١﴾﴾].

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطاً؛ أي: ملتقاً بعضه ببعض من شدة تكاثفه.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: متفتتاً، و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا بمعنى «صار».

﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي: تفرقه، ومعنى المثل: تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائها بعد خضرته.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآية؛ هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان.

وقرئ: «زينا» بالثنية؛ لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة؛ لأنها مصدر.

﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/ ٦٩٤)، (١/ ٧٢٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٨).

وقيل : الصلوات الخمس .

وقيل : الأعمال الصالحات على الإطلاق .

﴿نُسِرُ الْجِبَالُ﴾ أي : نحملها ، ومنه قوله : ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل : ٨٨] وبعد ذلك تصير هباءً .

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي : ظاهرة ؛ لزوال الجبال عنها .

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ قال الزمخشري : إنما جاء ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله : ﴿نُسِرُ﴾ ؛ للدلالة على أن حشرهم قبل تسيير الجبال ؛ ليعاينوا تلك الأحوال<sup>(١)</sup> .

﴿فَلَمْ تُغَادِرْ﴾ أي : لم تترك .

﴿صَفًّا﴾ أي : صفوفًا ، فهو أفراد تَنَزَّلَ منزلة الجمع ، وقد جاء في الحديث : «إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًّا ، أنتم منها ثمانون صفًّا»<sup>(٢)</sup> .

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ .

﴿وَكَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي : حفاة عراة عُرُلًا .

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني : صحائف الأعمال ، ف ﴿الْكِتَابُ﴾ اسم جنس .

(١) انظر : الكشف (٩/ ٤٩٠) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢٨) .

[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٢﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٣﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٤﴾].

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، جرى مجرى التعليل لإبابة إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع؛ فإن الجن صنف غير الملائكة.

وقد يجيب عن ذلك من قال: إنه كان من الملائكة:

بأنَّ ﴿كَانَ﴾ هنا بمعنى «صار»؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن.

أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن، وهم الذين خُلِقُوا من نار. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عما أمره<sup>(١)</sup> به، والفسق في اللغة: الخروج.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس: هم الشياطين، واتخاذهم أولياء: بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ﴾ الضمير:

للشياطين على وجه التحقير لهم.

(١) في أ، ب: «أمر».

أو للكفار.

أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردٌّ على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرّصة.

﴿وَمَا كُنْتُمْ مُنْجِدَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾ أي: مُعِينًا، ومعنى ﴿الْمُضِلِّينَ﴾: الذين يُضِلُّون العباد، وذلك يقوِّي أن المراد الشياطين.

﴿وَبَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بيّن هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

﴿مَوْبِقًا﴾ أي: مَهْلِكًا، وهو اسم موضع، أو مصدر من: وَبَقَ الرجل: إذا هَلَكَ.

وقد قيل: إنه وادٍ من أودية جهنم.

والضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾: للمشركين وشركائهم.

﴿فَقَطَّنُوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَصْرَفًا﴾ أي: مَعْدِلًا ينصرفون إليه.

[وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا نُذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ الرَّحْمَٰنُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلًا ﴿٥٧﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾].

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومداغة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذمَّ الجدل.

وسببها فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان<sup>(١)</sup> يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ الآية؛ معناها: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم العذاب؛ يعني: عذاب الآخرة. ومعنى ﴿قُبُلًا﴾: معاينة.

وقرئ بضميتين، وهو جمع قبيل؛ أي: أنواعًا من العذاب.

(١) في دزيادة: «هنا».



﴿لِيَذْحِصُوا﴾ أي: يبطلوا.

﴿وَمَا أَنْذِرُوا﴾ يعني: العذاب.

و«ما»: موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم، أو تعليل له.

والأكنة: جمع كنان وهو الغطاء، والوقر: الصمم، وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان.

﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا﴾ يراد به: من قضى الله أنه لا يؤمن.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمُ﴾ الضمير: لكفار قريش، أو لسائر الناس، كقوله: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ [النحل: ٦١]، والجملة خبر المبتدأ، و﴿الْفَقُورُ ذُو الرِّحْمَةِ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر؛ توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة. ويحتمل أن يكون ﴿الْفَقُورُ﴾ هو الخبر، و﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمُ﴾ بيان لمغفرته ورحمته.

والأول أظهر.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر.

﴿مَوِيلًا﴾ أي: منجى، يقال: وأل الرجل: إذا نجا<sup>(١)</sup>.

(١) في أ: «أي: ملجأ». لجأ: وهما بمعنى واحد. تفسير الطبري (١٥٣٠٤/١)، والكشاف (٥٠٣/٩).

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يعني: عادًا وثمودًا وغيرهم من المتقدمين.

والمراد: أهل القرى؛ ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

وفي ضمن هذا الإخبار تهديدًا لكفار قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي: وقتًا معلومًا، والمُهْلِكُ هنا - بضم

الميم وفتح اللام - : اسم مصدر من «أهلك»، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعدّد.

وقرئ بفتح الميم، من «هَلَك»، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.



[وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَنْبِرُ حَتَّىٰ أَنْبُلُجَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا] (١٥) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (١٦) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ إِنَّا عَدَاءُكَ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (١٧) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (١٨) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (١٩) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِزْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا (٢٠) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا (٢١) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٢٢) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ مُخِطٌ بِهِ، خُبْرًا (٢٣) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٢٤) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٢٥) ﴿٧٠﴾].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى بن عمران نبي الله.

وقال قوم: هو موسى آخر، وذلك باطل، رده ابن عباس وغيره، ويدل الحديث على بطلانه.

وفناه: هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا: بمعنى الخديم.

وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أن موسى عليه السلام خطب يوماً في بني إسرائيل، ف قيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بل <sup>(١)</sup> عبدنا الخضر أعلم منك، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتاً في مكمل ويسير بطول سيف

(١) في ب، د: «بلى».

البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه<sup>(١)</sup>.

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ اختصاراً؛ للدلالة المعنى عليه.

ومعنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة «لا أبرح» تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة.

﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: عند طَنْجَة، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس.

وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: زماناً طويلاً، والحُقْب - بضم القاف وإسكانها - ثمانون سنة.

وقيل: زمان غير محدود.

وقيل: هو جمع حُقْبَة، وهي السنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في ﴿بَلَغَا﴾ لموسى وفتاه، والضمير في ﴿بَيْنَهُمَا﴾ للبحرين.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، كما تقول: فعل بنو فلان كذا: إذا فعله واحد منهم.

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

وقيل: نسي الفتى أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل ﴿اتَّخَذَ﴾: الحوت، والمعنى: أنه سار في البحر:

فقيل: إن الحوت كان ميتًا مملوحًا، ثم صار حيًا بإذن الله، ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس: إنما حيي الحوت؛ لأنه مسّه ماء عين يقال لها: عين الحياة، ما مست قط شيئًا إلا حيي، وفي الحديث: أن الله أمسك جرّية الماء عن الحوت فصار مثل السّرْب<sup>(١)</sup>، وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عليه السلام.

وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سرّبًا حتى وصل إلى البحر، فعام على العادة. ويردّ هذا ما ورد في الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها فسار<sup>(٢)</sup> الحوت في البحر بينما كان موسى نائمًا، وكان ذهاب الحوت أمانة لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع، فقال لفتاه: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا﴾.

﴿نَصَبًا﴾ أي: تعبًا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ هنا بمعنى: أخبرني، ثم قال: فإن قلت: ما وجه التثام هذا الكلام؛ فإن كل واحد من ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾ لا متعلق له؟.

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) في ب، ج، د: «فصار».

فالجواب : أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه ، وما اعتراه ومن نسيانه فذهش ، فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك ، فكأنه قال : رأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة ، فإني نسيت الحوت ، فحذف بعض الكلام<sup>(١)</sup> .

﴿نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾ أي : نسيتُ أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر ، فتقديره : نسيتُ ذكْرَ الحوت .

﴿أَنْ أَذْكُرُ﴾ بدلٌ من الهاء في ﴿أَنْسَانِيهِ﴾ ، وهو بدل اشتمال .

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون هذا : من كلام يوشع ، أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس . أو يكون إخبارًا من الله تعالى :

أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس .

أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبًا ؛ أي : تعجب هو منه . وإعراب ﴿عَجَبًا﴾ : مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذَ﴾ ، مثل ﴿سَرِيًّا﴾ .

وقيل : إن الكلام تمَّ عند قوله : ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ ، ثم ابتدأ التعجب فقال : ﴿عَجَبًا﴾ ، وذلك بعيد .

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ أي : فقد الحوت هو ما كنا نطلب ؛ لأنه أمارَةٌ على وجدان الرجل .

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي : رجعا في طريقهما يقصّان أثرهما

(١) انظر : الكشاف (٩/ ٥١١ - ٥١٢) .

الأول؛ لثلا يخرجنا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر.

﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال: إن الخضر نبي.

وقيل: إنه ليس بنبي، ولكنه ولي.

وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي.

واختلف أيضًا هل مات أو هو حي إلى الآن؟ ويذكر كثير من الصُّلحاء أنهم يرونه ويكلمهم.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنتى بأرضك السلام؟، قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أو لم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلّم منك، قال: إني على علم من علم الله علّمنيّه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمك لا أعلمه أنا<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية؛ مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلّم منه.

﴿رُشْدًا﴾ قرئ: بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما، والمعنى واحد.

وانتصب على أنه: مفعول ثانٍ بـ ﴿تُعَلِّمَنِي﴾، أو حال من الضمير في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

[فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَهَا لِنُفْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا ثُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصْجِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنَا أَهْلٌ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَمَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾] .

﴿فَانْطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر .

وفي الحديث : «أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر، حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر فحملا فيها بغير نؤل<sup>(١)</sup>؛ أي: بغير أجرة<sup>(٢)</sup> .

﴿خَرَقَهَا﴾ روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها .

﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا .

(١) تقدم تخريجه .

(٢) في القاموس المحيط من معاني التؤل: أجرة السفينة خاصة .



﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني: بعد نزولهما من السفينة، فمراً بغلمان يلعبون، وفيهم غلام وضيء الصورة، فاقتلع الخضر رأسه.

وقيل: ذبحه.

وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه.

والأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>.

وروي أن اسم الغلام جَيْسُور - بالجيم -، وقيل: بالحاء المهملة.

قال الزمخشري: إن قلت: لم قال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بغير فاء، وقال: ﴿فَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟.

فالجواب: أن ﴿خَرَقَهَا﴾ جواب الشرط، و﴿قَتَلَهُ﴾ من جملة الشرط معطوف عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقْتَلْتُ﴾.

فإن قلت: لم خولف بينهما؟

فالجواب: أن خَرَقَ السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتل لقاء الغلام<sup>(٢)</sup>.

﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى ﴿زَاكِيَةً﴾ ليس له ذنب.

وقيل: إنه كان بالغاً، ولكنه لم ير له الخضر ذنباً.

﴿يَغَيِّرُ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفساً لم يكن بقتله بأسً على وجه

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الكشف (٩/٥٢٢).

القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغاً؛ فإن غير البالغ لا يُقتل وإن قتل نفساً.

﴿شَيْئًا نُّكَرًا﴾ أي: منكراً، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ بزيادة ﴿لَّكَ﴾، فيه من الزجر والإغلاط ما ليس في قوله أولاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة، وإن لم يتقدم لها ذكرٌ، ولكن سياق الكلام يدل عليها.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرت إليّ، فأنت معذور عندي.

وفي الحديث: «كانت الأولى من موسى نسياناً»<sup>(١)</sup>.

﴿أَيُّهَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكية.

وقيل: برقة.

وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة.

﴿اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا﴾ أي: طلبنا منهم طعاماً.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي: يسقط، وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته: أنه قارب أن ينقض.

(١) تقدم تخريجه.

ووزن ﴿يَنْقُضْ﴾ يَنْفَعِلْ ، وقيل : يَفْعَلْ - بالتشديد - كَيَحْمَرُ .

﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل : إنه هدمه ثم بناه ، وقيل : مسح يده وأقامه فقام .

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي : قال موسى للخضر : لو شئت لاتخذت عليه أجراً ؛ أي : طعاماً نأكله .

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا ؛ لأجل شرطه في قوله : ﴿إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِئْ﴾ ، على أن قوله : ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال ، ولكن في ضمنه أمرٌ بأخذ الأجرة عليه ؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام .

والْبَيِّنُ هنا : ليس بظرف ، وإنما معناه : الوُضْلة والقُرْب .

وقال الزمخشري : الأصل : «هذا فراق بيني وبينك» بتنوين «فراق» ونصب «بين» على الظرفية ، ثم أضيف المصدر إلى الظرف<sup>(١)</sup> .

والإشارة بقوله : ﴿هَذَا﴾ إلى السؤال الثالث ، الذي أوجب الفراق .

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينَ﴾ قيل : إنهم تجار ، ولكنه قال فيهم : «مساكين» على وجه الإشفاق عليهم ؛ لكونهم كانوا يُغْصَبُونَ سفينتهم ، أو لكونهم في لجج البحر .

وقيل : كانوا عشرة إخوة ، منهم خمسة عاملون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم .

وقرئ : «مساكين» بتشديد السين ؛ أي : يمسكون السفينة .

(١) انظر : الكشف (٩/ ٥٣٢) .

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ قيل : معناه : قدّامهم ، وقرأ ابن عباس : «أمامهم» .  
 وقال ابن عطية : إن ﴿وَراءَهُمْ﴾ على بابه ، ولكن روعي به الزمان ، فالوراء هو المستقبل ، والأمام هو الماضي <sup>(١)</sup> .  
 ﴿كُلِّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ عموم معناه <sup>(٢)</sup> الخصوص في الجياد الصّحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود : «يأخذ كل سفينة صالحة» .  
 وقيل : إن اسم هذا الملك هُذُلُ بن بُدَد ، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح .  
 وفي الكلام تقديم وتأخير ؛ لأن قوله : ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخّر في المعنى عن ذكر غصبها ؛ لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها ، وإنما قدّم للعناية به .  
 ﴿وَأَمَّا الْفُلُومُ﴾ روي أنه كان كافراً ، وروي أنه كان يفسد في الأرض .  
 ﴿فَخَشِيْتَا أَنْ يُرِهَقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر .  
 وقيل : إنه من كلام الله ، وتأويله على هذا : «فكرهنا» .  
 وقال ابن عطية : إنه من نحو ما وقع في القرآن من «عسى» و«لعل» ، وإنما هو في حق المخاطبين <sup>(٣)</sup> .  
 ومعنى : ﴿يُرِهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ : يكلّفهما ذلك ، والمعنى : أن يحملهما حبه على اتباعه ، أو يضرّ بهما مخالطته <sup>(٤)</sup> مع مخالفته لهما .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٦٤٧/٥) .

(٢) في ج ، هـ : «يراد به» .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (٦٤٩/٥) .

(٤) في د : «بمخالطته» .

﴿خَيْرًا مِنْهُ﴾ أي: غلامًا آخر خيرًا من الغلام المذكور المقتول.

﴿زَكَاةً﴾ أي: طهارةً وفضيلةً في دينه.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمةً وشفقةً؛ فقليل: المعنى أن يرحمها، وقيل: يرحمها.

﴿لَعَلَّامِينَ بَيِّنِينَ﴾ اليتيم: من فقد أبويه قبل البلوغ.

وروي أن اسم الغلامين: أضرم وصريم، واسم أبيهما: كاشع، وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

﴿كَثْرَ لَهْمًا﴾ قيل: مال عظيم.

وقيل: كان علمًا في صحف مدفونة.

والأول أظهر.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قيل: إنه الأب السابع.

وظاهر اللفظ: أنه الأقرب.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمرٍ مُعَيَّبٍ مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسندها الخضرُ إلى نفسه في قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ لأنها لفظة<sup>(١)</sup> عيب، فتأدب بأن لا يُسندَها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله؛ تأدبًا.

(١) في أ، ب: «لفظ».

واختلف في قوله : ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله ؟ .

﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئٍ﴾ هذا <sup>(١)</sup> دليل على نبوة الخضر ؛ لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله ؛ أي : بوحيه .



(١) في ج : «في هذا» .

[وَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٧﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٨﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نُعْذِيبَ وَإِمَّا أَنْ نَنْخُذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٩٠﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٩١﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٩٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمِ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٤﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٥﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٧﴾ قَالُوا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٨﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٩﴾ مَاتُوا وَزُبُرُ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ مَاتُوا فَنُفِخَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿١٠٠﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١٠١﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠٢﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا ﴿١٠٣﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٥﴾].

﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون: اليهود، أو قریش بإشارة اليهود.

وذو القرنين: هو الإسكندر الملك، وهو يوناني - وقيل: رومي -، وكان رجلاً صالحاً.

وقيل: كان نبياً.

وقيل: كان ملكاً - بفتح اللام -.

والصحيح أنه ملك - بكسر اللام -.

واختلف لم سمي ذا القرنين؟

فقيل : كان له صَفِيرَتَانِ من شَعَرٍ هما قَرْنَاهُ، فسمي بذلك .

وقيل : لأنه بلغ المشرق والمغرب ؛ فكأنه حاز قَرْنِي الدنيا .

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ التمكين له : أنه مَلَكَ الدنيا، ودانت له الملوك كلُّهم.

﴿وَأَنبَتْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي : علماً وفهماً، يتوصل به إلى معرفة الأشياء.

والسبب : ما يتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة، أو غير ذلك .

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي : طريقاً يوصله .

﴿وَجَدَهَا تَقَرُّبٌ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرئ بالهمز، على وزن «فَعْلَةٌ» ؛ أي : ذات حَمَاءَةٍ<sup>(١)</sup>.

وقرئ بالياء، على وزن «فاعلة» .

وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس : «حمئة»، وقال معاوية : «حامية»، فبعثنا إلى كعب الأخبار ليخبرهما بالأمر، فقال : أمّا العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكنني أجد في التواراة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق ذلك قراءة ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

ومعنى : ﴿حَامِيَةٍ﴾ : حارة .

(١) في اللسان (٥٤/١) : «الحمأة : الطين الأسود المتن».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٥/١٥).



وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى حَمِيَّةٍ، وَلَكِنْ سَهَلَتْ هَمْزَتُهُ، فَيَتَّفِقُ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ.

وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حَمَاءً، وتكون حَارَّةً لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوصفين، ويجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ استدلالٌ بهذا من قال: إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِالْهَامِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ.

﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارًا، فخيرهم الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم.

وقيل: الحُسْنُ هنا: هو الأُسْرُ، وجعله حُسْنًا؛ بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام، فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه.

والظلم هنا: الكفر، والعذاب: القتل.

وأراد بقوله: ﴿عَذَابًا نُكَرًا﴾: عذاب الآخرة.

﴿فَلَهُمْ جَزَاءُ الْخَيْرِ﴾ المراد بالحسنى: الجنة، أو الأعمال الحسنة.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعدهم بأن يسر عليهم.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِرًّا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج،

وهم أهل الهند ومن وراءهم.

ومعنى: ﴿لَمْ يَجْعَلْ﴾ الآية: أنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل<sup>(١)</sup> أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حرّ الشمس في أسرابٍ تحت الأرض. وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: السّتر: اللباس، فكانوا - على هذا - لا يلبسون الثياب. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أمرُ ذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمره. وقيل: إن ﴿كَذَلِكَ﴾ راجع لما قبله؛ أي: لم نجعل لهم سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب.

وقيل: المعنى: وجَدَ عندها قومًا كذلك؛ أي: مثل القوم الذين وجد عند مغرب الشمس، وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيْنَ السُّدَيْنِ﴾ أي: الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض.

وقرئ بالضم والفتح، وهما بمعنى.

وقيل: ما كان من خِلْقَةِ الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم التُّرك.

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة أو نحوها.

(١) في ج: «تحمّل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦٥٧/٥).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قِيلَتَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فِي خَلْقَتِهِمْ <sup>(١)</sup> تَشْوِيهِ، مِنْهُمْ مُقَرِّطُ الطَّوْلِ وَمَقَرِّطُ الْقِصَرِ.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ إِفْسَادُهُمْ: بِالْقَتْلِ وَالظُّلْمِ وَسَائِرِ وَجُوهِ الشَّرِّ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَأْكُلُونَ بَنِي آدَمَ.

﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ «هَلْ» اسْتِفْهَامٌ فِي ضَمْنِهِ عَرْضٌ وَرَغْبَةٌ.

وَالْخَرْجُ: الْجَبَايَةُ، وَيُقَالُ فِيهِ: خَرَجَ، وَقَدْ قَرِئَ بِهِمَا.

فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ أَمْوَالًا لِيَقِيمَ بِهَا السُّدَّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أَيُّ: مَا بَسَطَ اللَّهُ لِي مِنَ الْمُلْكِ خَيْرٌ مِنْ خَرَجِكُمْ؛ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِقُوَّةِ الْأَبْدَانِ وَعَمَلِ الْأَيْدِي.

﴿رَدْمًا﴾ أَيُّ: حَاجِزًا حَصِينًا، وَالرَّدْمُ أَعْظَمُ مِنَ السَّدِّ.

﴿سَاوَيْنَ بَيْنَ الصَّادِقِينَ﴾ أَيُّ: بَيْنَ الْجَبِلِينَ.

﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ يَرِيدُ نَفْخَ الْكَبِيرِ؛ أَيُّ: أَوْقَدُوا النَّارَ عَلَى الْحَدِيدِ.

﴿قَطَرًا﴾ أَيُّ: نَحَاسًا مَذَابًا، وَقِيلَ: هُوَ الرِّصَاصُ.

وَرَوَى أَنَّهُ حَفَرَ الْأَسَاسَ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ، ثُمَّ جَعَلَ الْبَنِيَّانِ مِنْ زُبُرِ الْحَدِيدِ، حَتَّى مَلَأَ بِهِ مَا بَيْنَ الْجَبِلِينَ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَيْهِ النَّحَاسَ الْمَذَابَ.

﴿فَمَا أَطْلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أَصْلُ ﴿أَظْلَعُوا﴾: اسْتَطَاعُوا، وَحُذِفَتِ التَّاءُ تَخْفِيفًا.

(١) فِي هـ: «خَلَقَهُمْ».

والضمير في ﴿يُظْهِرُوهُ﴾ للسُّدِّ، ومعنى ﴿يُظْهِرُوهُ﴾: يعلوه ويصعدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدرّون أن يصعدوا على السُّدِّ؛ لارتفاعه، ولا ينقبوه؛ لقوّته.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين، وأشار إلى الرّدم.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: القيامة.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مبسوطاً مسوّى بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لله ﷻ.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل:

أن يريد به: يوم القيامة؛ لأنه قد تقدّم ذكره، فالضمير في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ - على هذا - لجميع الناس.

أو يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال السُّدِّ، والضمير في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ - على هذا - ليأجوج ومأجوج.

والأول أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، فيتصل الكلام.

و﴿يَمُوجٌ﴾ عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الصُّور: هو القرن الذي يُنْفَخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث<sup>(١)</sup>، يُنْفَخ فيه إسرافيل نفختين، إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم، وكذلك

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.



[أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٧﴾ الَّذِينَ صَدَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطُوا أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٩﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا عَابِدِي وَرُسُلِي هُزُوا ﴿١١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٢﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَعَدَّا ﴿١١٤﴾] .

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعني : أنهم لا يكونون لهم أولياء ، كما حكى عنهم أنهم يقولون : ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا : ٤١] .  
والعباد هنا : مَنْ عُبِدَ مع الله ممن لا يريد ذلك ، كالملائكة وعيسى بن مريم .

﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي : يسرنا .

﴿نُزُلًا﴾ ما يسر<sup>(١)</sup> للضيف والقادم عند نزوله ، والمعنى : أن جهنم لهم بدل النزول ، كما أن الجنة نزل في قوله : ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ .  
ويحتمل أن يكون النزول موضع النزول .

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الآية في كفار العرب ؛ لقوله : ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ﴾ .

(١) في أ ، هـ : «ما يتيسر» ، وفي ب : «تيسر» .

وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم.

وفي قوله: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْيُونَ﴾ تجنيس الخط، وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف.

﴿فَلَا نُقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: ليس لهم حسنة توزن؛ لأن أعمالهم قد حبطت.

﴿جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسبما ورد في الحديث<sup>(١)</sup>، ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حَوْلًا﴾ أي: تحوُّلاً وانتقالاً.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي﴾ الآية؛ إخبار عن اتساع علم الله تعالى. والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية: لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم يتفد علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله؛ وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزى رحمه الله: «إخبار عن اتساع علم الله تعالى» إلخ، أقول: هذا صريح بتأويل كلام الله بعلمه، فالآية عند المؤلف إخبار عن سعة علم الله، لا عن دوام كلامه، وقد بنى هذا التأويل على قول الأشاعرة في كلام الله بأنه معنى نفسي غير مسموع منه، وذلك في قوله: «والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس»، وهذا ظاهر في أنه يقرر القول بالمعنى النفسي، وقول الأشاعرة في كلام الله قول باطل مناقض لدلالة العقل والشرع، فهو عندهم معنى نفسي ليس بصوت ولا حرف، واحد لا يتعدد، قديم لا تتعلق به مشيئة الله، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم، فكلام الله عند أهل السنة كلام مسموع، كما سمع موسى كلام =

﴿يَبْتَغِيهِ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد: هو ما يُمدُّ به الشيء أي: يُكثَّر.

﴿فَن كَانَ رَجُؤًا لِّقَاءِ رَبِّهِ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه: فالمعنى: يرجو حُسْنَ لقاءِ ربه، وأن يلقاه لقاءً رضا وقبول.

وإن كان الرجاء بمعنى الخوف: فالمعنى: يخاف سوء لقاء ربه.

﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يحتمل:

أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره؛ فيكون راجعاً إلى قوله: ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ أَتْمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

أو يريد الرياء؛ لأنه الشرك الأصغر.

واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

(كمل تفسير سورة الكهف، وبتمامها تمَّ جميع النصف من البقرة من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين يتلوه إن شاء الله تفسير سورة مريم عليها السلام)<sup>(١)</sup>.

= الله من الله، أي: بلا واسطة، وهو متعدد، فهو حروف وكلمات، وسور وآيات، وهو سبحانه يتكلم بما شاء، إذا شاء، كيف شاء، كما أخبر أنه قال، ويقول، ونادى، وينادي، كما دلَّت على ذلك الآيات. والله أعلم.

(١) كذا في ب، وورد في أ هكذا: «كمل الجزء الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ويتلوه الثاني إن شاء الله، ومن الله أرجو العون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وورد في ج هكذا: «كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله، وبتمامها تم السفر الأول، ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالى سورة مريم عليها السلام، وصلى الله على محمد». ولم يرد في د، هـ.



## (١) ﴿سورة مريم عليها السلام﴾

[﴿كَبِيعَصَ ١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءُ خَفِيًّا ٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥﴾ يَرِنُنِّي وَإِثْرٌ مِنَ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾ بَنَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَابِتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١﴾ يَبِيحُ خُذِ الصِّكْرَ يَفُوقِ وَمَآ تَبْنِيهِ الْخُكْمَ صَبِيًّا ١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَتْ تَقِيًّا ١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥﴾] .

﴿كَبِيعَصَ ١﴾ ﴿قد تكلمنا في «البقرة» على حروف الهجاء (٢) .

وقيل في هذا: إن الكاف من «كريم» أو «كبير» أو «كاف»، والهاء من

(١) في ب، ج هنا زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا».

(٢) انظر (١/٢٦١).

«هادي»، والياء من «علي»، والعين من «عزيز» أو «عليم»، والصاد من «صادق».

وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: «يا كهيعص»<sup>(١)</sup> فيَحْتَمِلُ:

أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى.

أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف.

﴿ذِكْرُ﴾ تقديره: هذا ذكر.

﴿عَبْدُ زَكْرِيَّا﴾ وصفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وتقريبه.

ونصب ﴿عَبْدُ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿رَحِمْتَ﴾؛ فإنها مصدرٌ أُضيف إلى الفاعل، ونُصِبَ المفعول.

وقيل: هو مفعول بفعلٍ مضمر، تقديره: رَحِمَ عبده، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطعُ العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ يعني: دعاه.

﴿يَدَّاءُ خَفِيًّا﴾ أخفاه:

لأن الله يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء.

أو لئلا يلومه الناس على طلب الولد.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٤٥١).

﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي: ضعف.

﴿وَأَشْتَعَلَ﴾ استعارة للشيب، من اشتعال النار.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: قد سعدتُ بدعائي لك فيما تقدّم، فاستجب لي في هذا، فتوسّل إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ﴾ يعني: الأقارب:

قيل: خاف أن يرثوه دون نسله.

وقيل: خاف أن يضيّعوا الدين من بعده.

﴿مِنْ وَرَاءِي﴾ أي: من بعدي.

﴿عَاقِرًا﴾ أي: عقيمًا.

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يعني: وارثًا.

﴿يَرِثُنِي﴾ قيل: يعني وراثته المال.

وقيل: وراثته العلم والنبوة، وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»<sup>(١)</sup>.

وكذلك يرث من آل يعقوب العلم والنبوة، وقيل: الملك.

ويعقوب هنا: هو يعقوب بن إسحاق على الأصح.

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٩٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (٩٨/٦)، وهو في الصحيحين بلفظ: «لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨).

﴿رَضِيًّا﴾ أي: مرضي<sup>(١)</sup>، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني مَنْ سُمِّيَ باسمه.

وقيل: مثيلاً ونظيراً.

والأول أحسن هنا.

﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ﴾ تعجَّب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعُقم امرأته، فسأل ذلك أولاً؛ لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجَّب منه؛ لأنه نادر في العادة.

وقيل: سألوه وهو في سنٍّ من يرجوه، وأُجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ.

﴿عِتَبًا﴾ قيل: يُتَبَّأ في الأعضاء والمفاصل.

وقيل: مبالغة في الكِبَر.

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع؛ أي: الأمر كذلك؛ تصديقاً له فيما ذكر من كِبَره وعُقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾، ثم يبدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.

وقيل: إن الكاف في موضع نصب بـ ﴿قَالَ﴾، و﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى مبهم يفسره: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾.

﴿أَحْمَلْ لِيْ ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأته.

﴿سَوِيًّا﴾ أي: سليماً غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في

(١) في د: «مرضياً».

﴿تُكَلِّمُ﴾، والمعنى: أنه لا يكلمُ الناس مع أنه سليم من الخرس.

وقيل: إن ﴿سَوِيًّا﴾ يرجع إلى الليالي؛ أي: مستويات.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار.

وقيل: كتبه في التراب؛ إذ كان لا يقدر على الكلام.

﴿أَن سَبِّحُوا﴾ قيل: معناه: صلُّوا، والسُّبُّحَةُ في اللغة: الصلاة.

وقيل: قولوا<sup>(١)</sup>: سبحان الله.

﴿يَبْلِغُ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته: يا يحيى.

﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة.

﴿يَقْوَةَ﴾ أي: في العلم به، والعمل به.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الحكم: معرفة الأحكام.

وقيل: الحكمة.

وقيل: النبوة.

﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه: رحمة.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان!<sup>(٢)</sup>

﴿وَرَزَقًا﴾ أي: طهارة.

وقيل: ثناء، كما يزكي الشاهد.

(١) في أ، ب: «قوله».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٧/١٥).

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ﴾ (١١) فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ﴾ (١٢) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ﴾ (١٣) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ﴾ (١٤) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۖ﴾ (١٥) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لُكُومًا لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ (١٦) ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ ۖ﴾ (١٧) مَكَانًا قَصِيًّا ۖ﴾ (١٨) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۖ﴾ (١٩) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۖ﴾ (٢٠) وَهَزَيْتِ إِلَيْكِ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حِينًا ۖ﴾ (٢١) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ﴾ (٢٢) فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۖ﴾ (٢٣) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ۖ﴾ (٢٤) يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۖ﴾ (٢٥) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ۖ﴾ (٢٦) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ﴾ (٢٧) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ﴾ (٢٨) وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ﴾ (٢٩) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ﴾ (٣٠) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ﴾ (٣١) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ﴾ (٣٢) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ﴾ (٣٣) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّسْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ﴾ (٣٤) أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ﴾ (٣٥) وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ (٣٦) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٣٧) .

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن.

﴿إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت.

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: إلى جهة الشرق<sup>(١)</sup>، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل.

وقيل: عيسى.

والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ ﴿٧﴾ لما رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها؛ خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني؛ فإني أعوذ بالله منك.

وقيل: إن ﴿نَقِيًّا﴾ اسم رجل معروف بالشر عندهم، وهذا ضعيف بعيد.

﴿لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾: هو عيسى عليه السلام.

وقرئ: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الرب عز وجل.

وقرئ بهمزة المتكلم، وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه:

لأنه هو الذي أرسله الله بها.

أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغي: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغي: فعول.

(١) في ب: «المشرق».

﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً﴾ الضمير للولد، واللام تتعلق بمحذوف تقديره: لنجعله آية فعلنا ذلك.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانية أشهر.

وقال ابن عباس: حملته وولده من ساعته<sup>(١)</sup>.

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيدًا، وإنما بُعِدَتْ حياءً من قومها أن يظنوا بها شرًّا.

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ معناه: أَلْجَأَهَا، وهو منقول من «جاء» بهمزة التعديّة.

﴿الْمَخَاضُ﴾ أي: النَّفَاس.

﴿إِلَى جَنِّجِ النَّخْلَةِ﴾ رُوي أنها احتضنت الجذع؛ لشدة وجع النفاس.

﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ﴾ إنما تَمَنَّتِ الموت خوفًا من إنكار قومها، وظنهم بها

الشر، ووقوعهم في ذمها، وتمني الموت جائز في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضرّ نزل بالبدن؛ فإنه منهي عنه.

﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ النَّسِيُّ: الشيء الحقير الذي لا يُؤْبَهُ له<sup>(٢)</sup>، ويقال بفتح

النون وكسرهما.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرئ «من» بفتح الميم وكسرهما، وقد اختلف على كلتا

القراءتين: هل هو جبريل أو عيسى؟.

وعلى أنه جبريل:

قيل: إنه كان تحتها كالقابلة.

(١) في أ: «ساعة».

(٢) في ج، د، هـ: «به».



وقيل: كان في مكانٍ أسفل من مكانها.

﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ تفسيرٌ للنداء، فـ «أَنْ» مفسّرة.

﴿سَرِيًّا﴾ يعني: جدولاً، وهو ساقيةٌ من ماء كان قريباً من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسّره بذلك<sup>(١)</sup>.

وقيل: يعني عيسى؛ فإن السريَّ الرجلُ الكريم.

﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كان جذعاً يابساً، فخلق الله فيه الرطب؛ كرامةً لها وتأنيساً.

وقد استدللَّ بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبّب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهزّ النخلة.

والباء في ﴿يَجْذَعُ﴾ زائدة، كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿تَسْقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل به ﴿تَسْقُطُ﴾ النخلة.

وقرىء بالياء؛ والفاعل - على ذلك - الجذع.

و﴿رُطْبًا﴾ تمييز.

والجنيُّ معناه: الذي طاب وصلاح لأن يُجتنى.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السري.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢٤٢/١) من حديث البراء مرفوعاً، ورواه الطبري في تفسيره عن البراء موقوفاً (٥٠٦/١٥).

﴿وَفَرَىٰ عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسًا بما فعل<sup>(١)</sup> الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير المأكل والمشروب.

﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة للتأكيد، و﴿تَرَيَنَّ﴾ فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة؛ للتأكيد.

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا عن الكلام.

وقيل: تعني: الصيام؛ لأن من شرطه في شريعتهم الصمت.

وإنما أُمِرَت بالصمت؛ صيانةً لها عن الكلام مع المتهمين لها، و<sup>(٢)</sup>لأن عيسى تكلم عنها.

وإخبارها<sup>(٣)</sup> بأنها نذرت الصمت<sup>(٤)</sup> كان بهذا الكلام.

وقيل: بالإشارة.

ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت به من المكان القصي إلى قومها.

﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعًا، وهو من الفرية.

(١) في ج، د: «جعل».

(٢) في د: «أو».

(٣) في ب، هـ: «فإخبارها».

(٤) في هـ: «الصوم».

﴿يَتَأَخَّتَ هَرُونَ﴾ كان هارون عابداً من <sup>(١)</sup> بني إسرائيل، شُبِّهَتْ به مريم في كثرة العبادة؛ ف قيل لها: أخته، بمعنى: أنها تشبهه.

وقيل: كان أخاها من أبيها، وكان رجلاً صالحاً.

وقيل: هو هارون النبي أخو موسى، وكانت من ذريته، ف«أخت» على هذا كقولك: «أخو بني فلان»؛ أي: واحد منهم.

ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة؛ فإن بين زمانهما دهرًا طويلاً.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ولدها ليتكلم، وصممت هي كما أمرت.

﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ «كان» بمعنى: يكون، والمهد: هو المعروف.

وقيل: المهد هنا: حجرها.

﴿وَأَتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ يعني: الإنجيل، أو التوراة والإنجيل.

﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة.

وقيل: نفاع.

وقيل: معلّم للخير.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ هما المشروعتان.

وقيل: الصلاة هنا: الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب.

(١) في دها: «في».

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾ ، روي أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال، على عادة البشر.

وفي كلامه هذا ردٌّ على النصارى؛ لأنه اعترف أنه عبد الله، وردَّ على اليهود؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا؛ لتقدُّم السلام المنكَّر في قصة يحيى، فهو كقولك: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل.

وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريضٌ بلعنة من اتَّهم مريم؛ كأنه قال: السلام كلُّه عليَّ لا عليكم، بل عليكم ضده<sup>(١)</sup>.

﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق، أو بدلٌ، أو خبرٌ بعد خبر.

وبالنصب: منصوب على المدح بفعل مضمَر، أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدِّم.

﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون؛ فهو من المراء.

أو: يشكُّون؛ فهو من المِرية.

والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى.

وقرئ بفتح الهمزة: تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

(١) انظر: الكشاف (١٧/١٠).

وبكسرهما : لا ابتداء الكلام .

وقيل : هو من كلام النبي ﷺ ، والمعنى : يا محمد ! ، قل لهم : ذلك عيسى بن مريم ، وإن الله ربي وربكم .

والأول أظهر .

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب : اليهود والنصارى ؛ لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافاً شديداً ، فكذبته اليهود وعبدته النصارى ، والحق خلاف أقوالهم كلها .

﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ معناه : من تلقائهم ، ومن أنفسهم ، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم .

﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني : يوم القيامة .

﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ أي : ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة ، على أنهم في الدنيا في ضلال مبين .

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، يا أهل النار خلود لا موت .

وقيل : هو يوم القيامة .

وانتصاب ﴿يَوْمٍ﴾ على المفعولية ، لا على الظرفية .

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني : في الدنيا ، فهو متعلق<sup>(١)</sup> بقوله : ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ، أو بـ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾ .

(١) في ب ، هـ : «يتعلق» .

[وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ① إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ مَا لَا بَشَأَ فِيهِ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُفْقَهُ عَنكَ شَيْئًا ② يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ③ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ④ يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ⑤ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِتِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ⑥ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ⑦ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ⑧ فَلَمَّا أَغْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ⑨ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ⑩].

﴿صِدِّيقًا﴾ بناءً مبالغة من الصدق، أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي، نبي بعده.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ جَمَعَ <sup>(١)</sup> الْوَصْفَيْنِ.

﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام.

﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي: قويمًا.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني: الرجم بالحجارة.

وقيل: الشتم.

﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ أي: حينًا طويلًا، وعطف ﴿وَأَهْجُرَنِي﴾ على محذوف،

(١) في ج زيادة «بين».

تقديره: احذر رجمي لك.

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ﴾ هو وداعٌ ومفارقة.

وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعدٌ، وهو الذي أُشير إليه في قوله: ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

قال ابن عطية: معناه: سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك؛ وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز<sup>(١)</sup>.

وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره؛ ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوّي هذا القول قوله: ﴿وَأَغْفِرْ لِي﴾ إِنَّكَ كَانَ مِنْ الصَّالِّينَ ﴿[الشعراء: ٨٦]، ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»<sup>(٢)</sup>.

﴿حَفِيًّا﴾ أي: بارًا متلطّفًا.

﴿وَأَعَزَّزْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون.

﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه، وهبهما الله عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ النبوة.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣٩/٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

وقيل : المال والولد .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني : الشئ الباقي عليهم إلى آخر الدهر .

.....



[وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ  
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِينًا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ  
إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ  
عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا  
﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾  
﴿٥٩﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَنْ  
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي  
وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا نَأْتِي ﴿٦٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ  
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٣﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٤﴾ وَمَا نُنَزِّلُ  
إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَمَا هُمْ بِقَائِلِينَ بِهِ ذَلِكُمْ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٥﴾ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٦﴾].

﴿مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام: أي: أخلص نفسه وأعماله لله.

وبفتحها: أي: أخلصه الله للنبوة والتقريب.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله إليه،  
ولا يكون رسولاً حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبي،  
وليس كل نبي رسولاً.

﴿وَنَذَيْتُهُ﴾ هو تكليم الله له.

﴿الطُّورِ﴾ هو الجبل المشهور بالشام.

﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيُمْنِ .

﴿يَحْيَى﴾ النجى : فعيل ، وهو المنفرد بالمناجاة .

وقيل : هو من النجاة .

والأول أصح .

﴿مَنْ رَحِمْنَا﴾ «من» : سببية ، أو للتبعية .

و﴿أَخَاهُ﴾ :

على الأول : مفعول .

وعلى الثاني : بدل .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ روي أنه وعد رجلاً إلى مكان ، فانتظره فيه سنة .

وقيل : الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبيح في قوله : ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ

اللَّهُ مِنْ الْقَصِيرِينَ﴾ [الصفحات : ١٠٢] ، وهذا يدل على قول من قال : إن الذبيح هو إسماعيل .

﴿إِذْ رُسُّهُ﴾ هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم ، وهو أول من خط

بالقلم ، ونظر في علم النجوم ، وخاط الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام .

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس : رفعه الله إلى السماء ، وهناك

مات ، وفي حديث الإسراء : أنه في السماء الرابعة<sup>(١)</sup> .

وقيل : يعني : رفعة النبوة وتشريف منزلته .

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

والأول أشهر، ويرجّحه الحديث.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى كل مَنْ ذكر في هذه السورة، من زكرياء إلى إدريس.

﴿مِنَ النَّبِيِّنَ﴾ «مِنْ» هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض.

﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يعني: نوحًا وإدريس.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني: إبراهيم.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

﴿وَأِسْرَءِيلَ﴾ يعني: أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا

ويحيى.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يَحْتَمِلُ العطف على «مِن» الأولى، أو الثانية.

﴿وَرُكِّنَا﴾ جمع بالك، ووزنه فُعُول.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عَقِبِ الخير: خَلَفَ - بفتح اللام -،

وفي عقب الشر: خَلَفَ - بالسكون - وهو المعنيُّ هنا.

واختلف فيمن المراد بذلك؟

ف قيل: النصارى؛ لأنهم خلفوا اليهود.

وقيل: كلُّ من كفر وعصى مِنْ بعد بني إسرائيل.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها.

﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغيُّ: الخسران.

وقد يكون بمعنى الضلال ؛ فيكون على حذف مضاف تقديره : يلقون جزاء غي .

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناءٌ يَحْتَمِلُ الاتِّصَالَ وَالانْقِطَاعَ .

﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي : أَخْبَرَهُمْ مِنْ ذَلِكَ <sup>(١)</sup> بما غاب عنهم .

﴿مَأْتِيًا﴾ وزنه مفعول ؛ فقيل : إنه بمعنى فاعل ؛ لأن الوعد هو الذي يأتي .

وقيل : إنه على بابه ؛ لأن الوعد هو الجنة ، وهم يأتونها .

﴿لَقَوْمًا﴾ يعني : ساقط الكلام .

﴿إِلَّا سَلَمًا﴾ استثناءٌ منقطع .

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل : المعنى : أن زمانهم يُقَدَّرُ بالأيام والليالي ؛ إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل .

وقيل : المعنى : أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه ، وعبر عن ذلك بالبُكرة والعشي ؛ على عادة الناس في أكلهم <sup>(٢)</sup> .

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له : «أبطأت عني واشتقت إليك» ، فقال : «إني كنت أشوق ، ولكنني عبدٌ مأمور ؛ إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتبست» ، ونزلت هذه الآية <sup>(٣)</sup> .

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي : له ما قُدَّامنا وما خلفنا ،

(١) في ب ، ج : «بذلك» .

(٢) في هـ : «في كلامهم» .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤١٤/٧) .

وما نحن فيها<sup>(١)</sup> من الجهات والأماكن؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ما بين النفختين.

وقيل: ما مضى من أعمارنا، وما بقي منها، والحال التي نحن فيها. والأول أكثر مناسبة لسبب الآية.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول. وقيل: بمعنى الترك.

والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلاً ونظيراً، فهو من المسامي والمضاهي.

وقيل: مَنْ يُسَمَّى باسمه؛ لأنه لم يتسم بالله غيره تعالى.



(١) في ج، هـ: «فيه».

[وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا ۖ ﴿٧١﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۖ ﴿٧٢﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۖ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۖ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ أَنْقَرُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ۖ ﴿٧٧﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ ﴿٧٨﴾ وَكَذَٰلِكَ أَهْلَكَمَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ۖ ﴿٧٩﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۖ ﴿٨٠﴾ وَبَيِّنَاتٍ الْفَلِاحِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۖ ﴿٨١﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۖ ﴿٨٢﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ ﴿٨٣﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ ﴿٨٤﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۖ ﴿٨٥﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ ﴿٨٦﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِئَانِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۖ ﴿٨٧﴾] .

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا ۖ﴾ ﴿٧١﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور .

والإنسان هنا : جنس يراد به الكفار .

وقيل : إن القائل لذلك أبي بن خلف ، وقيل : أمية بن خلف .

والهمزة التي دخلت على ﴿أَإِذَا مَا مِثْ﴾ للإنكار والاستبعاد .

واللام في قوله : ﴿لَسَوْفَ﴾ سبقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى .

والإخراج يراد به : البعث .

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليل على الثانية.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قُرَاءَهُم من الشياطين الذين أضلّوهم.

والواو:

للعطف.

أو بمعنى «مع»؛ فيكون ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ مفعولاً معه.

﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاثٍ، ووزنه فُعُول، من قولك: جثا الرجل: إذا جلس جلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَزَعَهُنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب، أو أتباع إنسان.

ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها، فيقدّمه إلى النار.

وقال بعضهم: المعنى: نبدأ بالأكبر جُرْماً فالأكبر جُرْماً.

﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه:

فقال سيبويه: هو مبني على الضم؛ لأنه حُذِفَ العائدُ عليه من الصلة - وكان التقدير: «أَيُّهُمْ هو أشدُّ» - فوجب البناء.

وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له أشدُّ.

وقال يونس: عُلقَ عنها الفعل، وارتفعت بالابتداء.

﴿أَوَّلَىٰ بِهَا صُلًى﴾ الصُّلَى: مصدر: صُلِيَ النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم

من هو أولى بأن يُصلى العذاب.

﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور.

فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تحمّد فلا تضرّهم، فالورود على هذا بمعنى<sup>(١)</sup>: الدخول، كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُّونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] و﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [مرد: ٩٨].

وقيل: الورد بمعنى القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [الفصص: ٢٣] والمراد بذلك: جواز الصراط.

وقيل: الخطاب للكفار؛ فلا إشكال.

﴿حَتَّى﴾ أي: أمرًا لا بدّ منه.

﴿ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إن كان الورد بمعنى الدخول: فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردًا وسلامًا، ثم بالخروج منها.

وإن كان بمعنى المرور على الصراط: فنجاتهم بالجواز، والسلامة من الوقوع فيها.

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان: هم المؤمنون والكفار.

والمقام: اسم مكان من قام.

وقرئ بالضم؛ من أقام.

والندي: المجلس.

(١) في أ، ب، هـ: «المعنى».



ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقامًا؛ أي: أحسن حالًا في الدنيا، وأجمل مجلسًا؛ فنحن أكرم على الله منكم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ ﴿كَمْ﴾ مفعول بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

ومعنى الآية: ردُّ على الكفار في قولهم المذكور؛ أي: ليس حُسْنُ الحال في الدنيا دليلًا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالًا منكم في الدنيا.

﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ ﴿كَمْ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَتْنَا﴾ أي: متاع البيت.

وقال ابن عطية: هو اسمٌ عام في المال؛ العين والعَرَضُ<sup>(٢)</sup> والحيوان<sup>(٣)</sup>. وهو اسم جمع.

وقيل: هو جمع، واحده أثاث.

﴿وَرِيَاءَ﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرِّي: اسم المرئي.

وقرئ بتشديد الياء من غير همز، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق. وقيل: هو من رِيَّ الشارب؛ أي: التنعم بالمشارب والمآكل.

(١) انظر: الكشاف (٨٣/١٠).

(٢) في د: «والعروض».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦٠/٦).

وقرأ ابن عباس: «زَيًّا» بالنزاي.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: يممهله ويُملي له، واختلف هل هذا الفعل دعاء، أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيداً؟.

﴿حَتَّى﴾ هنا: غاية للمد في الضلال.

﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾ يعني: عذاب الدنيا.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَالْبَقِيَّةُ الْفَاحِشَةُ﴾ ذكر في «الكهف»<sup>(١)</sup>.

﴿وَحَيْرٌ مَرْدًا﴾ أي: مرجعاً وعاقبة.

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل.

﴿وَقَالَ لَاؤْتِيَنِي مَالًا وَّوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بُعثت كما يزعم محمد ليكونن لي هناك مال وولد.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عن كلامه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلاً؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل.

﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه.

﴿وَنَرِئُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرت الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد.

ووراثتها: هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمر بن الخطاب.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمعبودين، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للكفار، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أمّلوه منهم، فيصير العز الذي أمّلوه ذلة.

وقيل: معناه: أعداء.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ ٨٢ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ٨٣ ﴿يَوْمَ نَخْتَرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ٨٤ ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ ٨٥ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ٨٦ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٧ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٨ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ ٨٩ ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩٠ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ٩٢ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ٩٣ ﴿وَكُلُّهُمْ عِندَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٩٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ٩٥ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ٩٦ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخَشِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ٩٧ ﴿﴾].

﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تضمّن معنى: «سلطانا»، ولذلك تعدّى بـ «على».

﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ أي: تُزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطن عذابهم وتطلب تعجيله.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ أي: نعدّ مدّة بقائهم في الدنيا.

وقيل: نعدّ أنفاسهم.

﴿وَفْدًا﴾ قيل: معناه: ركباً<sup>(١)</sup>، ومعنى الوفد لغة: القادمون، وعادتهم الركوب؛ فلذلك قيل ذلك.

وقيل: مُكرّمون؛ لأن العادة إكرام الوفود.

(١) في د: «ركباناً».

﴿وَرَدًا﴾ معناه: عطاش<sup>(١)</sup>؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ الضمير يحتمل:

أن يكون للكفار، والمعنى: لا يملكون أن يُشفع لهم، ويكون ﴿مَنْ أَخَذَ﴾ استثناءً منقطعاً، بمعنى «لكن».

أو يكون الضمير للمتقين، فالاستثناء متصل، والمعنى:

لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهداً.

أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهداً.

أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك؛ فالاستثناء - أيضاً - متصل، و﴿مَنْ أَخَذَ﴾: يحتمل أن يراد به الشافع، أو المشفوع له.

﴿عَهْدًا﴾ يريد به: الإيمان والأعمال الصالحة.

ويحتمل أن يريد به: الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ١٠٩].

والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسى نفسى»<sup>(٢)</sup>.

﴿شَيْئًا إِذَا﴾ أي: شيئاً صعباً.

﴿يَنْفَقَرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يتشققن من قول الكفار: اتخذ الله ولداً.

(١) في د: «عطاشاً».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

﴿هَذَا﴾ أي : انهدامًا .

﴿أَنْ دَعَوْا﴾ أي : من أجل أن دعوا للرحمن وَلَدًا .

وقرى ﴿وَلَدًا﴾ بضم الواو وإسكان اللام ، وهي لغة .

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ردُّ على مقالة الكفار ، والمعنى : أن الكل عبيده ؛ فكيف يكون أحد منهم وَلَدًا له ؟ ! .

و﴿إِنْ﴾ نافية ، و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿إِنِّي الرَّحْمَنُ﴾ .

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ هو المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده .

وقيل : إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام .

﴿يَسْرَتُهُ﴾ الضمير للقرآن ، و﴿يَلْسَانُكَ﴾ أي : بلغتك .

﴿قَوْمًا لَدَّا﴾ جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك : قريش .

وقيل : معناه : فُجَّارًا .

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي ، والمعنى : أنهم لم يبق منهم أثر ، وفي ذلك تهديد لقريش .

## ﴿سورة طه﴾

[طه ١] مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ إِلَّا نَذِيرَةً لِّمَن يَخْشَى ٣ تَزِيلًا مِّمَّنْ  
 خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ ٱلْعُلَى ٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ٱسْتَوَى ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا  
 فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ٦ وَإِن يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ٧  
 ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ٨ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٩ إِذْ رَأَى  
 نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدًا عَلَى النَّارِ هُدًى  
 ١٠ فَلَمَّا أَنهَا تُودَى بِمُوسَى ١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ  
 طُوًى ١٢ وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ١٣ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ  
 الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ١٥  
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ١٦ وَمَا تِلْكَ بِسَمِيكَ بِمُوسَى  
 ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَآرِبُ أُخْرَى ١٨  
 قَالَ أَلْقِهَا بِمُوسَى ١٩ فَٱلْقَنَآءُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا  
 سِيرَتَهَا ٱلْأُولَى ٢١ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِثْلِ غَيْرِ سُوءِ ءَايَةِ أُخْرَى ٢٢  
 لِزَيْكٍ مِّنْ ءَايَتِنَا ٱلْكُبْرَى ٢٣ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٢٤ ]

قيل في ﴿طه ١﴾ : إنه من أسماء النبي ﷺ .

وقيل : معناه : يا رجل .

وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول «البقرة»<sup>(١)</sup> .

(١) انظر (١/ ٢٦١) .

﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ❶ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورّمت قدماه، فنزلت الآية؛ تخفيفاً عنه، فالشقاء على هذا: إفراط التعب في العبادة.

وقيل: المراد به: التأسف على كفر الكفار.

واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل ❶ عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا نَذْكِرْهُ﴾ نصبٌ على الاستثناء المنقطع.

وأجاز ابن عطية أن يكون بدلاً من موضع ﴿لِتَشْقَى﴾؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله ❷، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجنس ❸.

ويصح أن ينصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكراً.

﴿تَنزِيلًا﴾ نصبٌ على المصدرية، والعامل فيه: مضمر، أو ﴿مَا أُنزِلْنَا﴾.

وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَا أُنزِلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآية، وذلك هو الالتفات.

﴿وَالْتَنَوَتْ الْعُلَى﴾ جمع عُليا.

﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ تكلمنا عليه في «الأعراف» ❹.

(١) في ج: «نزل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧٩/٦).

(٣) انظر: الكشاف (١٢٤/١٠).

(٤) انظر (٣٤٩/٢).



﴿الَّتَرَى﴾ هو في اللغة: التراب الندي، والمراد به هنا: الأرض.

﴿وَأِنْ نَجْهَرُ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى.

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر: الكلام الخفي، والأخفى: ما في النفس.

وقيل: السر: ما في نفوس البشر، والأخفى: ما انفرد الله بعلمه.

﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تكلمنا عليها في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ لفظه استفهام، والمراد به: التنبيه.

﴿إِذْ رَأَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿حَدِيثُ﴾؛ لأن فيه معنى الفعل.

وكان من قصة موسى: أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، فقدمه بزئده<sup>(٢)</sup> فلم ينقدح، فرأى ناراً فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون.

﴿ءَأَسْتُنَّارًا﴾ أي: رأيت.

﴿يَقْبَسِ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبه ونحوها.

﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني: هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة.

(١) انظر (٢/٤٢٠).

(٢) في ج: «بزئاده».

واختار ابن عطية: أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب، ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله<sup>(١)</sup>، وهذا أحسن.

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر.

﴿طَوًى﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي<sup>(٢)</sup>، وإعرابه على هذا: بدل، ويجوز تنوينه؛ على أنه مكان، وترك صرفه؛ على أنه بقعة.

والثاني: أن معناه: مرتين، فإعرابه على هذا: مصدر؛ أي: قدس الوادي مرة بعد مرة، أو تُودي موسى مرة بعد مرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قيل: المعنى: لتذكرني فيها.

وقيل: لأذكرك بها.

فالمصدر:

على الأول: مضاف للمفعول.

وعلى الثاني: مضاف للفاعل.

وقيل: معنى ﴿لِذِكْرِي﴾: عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

الشَّمْسِ ﴿[الإسراء: ٧٨] أي: عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي ﷺ

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/٨٢).

(٢) في ب: «الوادي».

استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناس إذا ذكرها<sup>(١)</sup>.

﴿أَكَادُ أَخْفِيَا﴾ اضطرب الناس في معناه:

ف قيل: ﴿أَخْفِيَا﴾ بمعنى أظهرها، وأخفيت - على هذا - من الأضداد.

وقال ابن عطية: هذا قول مختل<sup>(٢)</sup>؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالآلف، من الإخفاء، وخفى بغير ألف بمعنى: أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: «أخفيها» بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك في الشاذ.

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفى<sup>(٣)</sup>؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة.

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾ بمعنى «أريد»، فالمعنى: أريد إخفاءها.

وقيل: المعنى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ﴾، وتمّ هنا الكلام، بمعنى: أكاد أنفيها؛ لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: ﴿أَخْفِيَا﴾.

وقيل: المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؟!.

وهذه الأقوال ضعيفة.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك» ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرٍ﴾.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨٥/٦).

(٣) انظر: الكشف (١٤٧/١٠).

وإنما الصحيح أن المعنى : أن الله أبهم وقت الساعة فلم يُطْلِع عليه أحداً<sup>(١)</sup> ؛ حتى إنه كاد أن يُخْفِيَ وقوعها ؛ لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها ؛ إذ أخبر بوقوعها ، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة ، و«كاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ، وهذا المعنى هو اختيار المحققين .

﴿لَتُجْزَى﴾ يتعلّق بـ ﴿ءَايَةً﴾ .

﴿بِمَا تَسْعَى﴾ أي : بما تعمل .

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة ، أي : لا يصدّك عن الإيمان بها والاستعداد لها .

وقيل : الضمير للصلاة ، وهو بعيد .

والخطاب لموسى عليه السلام .

وقيل : لمحمد ﷺ ، وذلك بعيد .

﴿فَرَدَى﴾ معناه : تَهْلِك ، والرَدَى : هو الهلاك ، وهذا الفعل منصوب في جواب : ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ .

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْسِكُ﴾ (١٧) إنما سألّه ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حياة ، فمعنى السؤال : تقرير على أنها عصا ؛ ليتبيّن له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن يقلبها .

وقيل : إنما سألّه ليؤنسه ويُسِّطه بالكلام .

(١) في ب ، هـ : «أحد» .

﴿وَأَهَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ معناه: أضرب بها الشجر؛ ليتثر<sup>(١)</sup> الورق للغنم.

﴿مَنَارِبُ﴾ أي: حوائج.

﴿حَيْثُ نَسَعِي﴾ أي: تمشي.

﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يعني: أنها لما أخذها عادت كما كانت أول مرة.

وانتصب ﴿سِيرَتَهَا﴾ على أنه: ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَأَضْمُكُمْ إِلَيَّ جَنَاحَكَ﴾ الجناح هنا: الجنب؛ أي: تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر.

﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ﴾ روي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس.

﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة.

﴿لِزَيْنِكَ مِنْ ءَايَتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٣﴾ يحتمل أن تكون ﴿الْكُبْرَى﴾:

مفعول ﴿لِزَيْنِكَ﴾.

وأن تكون صفةً للآيات.

ويختلف المعنى على ذلك.



(١) في ج: 'ليتشر'.

**فالجواب: أن ذلك تأكيدٌ وتحقيقٌ للرغبة.**

﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ﴾ العُقْدَةُ: هي التي اعترته بالجمره حين جعلها في فيه <sup>(١)</sup> وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجربه <sup>(٢)</sup>.

وإنما قال: ﴿عُقْدَةً﴾ بالتنكير؛ لأنه طلب حل بعضها؛ ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزَيْرًا﴾ أي: مُعِينًا، وإعراب ﴿هَكَرُونَ﴾: بدل.

أو مفعول أول.

﴿أَزْرَى﴾ أي: ظهري، والمراد: القوة، ومنه: ﴿فَنَازَرُهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قَوَاه.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة. إذ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمِكَ ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ﴾: وحي كلام بواسطة ملك.

أو وحي إلهام، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

﴿مَا يُوحَىٰ﴾ إلهام، يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنِ اقْدِرْ فِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِرْ فِي الْيَمِّ﴾ الضمير الأول: لموسى.

والثاني: للتابوت، أو لموسى.

(١) في د، هـ: «فمه».

(٢) في ج: «يذبحه».

وَالْيَمُّ: البحر، والمراد به هنا: النيل.

وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تُلقيه في التابوت وتلقي التابوت في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يُشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه، وامرأته معه<sup>(١)</sup> ففتح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولداً فأباح لها ذلك.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَمْ يَكُنْ﴾ هو فرعون.

﴿مَحَبَّةً مِنِّي﴾ أي: أحبتك.

وقيل: أراد: محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه.

وقيل: أراد: محبة امرأة فرعون ورحمتها له.

وقوله: ﴿مِنِّي﴾ يحتمل:

أن يتعلق بقوله: ﴿وَالْقَيْتُ﴾.

أو يكون صفة لـ ﴿مَحَبَّةً﴾ فيتعلق بمحذوف<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيْ﴾ أي: تُربى ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ<sup>(٣)</sup>.

(١) في ج: «حوله».

(٢) قال في الكشف (١٠/ ١٧٠): «وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لـ ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبة حاصلة أو واقعة مني».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «تُربى ويحسن إليك»، أقول: هذا صحيح، وهو الذي يقتضيه السياق وتدل عليه الجملة، فقوله: «تُربى»، هو معنى نُصْنَع، وقوله: «بمرأى مني» يدل له قوله تعالى: ﴿عَلَى عَيْنَيْ﴾، فدللت الآية على إثبات العين لله =



والعامل في ﴿وَلْتَصْنَعْ﴾ محذوف.

﴿إِذْ نَسِيتُ أَخْتَكِ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ :  
﴿تَصْنَعُ﴾.

أو ﴿وَالْقَيْتُ﴾.

أو فعل مضمّر تقديره : ومنّا عليك .

﴿فَنَقُولْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة، فطلبوا له  
مرضعة، فقالت أخته ذلك ؛ ليردّ إلى أمّه .

﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾ يعني : القبطيّ الذي وكزه فقضى عليه .

﴿فَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني : الخوف من أن يُطلب بثأر المقتول .

﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي : اختبرناك اختبارًا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوّة  
والرسالة .

وقيل : خلّصناك من محنة بعد محنة ؛ لأنه خلّصه من الذبح ، ثم من البحر ،  
ثم من القصاص بالقتل .

والفتون يحتمل أن يكون : مصدرًا ، أو جمع فتنة .

﴿فَلَيْسَتْ سِينِينَ﴾ يعني : الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب .

= بلا كيف ، كما تفيدّه الإضافة ، وعلى أن الله يرى ، كما قال تعالى : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمُّ وَرَأَى﴾ ، وذكر الرؤية يقتضي الحفظ من كل شر ، ولم يتعرض المؤلف لإثبات العين  
أو نفيها ، فلهذا أثر الإمساك على طريقة أهل التفويض من النفاة لحقائق الصفات .  
وهو الغالب عليه ﷻ ، حسيما تقدم . والله أعلم .

﴿جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قَدَره الله <sup>(١)</sup> لنبتوك.

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ <sup>(٢)</sup> عبارة عن الكرامة والتقريب؛ أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني <sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا نِيَاءَ﴾ أي: لا تضعفا ولا تُقْصِرا، والونى: هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿أَنْ يَفْزُقَ﴾ أي: يَعْجَلَ بالشر.

﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: سرَّحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم، وتسخيرهم في خدمته، وإذلالهم.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ﴾ يعني: قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدَّها وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان، وهو معنى واحد.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَىٰ﴾ يحتمل أن يريد: التحية، أو السلامة.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يٰمُوسَىٰ﴾ <sup>(٤)</sup> أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه؛ لأنه

(١) في ب: «وقدرة الله».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ <sup>(١)</sup> عبارة عن الكرامة والتقريب، إلخ، صحيح، وقوله: عبارة، أي: الاصطناع عبارة عن الكرامة والتقريب، أي: معناه الكرامة والتقريب، فاصطنعتك أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني، وقوله تعالى: ﴿لِنَفْسِي﴾ أي: جعلتك من خاصتي، كقوله تعالى عن الملك: ﴿أَتُؤْتِي بِوَدٍّ﴾ يعني يوسف ﴿أَسْتَخْلِفُهُ لِنَفْسِي﴾.

الأصل في النبوة، وأخوه تابع له.

﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، فـ ﴿خَلَقَهُ﴾ على هذا بمعنى<sup>(١)</sup> المخلوقين، وإعرابه: مفعول أول، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول ثان.

وقيل: المعنى: أعطى كل شيء خلقته وصورته؛ أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى: الخلق، وإعرابه: مفعول ثان، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول أول.

والمعنى الأول أحسن.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي: هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم، وعلمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى: محاجةً ومناقضة لموسى؛ أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول، وروغاناً عنه وحيدة؛ لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، ثم عاد إلى وصف الله؛ رجوعاً إلى الكلام الأول.

﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

(١) في أ، ب: «على هذا المعنى».

﴿الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: فراشا.

وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتَّصف بها، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق أو شبه ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالط<sup>(١)</sup> ويدعي ذلك لنفسه.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: أنهج<sup>(٢)</sup> لكم فيها طرقاً<sup>(٣)</sup> تمشون فيها.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى، على تقدير: يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾.

ويحتمل أن يكون كلام موسى تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، ثم ابتدأ كلام الله.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافاً مختلفة.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك، فكانه أمر به.

﴿لِأَوَّلَى النَّهْيِ﴾ أي: العقول، واحداً نهية.

﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد: خَلَقَهُ<sup>(٤)</sup> آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني: بالدفن عند الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني: عند البعث.

(١) في ج، د: «يغالطه».

(٢) في ج، د: «أنهج»، وهما بمعنى واحد.

(٣) في ب، ج، د: «طريقاً».

(٤) في ج: «خَلَقَهُ».

[ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَىٰ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسِحْرُنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّكَ أَنْ تَلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآلَهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ بِخِطْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّمَا تَنَعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوَجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لِمَ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَاِبِرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأُزُجَّلكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ] .

﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني : الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم؛ فالإضافة في قوله : ﴿آيَاتِنَا﴾ تجري مجرى التعريف بالعهد؛ أي : آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفاً لها .

﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْعِدُ : اسْمٌ مُصَدَّرٌ ، أَوْ اسْمُ زَمَانٍ ، أَوْ اسْمُ مَكَانٍ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ : قَوْلُهُ : ﴿مَكَانًا سِوَى﴾ ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ بِقَوْلِهِ : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ؛ لِأَنَّهُ أَجَابَ بِظَرْفِ الزَّمَانِ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوْعِدَ اسْمُ زَمَانٍ : قَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ بِقَوْلِهِ : ﴿مَكَانًا سِوَى﴾ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْوَعْدِ : قَوْلُهُ : ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾ ؛ لِأَنَّ الْإِخْلَافَ إِنَّمَا يَوْصَفُ بِهِ الْوَعْدُ ، لَا الزَّمَانُ وَلَا الْمَكَانُ ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿مَكَانًا﴾ وَبِقَوْلِهِ : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ .

فَلَا بَدَّ عَلَى كُلِّ وَجْهِ مِنْ تَأْوِيلٍ ، أَوْ إِضْمَارٍ .

وَيَخْتَلِفُ إِعْرَابُ <sup>(١)</sup> قَوْلِهِ : ﴿مَكَانًا﴾ بِاخْتِلَافِ تِلْكَ الْوُجُوهِ :

فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَوْعِدُ اسْمَ مَكَانٍ : فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿مَوْعِدًا﴾ وَ﴿مَكَانًا﴾ مَفْعُولَيْنِ لِقَوْلِهِ <sup>(٢)</sup> : ﴿أَجْعَلْ﴾ ، وَيَطَابِقُهُ قَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى لَا مِنَ اللَّفْظِ ، وَذَلِكَ أَنَّ <sup>(٣)</sup> الْاجْتِمَاعَ فِي الْمَكَانِ يَقْتَضِي الزَّمَانَ ضَرُورَةً .

وَإِنْ كَانَ الْمَوْعِدُ اسْمَ زَمَانٍ : فَيَنْتَسِبُ قَوْلُهُ : ﴿مَكَانًا﴾ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفُ مَكَانٍ ، وَالتَّقْدِيرُ : مَوْعِدًا كَائِنًا فِي مَكَانٍ .

(١) سَقَطَتْ مِنْ أ ، ب ، هـ .

(٢) فِي ب : «بِقَوْلِهِ» .

(٣) فِي ب : «لِأَنَّ» .

وإن كان الموعد اسم مصدر: فينتصب ﴿مَكَانًا﴾ على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ على حذف مضاف تقديره: موعدكم وغد يوم الزينة.

وقرأ الحسن: «يوم الزينة» بالنصب، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف.

﴿مَكَانًا سَوًى﴾ معناه: مستو في القرب منا ومنكم.

وقيل: معناه: مستو في الأرض<sup>(١)</sup>، ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع.

وقرئ بكسر السين وضمها، والمعنى متفق.

﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم.

وقيل: يوم عاشوراء.

﴿وَأَنْ يُخْشَرَ﴾ عطف على ﴿الزَّيْنَةِ﴾، فهو في موضع خفض.

أو عطف على اليوم، فهو في موضع رفع.

وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبين الحق للناس.

﴿فَيَسْحَتُكُمْ﴾ معناه: يهلككم، ويقال: سَحَتِ وَأَسَحَتِ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها، والمعنى متفق.

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَجِرَيْنِ﴾ قرئ: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ بالياء، ولا إشكال في ذلك.

(١) في أ: «مستوي الأرض».

وقرئ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾، وهي مخففة من الثقيلة، وارتفع بعدها ﴿هَذَا﴾ بالابتداء.

وأما <sup>(١)</sup> قراءة نافع وغيره بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿هَذَا﴾:

ف قيل: ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى: «نعم»، فلا تنصب، ومنه ما روي في الحديث: «إِنَّ الحمد لله» بالرفع <sup>(٢)</sup>.

وقيل: اسم ﴿إِنَّ﴾ ضمير الأمر والشأن، تقديره: إِنَّ الأمر، و﴿هَذَا﴾ لَسَحَرَانِ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾.

وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلفظ بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء الشنية بالألف في حال النصب والخفض.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هذا مما لحن فيه كتاب <sup>(٣)</sup> المصحف <sup>(٤)</sup>.

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْأُولَى﴾ أي: يذهبا <sup>(٥)</sup> بسيرتكم الحسنة.

﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: اعزموا، وأنفذوه.

﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَعَى﴾ استدلل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لا حقيقة.

(١) في أ، ب زيادة: «على».

(٢) أخرجه أبو جعفر النحاس بإسناده في إعراب القرآن (٣/ ٣١).

(٣) في أ، ب، هـ: «كتاب».

(٤) انظر التعليق في (٢/ ١٣٢).

(٥) في أ، ب: «يذهب».



وقال بعضهم: إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق، وأوقدوا تحتها ناراً، وغطوا النار؛ لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم.

وقيل: جعلوها للشمس، فلما أحسَّ الزئبق بحرَّ النار أو الشمس سال، وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعباناً فابتلعها.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ «ما» هنا موصولة، وهي اسم «إِنَّ»، و﴿كَيْدٌ﴾ خبرها.

﴿ءَاَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ قَدَّمْ هنا <sup>(١)</sup> ﴿هَارُونَ﴾؛ لتعتدل <sup>(٢)</sup> رؤوس الآي وتكون على الألف.

﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوف على ﴿مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾.

وقيل: هي واو القسم.

﴿هَذِهِ الْحَيَاةُ﴾ نصب على الظرفية؛ أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّكُمْ مَن يَأْتِ رَبَّهُ تُجْرِمًا﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون؛ على وجه الموعظة.

وقيل: هو من كلام الله.

(١) زيادة من ج، د.

(٢) في ب، ج: «لتعتدل».

[وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٦﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أٰمٰجٰنٰكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ مَّطْبُوتٍ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسَفًا قَالَ يَقْوِمُ إِلَّام يَعِدُكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسَى ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾].

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني: بني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه؛ تشریفاً لهم، وكانوا - فيما قيل - ست مئة ألف.

﴿يَبَسًا﴾ أي: يابساً، وهو مصدر وصف به.

﴿لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَّا غَشِيَهُمْ﴾ إبهام؛ لقصد التهويل.

﴿وَمَا هَدَى﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ يعني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَى﴾!

فالجواب: أنه مبالغة وتأکید.

وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] <sup>(١)</sup>.

﴿يَبْنِي إِنْشَاءً﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون.

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني <sup>(٢)</sup> إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء؛ ليكلّم فيه ربه.

والطور: هو الجبل، واختلف: هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوته؟ أو <sup>(٣)</sup> هو غيره؟.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ ذكر في «البقرة» <sup>(٤)</sup>.

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أي: هلك، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفلى.

﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بدّ، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة.

(١) انظر: الكشاف (١٠/٢١٤).

(٢) في ب، د: «بني» بلا واو، والمثبت هو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/١١٧)؛ فالأمر هو الله تعالى.

(٣) في ب، ج زيادة «هل».

(٤) بل ذكر في اللغات مادة (٣٠٥).

وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ أي: استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح.  
ويحتمل أن يكون الهدى هنا: عبارة عن نور وعلم، يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحاً.

﴿وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ قصص هذه الآية: أن موسى عليه السلام، لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدّم هو وحده؛ مبادرةً إلى أمر الله، وطلباً لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ؟﴾. وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل.

وقيل: إنما سأل على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أثره؛ أي: قريب منه، فلم يتقدّم عليهم بكثير يوجب العتاب.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد» إلخ، صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرْفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وهذه الآية لمن تاب، أما من لم يتب فما دون الشرك فمغفرته مقيدة بالمشيئة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَمُغِّرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقول المعتزلة: «لا يغفر إلا لمن تاب» بنوا عليه القول بتخليد أهل الكبائر في النار.

والثاني: أنه إنما تقدّم طلباً لرضا الله .

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ رجلاً من بني إسرائيل ، ويقال <sup>(١)</sup> : إنه ابن خال موسى .

وقيل : لم يكن منهم ، وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها : سامرة .  
وكان ساحراً منافقاً .

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ يعني : رجع من الطور ، بعد كمال <sup>(٢)</sup> الأربعين يوماً التي كلمه الله فيها .

﴿أَيْفًا﴾ ذكر في «الأعراف» <sup>(٣)</sup> .

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ يعني : ما وعدهم من الوصول إلى الطور .

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ يعني : المدة ، وهذا الكلام توبيخ لهم .

﴿بِمَلِكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه : ما أخلفنا موعدك بأن  
ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامري ، فيحتمل :

أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم ، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم .

أو اعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر ، وعدم توفيقهم للرأي السديد ،  
ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر .

(١) في ج : «يقال» .

(٢) في ج : «إكمال» .

(٣) انظر (٢/٣٨٩) .

﴿حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا: الأحمال، سُمِّيت أَوْزَارًا؛ لِثِقَلِهَا، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب.

وزينة القوم: هي حُلِيِّ القبط قوم فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم، فقال لهم السامريُّ: اجمعوا هذا الحُلِيَّ في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك، وأوقد السامريُّ نارًا على الحُلِيِّ، وصاغ منه عجلاً.

وقيل: بل خلق الله منه العجل، من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحُلِيِّ في الحفرة.

﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من موطئ<sup>(١)</sup> فرسه قبضةً من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مَوَاتٍ صار حيوانًا، فألقاها على العجل، فخار العجل؛ أي: صاح صياح العجول.

فالمعنى: أنهم قالوا: كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامريُّ قبضةً التراب.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسمًا بلا روح، والخُوار: صوت البقر.

﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض.

(١) في هـ: «وطء».

﴿فَنَسِيَ﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل: موسى؛ أي: نسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى<sup>(١)</sup>:  
الذهول.

والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل: السامري؛ أي: نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا بمعنى: الترك.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه: لا يردُّ عليهم كلامًا إذا كلموه، وذلك ردُّ عليهم في دعوى<sup>(٢)</sup> الربوبية له.

وقرئ ﴿يَرْجِعُ﴾:

بالرفع، و«أن» مخففة من الثقيلة.

وبالنصب، وهي مصدرية.



(١) في أ، ب، هـ: «المعنى».

(٢) في ب: «دعواهم».

[وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَافِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيلَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾].

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «لا» زائدة للتأكيد، والمعنى:

ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور؟.

أو تتبعني في الغضب لله، وشدة الزجر لمن عبد العجل، وقاتلهم بمن لم يعبد؟.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحَافِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من



شدة غضبه، لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت<sup>(١)</sup> من عبد العجل منهم بمن لم يعبد له لقلت: فرقت جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في الزجر والقتال.

أو: لو اتبعتك في المشي إلى الطور لا تبني بعضهم دون بعض، ففترقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في المشي إلى الطور.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني: قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ﴾ أي: قال موسى ما شأنك؟، ولفظ الخطب يقتضي انتهاراً؛ لأنه مستعمل في المكاره.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، يعني: جبريل عليه السلام وفرسه.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود: «من أثر فرس الرسول».

وإنما سمي جبريل بالرسول؛ لأن الله أرسله إلى موسى.

والقبضة: مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كـ «ضرب الأمير».

ويقال: قبض بالضاد المعجمة: إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد

(١) في أ، ب، هـ: «قتلت».

(٢) في د، هـ زيادة «له».

المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ.

﴿فَنَبَذْنَاهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي، فصار عَجَلًا، أو على العجل فصار له حوار.

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى ﷺ السامري؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسَّة ولا إذابة.

وروي أنه كان إذا مسَّه أحدُ أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وهذا تهديد ووعيد.

﴿ظَلَلْتَ﴾ أصله ظَلِلْتُ، حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدُّؤوب على الشيء<sup>(١)</sup> ليلاً ونهاراً.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ من الإحراق بالنار.

وقرئ بفتح النون وضم الراء، بمعنى: نُبرِّده بالمِبرِدِ.

وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح: أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصحُّ حمل قراءة الجماعة على ذلك.

﴿ثُمَّ لَنَسْفَعْنَهُ فِي أَلْيَمٍ سَفًّا﴾ أي: نُلقيه في البحر، والنسف: تفريق الغبار ونحوه.

(١) في ب، ج: «المشي».

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية؛ من كلام موسى لبني إسرائيل .  
 ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد، و﴿أَنْبِيََاءَ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ :  
 أخبار المتقدمين .

﴿ذِكْرًا﴾ يعني : القرآن .

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني : إعراض تكذيب به .

﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة : الثقل ، ويعني هنا :

العذاب ؛ لقوله : ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ .

أو الذنوب ؛ لأنها سبب العذاب .

﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحمل ؛ لثقله .

قال الزمخشري : «ساء» تجري مجرى «بئس» ، ففاعلها مضمَر يفسره :  
 ﴿حِمْلًا﴾<sup>(١)</sup> .

وقال غيره : فاعلها مضمَر يعود على الوزر .

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي : ينفخ الملك في القرن .

وقرئ : ﴿نُنْفَخُ﴾ بالنون ؛ أي : بأمرنا .

﴿زُرْقًا﴾ قيل : زرق الألوان كالسواد .

وقيل : زرق العيون من العمى .

(١) انظر : الكشاف (١٠/٢٣٩) .

﴿يَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (١) أي: يقول بعضهم لبعض في السر: إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا.

وقيل: يعنون لبثهم<sup>(١)</sup> في القبور.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر - بالإضافة إليهم - : إن لبثتم إلا يومًا واحدًا، فاستقلَّ المدة أشدَّ<sup>(٢)</sup> مما استقلَّها غيره.



(١) في أ، ب: «لبثتم».

(٢) في هـ: «أكثر».

[﴿وَسْتَلُونَا عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٥٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٥٧﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ﴿١٥٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَنْبَعُوثُ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٥٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٦٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١٦١﴾ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٦٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٦٣﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٦٤﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٦٥﴾﴾].

﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾ أي: يجعلها كالغبار، ثم يفرقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿١٥٦﴾ الضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ للجبال، والمراد: مواضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه.

﴿لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا﴾ المعروف في اللغة: أن العِوَجَ بالكسر: في المعاني، وبالفتح: في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه؛ فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه؛ ليكون غايةً في نفي العِوَج من كل وجه.

﴿وَلَا أَمْتًا﴾ الأمت: هو الارتفاع اليسير.

﴿يَنْبَعُوثُ الدَّاعِيَ﴾ يعني: الذي يدعو الخلق إلى الحشر.

﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي: لا يَعْوجُّ أحدٌ عن اتباعه والمشي نحو صوته.

أو لا عوج لدعوته؛ لأنها حق.

﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفي.

﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بـ ﴿تَنْفَعُ﴾، وهي واقعة على المشفوع له، فالمعنى: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلا من أذن له الرحمن في أن يُشفع له. أو أن يكون الاستثناء منقطعًا، و﴿مَنْ﴾ واقعة على الشافع، والمعنى: لكن من أذن له الرحمن يشفع.

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ إن أريد بـ ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ المشفوع فيه، فاللام في ﴿لَهُ﴾ بمعنى: لأجله؛ أي: رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه.

وإن أريد الشافع فالمعنى: رضي قوله في الشفاعة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق<sup>(١)</sup>، والمعنى ذكر في آية الكرسي<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ قيل: المعنى: لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والصحيح عندي: أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ هناك، ولم يستثن هنا.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي: ذلت يوم القيامة.

(١) في أ، ب، هـ: «الضمير للخلق».

(٢) انظر (١/٤٧٦).

﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: بخسًا ونقصًا لحسناته.

﴿أَوْ يُحِثُّ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكيرًا.

وقيل: شرفًا، وهو هنا بعيد.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: إذ أقرأك جبريل القرآن<sup>(١)</sup> فاستمع إليه، واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرأه أنت، فالآية كقوله: ﴿تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ فِيهِ﴾ [القيامة: ١٦].

وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأمر أن يتأنى حتى تفسر له المعاني.

والأول أشهر.



(١) لم ترد في أ، ب، هـ.

[وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُحْدِ لَهُ عَزْمًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّخِذُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلَكَ لَا يَبْلَى ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٢٨﴾].

﴿عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أي: وصَّيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿فَنَسَى﴾ يحتمل:

أن يريد النسيان الذي هو ضدُّ الذِّكْر، فيكون ذلك عذراً لآدم.

أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره؛ لأن الناسي لا عقاب عليه<sup>(١)</sup>.

وقد تقدّم الكلام على قصة آدم وإبليس في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/١٣٧).

(٢) انظر (١/٣٠٠).



﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبب موضع السبب.

وخصَّ آدم بقوله: ﴿فَتَشْقَى﴾؛ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام.

وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال.

﴿لَا تَطْمَؤُنَا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ الظمأ: هو العطش، والضحيّ<sup>(١)</sup>: هو البروز للشمس.

﴿يَخَصِفَانِ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.

﴿أَهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء.

﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: ضيقة؛ فقيل: إن ذلك في الدنيا؛ فإن الكافر ضيق المعيشة؛ لشدة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكرر عليه عيشه.

(١) في أ، ب: «والضحاء».

(٢) انظر (٢/٣٣٥).

(٣) انظر (١/٣٠١).

وقيل : ذلك في البرزخ .

وقيل : في جهنم بأكل الزقوم ، وهذا ضعيف ؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة .

﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ يعني : أعمى البصر .

﴿ فَسَيَبُهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْشَى ﴾ من الترك ، لا من الذهول .

﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ أي : عذاب جهنم أشدُّ وأبقى من المعيشة الضنك ، ومن الحشر أعمى .

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ معناه : ألم يتبين لهم ، والضمير لقريش ، والفاعل به ﴿ يَهْدِي ﴾ مقدر ، تقديره : ألم يهد لهم الهدى ، أو الأمر .

وقال الزمخشري : الفاعل الجملة التي بعده <sup>(١)</sup> .

وقيل : الفاعل ضمير الله ﷻ ، ويدل عليه قراءة : « أفلم نهدي بالنون .

وقال الكوفيون : الفاعل ﴿ كَمْ ﴾ .

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴾ يريد : أن قريشاً يمشون في مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثار هلاكهم .

﴿ لِأُولَى الْأُنْهَى ﴾ أي : ذوي العقول .

.....

(١) انظر : الكشاف (١٠/٢٦٩) .

[﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ (١٢٦) فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٢٧) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٢٨) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقَةُ لِلتُّغْيَى (١٢٩) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَأَوَّلَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٠) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (١٣١) قُلْ كُلُّ مُرْتَبِصٍ فَتَرْتَبِصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٢)﴾].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا: القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لازماً؛ أي: واقعاً بهم.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لازماً، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي.

والمراد بالأجل المسمى: يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري<sup>(١)</sup>.

وقيل: المراد به: أجل الموت.

وقيل: القيامة.

﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح:

الصلاة.

(١) الذي في البخاري (٤٧٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه فسر ﴿لِزَامًا﴾ بيوم بدر، وليس الأجل المسمى!.

أو قول: «سبحان الله»، وهو ظاهر اللفظ.

﴿يَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح.

ويحتمل أن يكون المعنى: سَبَّحَ تسبيحًا مقرونًا بحمد ربك، فيكون أمرًا بالجمع بين قول: «سبحان الله» وقول: «الحمد لله»، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»<sup>(١)</sup>.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال: إن معنى ﴿وَسَبِّحْ﴾: الصلاة، فالتى قبل طلوع الشمس: الصبح، والتي قبل غروبها: الظهر والعصر، ومن آناء الليل: العشاء الآخرة<sup>(٢)</sup>، وأطراف النهار: المغرب والصبح.

وكرر الصبح في ذلك؛ تأكيدًا للأمر بها.

وسمى الطرفين أطرافًا لأحد وجهين:

إما على نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤].

وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف.

وآناء الليل: ساعاته، واحدها: أني.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في «الحجر»<sup>(٣)</sup>، ومد العينين: هو تطويل النظر،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) في أ، ب، هـ: «المغرب والعشاء الآخرة».

(٣) انظر (٧٢٩/٢).

ففي ذلك دليل<sup>(١)</sup> أن النظر غير الطويل معفو عنه .

﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعيم الدنيا بالزهر وهو<sup>(٢)</sup> الثَّوَارُ؛ لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل .

وفي نصب ﴿زَهْرَةَ﴾ خمسة أوجه :

[١-] أن ينتصب بفعل مضمر على الذم .

[٢-] أو يضمَّن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى : أعطينا ، ويكون ﴿زَهْرَةَ﴾ مفعولاً ثانياً له .

[٣-] أو يكون بدلاً من موضع الجار والمجرور .

[٤-] أو يكون بدلاً من ﴿أَزْوَاجًا﴾ ، على تقدير : ذوي زهرة .

[٥-] أو ينتصب على الحال .

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ أي : نختبرهم .

﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي : لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ، ففرغ أنت وأهلك للصلاة؛ فنحن<sup>(٣)</sup> نرزقك .

وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال : «قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله» ، ويتلو هذه الآية<sup>(٤)</sup> .

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ البينة هنا : البرهان ، والصحف

(١) في ب ، د زيادة «على» .

(٢) في أ ، ب : «وهي» .

(٣) في أ ، هـ : «نحن» .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٢٦٧/٦) عن بكر بن عبد الله المزني .

الأولى: هي التوراة والإنجيل وغيرهما<sup>(١)</sup> من كتب الله.

والضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ نَأْتِهِمْ﴾ لقريش، لما اقترحوا على وجه العناد والتعنيث أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى: قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلائى شيء تطلبون آية أخرى؟.

ويحتمل أن يكون المعنى: قد جاءكم القرآن، وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية؛ معناها: لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و«لولا» هنا: عَرْضٌ، فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ﴾ أي: قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد.

﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.



(١) في أ، ب، هـ: «وغيرها».

## ﴿سورة الأنبياء﴾

[﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ① مَا يَأْنِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ  
 مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدِّثٍ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ③ قَالَ رَبِّ  
 يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ④ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ  
 أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِنَا فِيآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ⑤ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ  
 قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ⑥ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَتَشْكُرُوا  
 أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ⑦ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا  
 كَانُوا خَالِدِينَ ⑧ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ⑨  
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑩﴾].

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس: لفظٌ <sup>(١)</sup> عام.

وقال ابن عباس: المراد به هنا: المشركون من قريش؛ بدليل ما بعد ذلك؛ فإنه من صفاتهم.

ولنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آت قريب.

(١) في أ، هـ: «اللفظ».

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ يعني بالذكر: القرآن، و﴿تُحَدَّثُ﴾ أي: محدث النزول<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في ﴿أَسْرُوا﴾ ضمير فاعل، يعود على ما قبله، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من الضمير.

وقيل: إن الفاعل هو ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وجاء ذلك على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن.

ويحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

منصوباً بفعل مضمَر على الذم.

أو خبر ابتداء مضمَر.

والأول أحسن.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب؛ بدلاً من ﴿النَّجْوَى﴾؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية: هو محمد ﷺ.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: (يعني بالذكر: القرآن، و(محدث) أي: محدث النزول) لا إشكال فيه؛ فالذكر من أسماء القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾»، وقوله: «أي: محدث النزول» موافق لما نقله ابن جرير عن أهل التأويل، فإنه قال: «ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس»، وأسندته إلى قتادة، وهذا موافق لبعض أجوبة الإمام أحمد ﷺ حين احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق. والله أعلم.

وينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٥، ٤٠٠) ط. دار هجر.



﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ إخباراً بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه .  
 فإن قيل : هلاً قال : «يعلم السر» ؛ مناسبة لقوله : ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ؟  
 فالجواب : أن القول يشمل السرَّ والجهر ؛ فحصل به ذكر السرِّ وزيادة .  
 ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْلِمَ﴾ أي : أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه  
 الأقوال الكثيرة ؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم .  
 ﴿كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي : كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا  
 محمد بآية ، فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات .

﴿وَمَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ لما قالوا : ﴿فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ﴾ أخبرهم  
 الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات ، فلما رأوها ولم يؤمنوا هلكوا ، ثم  
 قال : ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي : إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من  
 قبلهم .

ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن ، فهؤلاء كذلك ،  
 ولا يكون - على هذا - جواباً لقولهم : ﴿فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ﴾ ، بل يكون إخباراً  
 مستأنفاً على وجه التهديد .

و﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ في موضع الصفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ ، والمراد : أهل القرية .  
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردٌّ على قولهم : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ  
 مِثْلُكُمْ﴾ ؛ والمعنى : أن الرسل المتقدمين رجالاً من البشر ؛ فكيف  
 تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولاً ؟ ! .

﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني : أحبار أهل الكتاب .

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي : ما جعلنا الرسل أجسادًا غيرَ طاعمين، ووَحَّدَ الجسد لإرادة الجنس، و﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾.

وفي الآية ردٌّ على قولهم : ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان : ٧].

﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ يعني : المؤمنين .

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي : شرفكم .

وقيل : تذكيركم .



[وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا بَنَيْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَدِيعِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْخِذَ لَهْوًا لَا تَخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ— وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾] .

﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله من: قَضَمَ الظهر أي: كسره.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يريد: أهل القرية.

قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها: حَضُور، بعث الله إليهم نبيًا فقتلوه، فسَلَطَ الله عليهم بُخْتَ نَصْر<sup>(١)</sup> ملك بابل، فأهلكهم الله بالقتل.

(١) انظر (١/ ٤٨٠).

وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن «كم» للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيَحْتَمِلُ:

أن يكونوا ركبوا الدواب، وركضوها؛ لتسرع الجري.

أو شَبَّهُوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي: قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، والقاتل لذلك:

هم الملائكة، قالوه تهكُّمًا بهم.

أو رجال بختِ نصرٍ إن كانت القرية المعينة، قالوا ذلك لهم خداعًا؛ ليرجعوا فيقتلوه.

﴿مَا أَتْرَفْتُمْ﴾ أي: نُعِمْتُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تهكُّمٌ بهم وتوبيخ؛ أي: ارجعوا إلى نعيمكم<sup>(١)</sup> ومساكنكم؛ لعلكم تسألون عما جرى عليكم.

ويَحْتَمِلُ أن يكون ﴿تَشْكُرُونَ﴾ بمعنى: يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضًا تهكُّمٌ.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ الآية؛ اعترافٌ وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ شَبَّهُوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى

﴿خَمِيدِينَ﴾: موتى، وهو تشبيهٌ بخمود النار.

﴿لَعِينِينَ﴾ حال منفية؛ أي: ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب،

(١) في أ، ب، هـ: «نِعَمكم».

بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ اللّهُ في لغة اليَمَن : الولد، وقيل : المرأة، و﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ أي : من <sup>(١)</sup> الملائكة، فالمعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردُّ على من قال : المسيح ابن الله وعزيز ابن الله.

والظاهر أن اللّهُ بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله : ﴿لَعِينٍ﴾.

وقال الزمخشري : المعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ لهم لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا؛ لأنه مناقض للحكمة <sup>(٢)</sup>.

وفي كلا القولين نظر.

﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿إِنْ﴾ :

شرطية، وجوابها فيما قبلها.

أو نافية.

والأول أظهر.

﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الحق : عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل : عام في أضداد ذلك.

﴿فَيَذْمُوهُ﴾ أي : يَقمعه ويُبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

(١) لم ترد في ب، ج.

(٢) انظر : الكشف (٣٠٦/١٠).

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة.

﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ أي: لا يَعْيُونَ<sup>(١)</sup>، ولا يَمَلُّون.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ «أم» هنا: للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها.  
و﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ يتعلّق بـ ﴿يُنْشِرُونَ﴾.

والمعنى: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرّون أن يُنْشِرُوا الموتى من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله: ﴿فِيهِمَا﴾ للسموات والأرض، و﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ صفة لـ ﴿إِلَهِةٌ﴾، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «غير».

فاقتضى الكلام أمرين:

أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً.

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودلّ على ذلك قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾.

وأما الأوّل فكانت الآية تدلّ عليه لو لم تذكر هذه الكلمة.

وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليل التّمانع الذي أورده

(١) في ب: «لا يلعبون».

الأصوليون، وذلك أننا لو فرضنا إلهين، فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تَنفُذَ إرادة كل واحد منهما، وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحدٍ منهما، وذلك أيضاً محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدِّي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد.

وهذا الدليل إن سلّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان بمدينة<sup>(١)</sup> واحدة، ولا وليان<sup>(٢)</sup> لخطّة<sup>(٣)</sup> واحدة.

﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم؛ فأفعاله كلها جارية على الحكمة.

﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لفقد العلتين.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ كرّر هذا الإنكار؛ استعظاماً للشرك، ومبالغة في تقييده؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به

(١) في ج: «المدينة».

(٢) في أ، ج، د: «وليان».

(٣) في ب: «بخطّة».

ما ذكر بعده من تعجيز<sup>(١)</sup> المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان؛ لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرائع.

﴿هَآئُوا بُهِّنَكُم﴾ تعجيزٌ لهم. وقد تكلمنا على ﴿هَآئُوا﴾ في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ ردُّ على المشركين، والمعنى<sup>(٣)</sup>: هذا الكتاب الذي معي، والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية؛ ردُّ على المشركين، والمعنى: أن كل رسول إنما أتى بـ «لا إله إلا الله».

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذي قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض البنوة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غرَّ الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا أَلْفَوْا﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو؛ تأدُّباً معه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي: لمن ارتضى أن يُشفع له.

ويَحتمل أن تكون هذه الشفاعة:

في الآخرة.

(١) في أ، هـ: «تعجيزهم»!

(٢) انظر (٣٤٩/١).

(٣) في ج زيادة: «أن».



أو في الدنيا ، وهي استغفارهم لمن في الأرض .

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون .

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصود<sup>(١)</sup> الآية الردُّ على المشركين .

وقيل : إن الذي قال : «إني إله» : هو إبليس لعنه الله .



---

(١) في ب : «مقصود» .

[أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا  
 مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا  
 فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ  
 عَابَتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾  
 وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ اخْتِلَافَيْنِ مَتَّ فَهُمْ يُخْلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ  
 الْمَوْتِ وَبَلَّوَكُم بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ  
 كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ  
 مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوفُونَ عَنْ  
 نُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً  
 فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ  
 فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾] .

﴿كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الرُّتْقُ: مصدرٌ وُصِفَ به، ومعناه: الملتصق  
 بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والْفَتْقُ: الفتح:  
 فقيل: كانت السماء مُلصقة<sup>(١)</sup> بالأرض ففتقهما<sup>(٢)</sup> الله بالهواء.  
 وقيل: كانت السماوات<sup>(٣)</sup> ملصقة بعضها ببعض، والأرضون<sup>(٤)</sup> كذلك،

(١) في د، هـ: «ملتصقة».

(٢) في ب، ج: «فتقها».

(٣) كذا في هامش د، وهامش هـ. ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «السماء».

(٤) في ب، ج: «والأرض».

ففتحهما<sup>(١)</sup> الله سبعا سبعا .

والرؤية في قوله : ﴿أَوَّلَ بَرٍّ﴾ على هذا : رؤية قلب .

وقيل : فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، والرؤية على هذا : رؤية عين .

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي : خلقنا من الماء كل حيوان ، ويعني بالماء : المني .

وقيل : الماء الذي يُشرب ؛ لأنه سبب لحياة الحيوان ، ويدخل في ذلك النبات باستعارة .

﴿رَوَّسٍ﴾ يعني : الجبال .

﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ تقديره : كراهة أن تميد .

﴿فَجَاوَا﴾ يعني : الطرق الكبار .

وإعرابه عند الزمخشري : حال من السُّبُل ؛ لأنه صفة تقدّمت على النكرة<sup>(٢)</sup> .

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني : في طريقهم وتصرفاتهم .

﴿سَفًّا مَحْفُوظًا﴾ أي : حُفِظَ مِنَ السَّقُوطِ ، ومن الشياطين .

﴿عَنْ عَائِنِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني : الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك .

(١) في هـ : «ففتحهما» .

(٢) انظر : الكشاف (١٠/٣٣٩) .

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ عن الإضافة؛ أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني: الشمس والقمر، دون الليل والنهار؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسَّبْح في الفلك، فالجملة:

في موضع حال من ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

أو مستأنفة<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: لفظ ﴿كُلٌّ﴾ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعٌ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟

فالجواب: أنه أراد جنس مطالعهما<sup>(٢)</sup> كل يوم وليلة، وهي كثيرة. قاله الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

وقال العزّوني: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة.

وعبرَ عنها بضمير الجماعة<sup>(٤)</sup> العقلاء في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء، وهو السَّبْح.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ وهي أفلاك كثيرة؟

فالجواب: أنه أراد: كل واحد يسبح في فلكه<sup>(٥)</sup>، وذلك كقولك<sup>(٦)</sup>:

(١) في أ، ب: «مستأنفة».

(٢) في ج: «مطالعهما».

(٣) انظر: الكشف (١٠/٣٤٢).

(٤) في هـ: «جماعة»، ولم ترد في ب.

(٥) في أ، هـ: «فلك».

(٦) في أ، ج: «كقولك».

«كساهم الأمير حُلَّة»؛ أي: كسا كلَّ واحد منهم حلة.

ومعنى الفلك: جسم مستدير.

وقال بعض المفسرين: إنه من موج، وذلك بعيد.

والحق: أنه لا تُعلم صفته وكيفيته إلا بإخبارٍ صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود.

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُونَ، أو يدورون، وهو مستعارٌ من السَّبْح بمعنى العوم في الماء.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَلْحُدَّ﴾ سببها: أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت.

وقيل: إنهم تمنَّوا موته؛ لِيَسْمَتُوا به، وهذا أنسب لما بعده.

﴿أَفَايُنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ وقُدِّمت<sup>(١)</sup>؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: كلُّ نفسٍ مخلوقة لا بدَّ لها أن تذوق الموت. والدُّوق هنا استعارة.

﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنى، والمرض والصحة وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر، والشكر على

(١) في ج: «وتقدّمت».

الخير، أو خلاف ذلك .

﴿فِتْنَةً﴾ مصدرٌ من معنى ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ .

﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ﴾ أي : يذكرهم بالذم ، دلّت على ذلك قرينة الحال ؛ فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح .

والجملة تفسير للهزة ؛ أي : يقولون : أهذا الذي .. .

﴿وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال ؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ، فهم أحق بالملامة .

وقيل : معنى ﴿يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ﴾ : تسميته بهذا الاسم ؛ لأنهم أنكروها .  
والأول أغرق في ضلالهم .

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي : خلق شديد الاستعجال ، وجاءت هذه العبارة للمبالغة ، كقولك : خُلِقَ حاتم من جُود .

والإنسان هنا : جنس .

وسبب الآية : أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها ، والعذاب الذي طلبوه ، فذكر الله هذا توطئة لقوله : ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ .

وقيل : المراد هنا : آدم ؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم . وهذا ضعيف .

وقيل : ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي : من طين ، وهذا أضعف .

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ وعيدٌ، وجوابٌ على ما<sup>(١)</sup> طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية؛ تفسيرٌ لاستعجالهم.

﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب «لو» محذوف.

﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ الضمير الفاعل: للنار،

وقيل: للساعة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدْ أَسْنَزَيْ﴾ الآية؛ تسليّةً بالناسي.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط.



(١) في ب: «لما»، وفي أ: «ما» بدون «على».

[﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ١٢١] أَمَرَهُمُ ٱللَّهُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿١٢٢﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿١٢٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَلَئِنْ مَسَّنَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿١٢٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِبَاءً وَذِكْرًا ٱلْمُنْقِيَتِ ﴿١٢٧﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿١٢٨﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿١٢٩﴾].

﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله؟، و«مَنْ» استفهامية.

والمعنى: تهديد، وإقامة حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ بمعنى: أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله؛ أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله.

وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا: أنهم معرضون عن ذكره، فضلاً عن أن يخافوا بأسه<sup>(١)</sup>.

﴿أَمَرَهُمُ ٱللَّهُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و﴿أَمَ﴾ هنا للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عن يكلؤهم

(١) انظر: الكشاف (١٠/٣٥١).



أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتجَّ عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره. ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لا يُصْحَبُونَ منا بنصرٍ ولا حفظ.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعيم والعافية في الدنيا، فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله.

والإضراب بـ «بل» عن معنى الكلام المتقدم؛ أي: لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصرٌ ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم. ﴿تَنْقُصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في «الرعد»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّوْتُ الدُّعَاءِ﴾ إشارة إلى الكفار، والصَّمَمُ استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطرة، وفيها تقليل العذاب.

والمعنى: أنهم لو رأوا أقلَّ شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدل، وإنما أفرد القسط، وهو صفة للجمع:

لأنه مصدرٌ وصِف به، كعدِلٍ ورضًا.

أو على تقدير: ذوات القسط.

ومذهب أهل السنة: أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَتَانِ ولسانٌ وعمودٌ توزن فيه الأعمال، والخِفَّةُ والثَّقَلُ متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله.

وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء.

﴿لَيَوْمٍ أَلْقِيَتِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة، أو لحكمه فهو على حذف مضاف<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لستُ خَلَوْنَ من الشهر<sup>(٢)</sup>.  
﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي: وزنها، والرفع على أنَّ «كان» تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمَر.

﴿الْفُرْقَانُ﴾ هنا: التوراة.

وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني: القرآن.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/١٧٣).

(٢) انظر: الكشاف (١٠/٣٥٧).

[وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الْغَالِبِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِإِلَهِنَا يَبْنَٰزِهِمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَشَاؤُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءِلَٰهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَٰزُ كُوَيْلُكَ ﴿٦٩﴾ وَنَحْنُ نَسُوءُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٠﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِزِينَ ﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٤﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٦﴾].

﴿رُشْدَهُ﴾ يعني: إرشاده إلى توحيد الله، وكسر الأصنام، وغير ذلك.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى وهارون.

وقيل: آتيناه رشده قبل النبوة.

﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: عَلِمْنَا<sup>(١)</sup> أنه يستحق ذلك.

﴿التَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنام، وكانت على صور بني آدم.

﴿وَجَدْنَا آيَاتِنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: هل<sup>(٢)</sup> هذا الذي تقول جِدُّ أو<sup>(٣)</sup> مزاح؟!.

وانظر كيف عَبَرُوا<sup>(٤)</sup> عن الحق بالفعل، وعن اللَّعِبِ بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم.

﴿فَطَرَهُمْ﴾ أي: خلقهم، والضمير للسماوات والأرض، والتماثيل<sup>(٥)</sup> وهذا<sup>(٦)</sup> أليق بالرد عليهم.

﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ يعني: خروجهم إلى عيدهم.

﴿جُذَذًا﴾ أي: فُتَاتًا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذِّ بمعنى القطع.

(١) في أ: «علمناه».

(٢) لم ترد في أ، هـ.

(٣) في ج، د: «أم».

(٤) في ج، د: «عبر».

(٥) كذا في جميع النسخ الخطية!، ولعل صواب العبارة: «أو للتماثيل»؛ ليستقيم الكلام مع ما بعده وهو قوله: «وهو أليق بالرد عليهم»؛ أي: كون الضمير للتماثيل أليق من كونه للسماوات والأرض، وهذا هو الموافق لعبارة الكشف (٣٦٥/١٠) حيث قال: «الضمير في ﴿فَطَرَهُمْ﴾ للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم».

(٦) في ج، د: «وهو».

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ تَرَكَ الصنم الكبير لم يكسره، وَعَلَّقَ الْقَدُومَ عَلَى يَدِهِ<sup>(١)</sup>.  
 ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير؛ أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء.

وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام، أي: يرجعون إليه فيبين لهم الحق.  
 ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فـ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾.

﴿فَتَنَى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، ويقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾.  
 ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ منادى.

وقيل: خبر ابتداء مضمرة.

وقال الأعلام<sup>(٢)</sup>: هو رَفْعٌ عَلَى الإِهْمَالِ<sup>(٣)</sup>.

والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله بـ ﴿يُقَالُ﴾؛ لأن المراد الاسم

(١) في أ، ب، ج، هـ: «من يده»!

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشَّتْمَرِي الأَشْيَلِي، النحوي، ولد سنة (٤١٠هـ)، كان عالماً بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. لُقِّبَ بالأعلم؛ لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً واسعاً، وتوفي بأشبيلية سنة (٤٧٦هـ). أنظر: معجم الأدباء، لباقوت الحموي (٢٨٤٨/٦).

(٣) قال ابن عطية في توضيح مراده: «لما رأى وجوه الرفع كلها لا توضح المعنى الذي قصدوه؛ ذهب إلى رفعه بغير شيء، كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتدائية» المحرر الوجيز (١٧٦/٦).

لا المسمّى . وهذا اختيار ابن عطية<sup>(١)</sup> والزمخشري<sup>(٢)</sup> .

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي : يشهدون عليه بما فعل ، أو يحضرون عقوبتنا له .  
 ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيته وإقامة  
 الحجة عليهم ، كأنه يقول : إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم  
 يقدر فليس بإله ، ولم يقصد الإخبار المحض ؛ لأنه كَذِبٌ .

فإن قيل : فقد جاء في الحديث : «إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ،  
 إحداها»<sup>(٣)</sup> قوله : ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ؟

فالجواب : أن معنى ذلك : أنه قال قولاً ظاهره الكذب ، وإن كان القصد به  
 معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله : ﴿فَنَشَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ؛ لأنه  
 أراد به أيضاً تبكيتهم وبيان ضلالهم .

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي : رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها  
 بالملامة .

﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي : الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما  
 لا ينطق ولا يقدر على شيء .

أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه : ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، وفي تعنيفه  
 على أعين الناس .

(١) انظر : المحرر الوجيز (١٧٦/٦) .

(٢) انظر : الكشاف (٣٧٠/١٠) .

(٣) في د : «أحدها» .

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ، ومسلم (٢٣٧١) .

﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!، فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم.

ويَحْتَمِلُ أن يكون ﴿نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بمعنى رجوعهم عن<sup>(١)</sup> المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة.

ويَحْتَمِلُ على هذا أن يكون ﴿نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ حقيقة؛ أي: ألقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة.

﴿أَفِ لَكُمْ﴾ تقدّم الكلام على ﴿أَفِ﴾ في «الإسراء»<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه<sup>(٣)</sup> بالظلم.

﴿قُلْنَا يَنَازُكُونِ بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة.

واختلف كيف بردت النار؟

فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحرّ والإحراق.

(١) في أ: «من».

(٢) انظر (٨٠٢/٢).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في ج، د.

وقيل: دَفَعَ عن جسم إبراهيم حرَّها وإحراقها، مع ترك ذلك فيها.

وقيل: خَلَقَ بينه وبينها حائلاً.

ومعنى السلام هنا: السلامة، وقد روي أنه لو لم يقل: ﴿وَسَلَّمَ﴾ لهلك إبراهيم بالبرد<sup>(١)</sup>.

وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم؛ لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق.

وبركناها: بخصبها، وكثرة الأنبياء فيها<sup>(٢)</sup>.

﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل<sup>(٣)</sup>: العطاء.

وقيل: سماه نافلة؛ لأنه عطاءٌ بغير سؤال؛ فكأنه تبرُّع.

وقيل: الهبة: إسحاق، والنافلة: يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله:

﴿هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأُعطي يعقوب؛ زيادةً على ما سأل.

واختار بعضهم على هذا الوقف على ﴿إِسْحَاقَ﴾؛ لبيان المعنى، وهذا

ضعيف؛ لأنه معطوفٌ على كلِّ قولٍ.

﴿يَهْدُونَكُم بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذننا.

(١) في هـ: «من البرد».

(٢) «فيها» زيادة من ج، د.

(٣) في ب، ج: «والتنفل».



- ﴿وَلَوْطًا﴾ قيل : إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿ءَأَيَّتُهُ﴾ .  
 والأظهر أنه انتصب بالعطف على ﴿ثُمَّ نُوحًا وَهَارُونَ﴾ ، أو <sup>(١)</sup> ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ .  
 وانتصب ﴿نُوحًا﴾ و﴿دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ﴾ وما بعدهم بالعطف أيضًا .  
 وقيل : بفعل مضمر تقديره : اذكر .  
 ﴿ءَأَيَّتُهُ حُكْمًا﴾ أي : حكمًا بين الناس ، أو حكمة .  
 ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم <sup>(٢)</sup> من أرض الشام .  
 ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي : في الجنة ، أو في أهل رحمتنا <sup>(٣)</sup> .

﴿وَلَوْطًا﴾ ﴿وَنُوحًا﴾ ﴿وَهَارُونَ﴾ ﴿وَالْأَنْبِيَاءَ﴾

(١) في ، د : «و» .

(٢) في ب : «سدام» .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : كل من التفسيرين صحيح ، وإن كان الأول هو الجاري على الظاهر ، ويدل لصحة التفسيرين قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿أَرْجَىٰ إِلَيْكَ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّخْبِتَةً﴾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِزِّي﴾ ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ ، وقوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُتِفَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، وقوله سبحانه عن سليمان عليه السلام : ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ، وقال الله في الحديث القدسي للجنة : «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء» . والله أعلم .

[وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَسَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَفُوضُوكَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ: وَأَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَنَّا بِنْتُهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُظًا فَقَلَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَدْتَ فَرَحَهَا فَفَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجْعَةٌ ﴿٩٣﴾].

﴿نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط.

﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني: الغرق.

﴿وَنَصَرْتُهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدي ﴿وَنَصَرْتُهُ﴾ بـ ﴿مِنْ﴾ :

لأنه مطاوع «انتصر» المتعدي بـ «مِنْ».

أو تضمَّن<sup>(١)</sup> معنى: نجَّياه، أو أجرناه.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ كان داود نبياً ملكاً، وكان ابنه سليمان حينئذ ابن<sup>(٢)</sup> أحد عشر عاماً.

﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كَرْم، والحرث يقال فيهما.

﴿إِذْ نَفَسَتْ﴾ رَعَتْ فيه بالليل.

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين.

وقيل: لداود وسليمان خاصة؛ على أن يكون أقلُّ الجمع اثنين.

﴿فَفَهَمْنَهَا سُلَيْمَانٌ﴾ تخصم إلى داود رجلاً، دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، ففهم داود بأن يأخذ صاحب<sup>(٣)</sup> الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم: أن قيمة<sup>(٤)</sup> الزرع<sup>(٥)</sup> مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبي الله لو حكمتَ بغير هذا كان<sup>(٦)</sup> أرفق للجميع! قال: وما هو؟ قال:

(١) في ج: «أو ضَمَّن»، وسقطت من ب.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «مِنْ».

(٣) في ب: «رَبُّ».

(٤) في ب زيادة «هذا».

(٥) في د زيادة: «كانت».

(٦) في ب، د: «لِكَان».

يأخذ صاحب الغنم الأرض؛ ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنم إلى صاحبها، والأرضُ بزرعها إلى ربِّها، فقال له داود: وَفَّقْتَ يَا بَنِي، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان.

ويَحْتَمَلُ أن يكون ذلك إصلاحًا، لا حكمًا.

واختلف الناس: هل كان حكمهما باجتهادٍ أو وحي؟

فمن قال: كان باجتهاد: أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه.

وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء.

وعلى القول بالجواز اختلف: هل وقع أم لا؟

وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أنه كان باجتهادٍ، خصَّ الله سليمان فيه بفهم القضية.

ومن قال: كان بوحي: جعل حكم سليمان ناسخًا لحكم داود.

وأما حكم إفساد المواشي للزرع<sup>(١)</sup> في شرعنا:

فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون

(١) في ج: «الزرع».

النهار؛ للحديث الوارد في ذلك<sup>(١)</sup>، وعلى هذا يدلُّ حكم داود وسليمان؛ لأنَّ النَّفْس لا يكون إلَّا بالليل.

وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار؛ لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جَبَارٌ»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَلَّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل: يعني في هذه النازلة، وأنَّ داود لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدلُّ هذا القول على أنَّ كلَّ مجتهد مصيبٌ.

وقيل: بل يعني: حكمًا وعلماً في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأنَّ المصيب واحد من المجتهدين.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: «سبحان الله».

وقيل: الصلاة معه إذا صَلَّى.

وقدَّم الجبال على الطير؛ لأنَّ تسبيحها أغرب؛ إذ هي جمادٌ.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا.

(١) وهو ما أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٠٦) وأبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٣٣٤/٥) وابن ماجه (٢٣٣٢): عن حرام بن محبصة عن أبيه أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقاضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠).

وقال ابن عطية : معناه : كان ذلك في حقه ؛ لأجل أن داود استوجب ذلك منا<sup>(١)</sup>.

﴿صَنَعَةَ لِبُؤْسٍ﴾ يعني : دروع<sup>(٢)</sup> الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، قال ابن عطية : اللبوس في اللغة : السلاح<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري : اللبوس : اللباس<sup>(٤)</sup>.

﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ أي : لتفنيكم في القتال.

وقرئ بالياء والتاء والنون :

فالنون : لله تعالى .

والتاء : للصنعة .

والياء : لداود، أو لللبوس .

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه : استدعاء إلى الشكر.

﴿وَلَسُبِّحَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً﴾ عطف ﴿الرِّيحُ﴾ على ﴿الْجِبَالِ﴾، والعاصفة : هي الشديدة.

فإن قيل : كيف يقال ﴿عَاصِفَةً﴾ وقال في «ص» : ﴿رُخَاءَ﴾ [ص : ٣٦] أي : ليئنة؟

(١) المحرر الوجيز (٦/١٨٨).

(٢) في أ، ب : «درع».

(٣) المحرر الوجيز (٦/١٨٩).

(٤) الكشف (١٠/٣٨٥).

فالجواب: أنها كانت في نفسها ليّنة طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجُمعت الوصفين.

وقيل: كانت رُخاءً في ذهابه، وعاصفةً في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراعُ في الرجوع.

وقيل: كانت تشتدُّ إذا رَفعت البساط، وتلين إذا حملته.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع<sup>(١)</sup> ملكه، فخصَّ في الآية الرجوع إليها؛ لأنه<sup>(٢)</sup> يدلُّ على الانتقال منها. ﴿يَعْوُصُونَ لَهُ﴾ أي: يدخلون في الماء؛ ليستخرجوا له الجوهر من البحار.

﴿عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أقلُّ من العوص، كالبنيان والخدمة.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه.

وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيًّا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك<sup>(٣)</sup> الأولاد فصبر، ثم سلَّط البلاء على جسمه فصبر إلى أن مرَّ به قوم فشميتوا

(١) في ج، د: «أرض».

(٢) في أ، ب: «فإنه».

(٣) في ج: «هلك».

به ، فحينئذ دعا إلى الله <sup>(١)</sup> تعالى .

على أن قوله : ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، ووصف ربه بغاية الرحمة ؛ ليرحمه ، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب .

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع <sup>(٢)</sup> له عينًا من ماء ، فشرب منه واغتسل ، فبرئ من المرض والبلاء .

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ روي أن الله أحيا أولاده الموتى <sup>(٣)</sup> ، ورزقه مثلهم معهم في الدنيا .

وقيل : في الآخرة .

وقيل : ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ، ومثلهم معهم .

وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله .

﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي : رحمة لأيوب ، وذكرى لغيره من العابدين ؛ ليصبروا كما صبر .

ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معًا للعابدين .

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل : هو إلياس ، وقيل : زكريا ، وقيل : نبيُّ بُعْثَ إلى رجل

(١) في د : «دعا الله» .

(٢) في هـ : «فتح» .

(٣) هذه الكلمة زيادة من ج ، د .



واحد<sup>(١)</sup>، وقيل: رجل صالح غير نبي.

وسُمِّيَ ذا الكفل أي: ذا الحظ من الله.

وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر<sup>(٢)</sup> من بعده.

﴿وَذَا النُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون: هو الحوت، نُسِبَ إليه؛ لأنه التقمه.

﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ أي: مغاضبًا لقومه؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجرٌ منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْبِ﴾ [الفلم: ٤٨].

ولا يصح قول من قال: مغاضبًا لربه.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نصيِّق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦].

وقيل: هو من القدر والقضاء؛ أي ظن أن لن نقدر عليه بعقوبة.

ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

﴿فَنَكَدَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوف؛ لبيانه في غير هذه الآية، وهو: أنه لما خرج ركب السفينة فرمى في البحر، فالتقمه الحوت، ﴿فَنَكَدَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت.

(١) في ب: «وحده».

(٢) في ب، هـ: «بأمره».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ عَبَّرَ بِالظُّلُمَاتِ عَنْ بَطْنِ الْحَوْتِ؛ لَشِدَّةِ ظُلُمَتِهِ، كَقَوْلِهِ:  
﴿وَرَزَقَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسرة،  
أو مصدرية على تقدير: نادى بأن.

والظلم الذي اعترف به: كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.  
﴿وَجَنَّتْهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني: من بطن الحوت، وأخرجه إلى البر.  
﴿وَكَذَلِكَ نُنْشِئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل:  
أن يكون مطلقاً.

أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك<sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ: «دعوة  
أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث.  
﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني وارثاً فأنت خير الوارثين، فهو  
استسلام لله.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني: ولدت بعد أن كانت عقيماً، واسم  
زوجته: أشياع، قاله السهيلي<sup>(٣)</sup>.

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين.

(١) في أ، هـ: «وكذلك».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦٣)، والترمذي (٣٥٠٥)، النسائي في الكبرى (٢٤٣/٩)

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٢١١).

﴿رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ الرَّعْبُ: الرجاء، والرَّهْبُ: الخوف.

وقيل: الرغب: أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب: أن ترفع ظهورها<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ﴾: من العفة؛ أي: أعفته عن<sup>(٢)</sup> الحرام والحلال، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره. والروح هنا: هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه؛ للتشريف، أو للملك.

﴿ءَايَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يش.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملئتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لمحمد ﷺ؛ أي: إنما بُعث الأنبياء المذكورون بما أُمِرتُم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد.

﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارةٌ مِنْ جَعَلَ الشَّيْءَ قِطْعًا.

والضمير للمخاطبين قبل، فالأصل: تقطعتم.

(١) في ج، د: «ظهورهما».

(٢) في أ، ب، هـ: «من».

[فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ. وَإِنَّا لَهُمْ  
 كَنُيُونَ ﴿٩١﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَيْهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٢﴾ حَقٌّ إِذَا  
 فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٣﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ  
 فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ لَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ  
 كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ  
 لَهَا وَرِدُّوكم ﴿٩٥﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٦﴾  
 لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ  
 أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ  
 خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَنَلْفَلَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي  
 كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٠﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا  
 أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ  
 بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ  
 عَابِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا  
 إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ  
 وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ  
 مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِنِ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينٍ ﴿١٠٨﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ  
 وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٠٩﴾].

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾ أي: لا يبطال لثواب عمله.

﴿وَإِنَّا لَهُمْ كَنُيُونَ﴾ أي: نكتب عمله في صحيفته.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَيْهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ قرئ ﴿حِزْمٌ﴾ بكسر

الحاء، وهو بمعنى حرام.

واختلف في معنى الآية :

ف قيل : حرام بمعنى : ممتنع :

(أي : ممتنع<sup>(١)</sup>) على قرية (أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة .

أو ممتنع على قرية)<sup>(٢)</sup> قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا .

﴿لَا﴾ زائدة في الوجهين .

وقيل : حرام بمعنى : حتم واقع لا محالة، ويُتصور فيه الوجهان، وتكون

﴿لَا﴾ نافية فيهما :

أي : حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة .

أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا .

وقيل : المعنى : ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في

الآخرة، و﴿لَا﴾ على هذا نافية أيضًا، ففيه ردُّ على من أنكر البعث .

﴿حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ ﴿حَقَّ﴾ هنا :

حرف ابتداء .

أو غاية متعلِّقة بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ .

وجواب ﴿إِذَا﴾ : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ .

وقيل : الجواب : ﴿يَتَوَلَّوْنَا﴾ ؛ لأن تقديره : يقولون يا ويلنا .

(١) سقط من ب، ج، هـ .

(٢) سقط من أ، ب، هـ .

﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فُتِحَ سُدُّهَا، فحذف المضاف.  
 ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ الحدب: المرتفع من الأرض،  
 ﴿يَنْسِلُونَ﴾: أي يسرعون.

والضمير ليأجوج ومأجوج؛ أي: يخرجون من<sup>(١)</sup> كل طريق؛ لكثرتهم.  
 وقيل: لجميع الناس.

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني: <sup>(٢)</sup> القيامة.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ «إذا» هنا للمفاجأة، والضمير:

عند سيويه: ضمير القصة.

وعند الفراء: للأبصار.

﴿شَاخِصَةٌ﴾ من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب  
 للمشركين.

والحصب: ما توقد به النار، كالحطب، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:  
 «حطب جهنم».

والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها، تُحرق في النار؛ توبيخاً لمن  
 عبدها.

(١) في ب: «على».

(٢) في ج زيادة: «يوم».

﴿وَرُدُّونَ﴾ الورود هنا: دخول<sup>(١)</sup>.

﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في «هود»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يُجعلون في تواييت من نار، فلا يسمعون شيئاً.

وقيل: يُصمُّهم الله كما يُعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ ﴿سَبَقَتْ﴾ أي: قُضيت في الأزل، و﴿الْحُسْنَى﴾: السعادة.

ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبيري على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال: إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا.

فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومته في كل من سبق له السعادة.

﴿حَاسِبَهَا﴾ أي: صوتها.

﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة.

وقيل: دبح الموت.

وقيل: النفخة الأولى في الصور؛ لقوله: ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿كُتِبَ السَّجِلُ لِلْكِتَابِ﴾ السَّجِلُ: الصحيفة، والكتاب: مصدر؛

(١) في هـ: «الدخول».

(٢) انظر (٦١١/٢).

أي: كما يُطَوَّى السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وقيل: السجل: رجل كاتب، وهذا ضعيف.

وقيل: هو ملك في السماء الثانية، ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضًا ضعيف.

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ أي: كما قَدَرْنَا على البَدْءِ نَقْدِرُ على الإِعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقيل: المعنى: نعيدهم على الصورة التي بدأناهم<sup>(١)</sup> كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة عُزْلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

والكاف متعلِّقة بقوله: ﴿نُعِيدُهُمْ﴾.

﴿فَنُعَلِّمُ﴾ تأكيدٌ لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود، والذكر هنا على هذا: التوراة التي أنزل الله على موسى، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الثاني: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا: هو اللوح المحفوظ؛ أي: كتب الله هذا في

(١) في أ، ب، هـ: «بدأناهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٥٩).



الكتاب الذي أفرد له، بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها.

والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالاً ولأن الزبور مفردٌ، فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النصّ قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها<sup>(١)</sup> الصالحون.

﴿أَنْتَ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها.

وقيل: الأرض المقدسة.

وقيل: أرض الجنة.

والأول أظهر.

والعباد الصالحون: أمة محمد ﷺ، ففي الآية ثناء عليهم، وإخبارٌ بغيبٍ ظهر<sup>(٢)</sup> مصداقه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ هذا خطاب لمحمد ﷺ، وفيه تشريف عظيم.

وانتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة.

(١) في ج زيادة: «عبادي».

(٢) في أ، ب: «إخبار بظهور غيب»!

ويَحْتَمِلُ:

أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين.

أو يكون مفعولًا من أجله.

والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظيمة، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة.

فإن قيل: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ عموم، والكفار لم يُرحموا به؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رُحِموا به؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك.

﴿أَذْنُكُم عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام، وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون<sup>(١)</sup> آخر.

﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا نُوْعِدُونَ﴾ «إن» هنا وفي الموضع الآخر نافية، و﴿أَدْرِي﴾ فعل غُلِقَ عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب، وما بعده

(١) في أ، ب زيادة: «واحد».

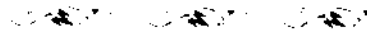
في موضع المعمول من طريق المعنى ؛ فيجب وصله معه ، والهمزة في قوله : ﴿أَقْرَبُ﴾ للتسوية ، لا لمجرد الاستفهام .

وقيل : يوقف على ﴿وَلَنْ أَذْرِي﴾ في الموضعين ، ويبدأ بما بعده ، وهذا خطأ ؛ لأنه يطلب ما بعده .

﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم .

﴿وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي : إلى الموت ، أو القيامة .

﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي : أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب .



## ﴿سورة الحج﴾

[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ وَمِنكُم مَّن يُؤَفِّقُ وَمِنكُم مَّن يُرَدِّ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾].

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ نكلمنا على التقوى في أول «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: شدَّتها وهولها<sup>(١)</sup>، كقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حيثُذ، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

والجملة تعليلٌ للأمر بالتقوى.

واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك:

في الدنيا بين يدي القيامة؟

أو بعد أن تقوم القيامة؟.

والأرجح: أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل، لا بعد القيامة.

﴿يَوْمَ تَرْوُنَهَا﴾ العامل في الظرف ﴿تَذْهَلُ﴾.

والضمير للزلزلة.

وقيل: للساعة، وذلك ضعيف؛ لما ذكرنا، إلا أن يريد ابتداء أمرها.

﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول: هو الذهاب عن الشيء مع دهشة.

﴿مُرْضِعَةٌ﴾ إنما لم يقل «مرضع»؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلقِمةٌ ثديها للصبى، والمرضع: التي شأنها أن تُرضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: ﴿مُرْضِعَةٌ﴾؛ ليكون ذلك أعظم في الذهول؛ إذ تنزع ثديها من فم الصبي حيثُذ.

(١) في أ، ب، هـ: «وهو هولها».

﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ تشبيهًا بالسُّكَّارِ ؛ لشدة الغم .

﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ نفْيٌ لحقيقة السُّكْرِ .

وقرئ ﴿سَكْرَى﴾ ، والمعنى متَّفَقٌ<sup>(١)</sup> .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث ، وقيل : في أبي جهل .

وهي تتناول كلَّ مَنْ اتصف بذلك .

﴿شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي : شديد الإغواء ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يريد : شيطان الجن ، أو الإنس .

﴿كَيْبٌ﴾ تمثيلٌ لثبوت الأمر ، كأنه مكتوب .

ويَحْتَمِلُ أَنْ يكون بمعنى : قُضِيَ ، كقوله : كَتَبَ الله .

﴿أَنَّهُ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسمَّ فاعله ، و﴿فَأَنَّهُ﴾ عطفٌ عليه ، وقيل : تأكيد .

﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ أي : تبعه ، أو اتخذه وليًا .

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ ، وفي ﴿أَنَّهُ﴾ في الموضعين ، وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾ : للشيطان .

وفي ﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ : للمتولِّي له .

ويَحْتَمِلُ أَنْ تكون تلك الضمائر أولًا لـ ﴿مَنْ يُجَادِلُ﴾ .

(١) في ج زيادة «عليه» .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ الآية؛ معناها: إن شككتكم في البعث الأخر اوي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خَلَقْتُمْ؛ فتعلموا أن الذي قَدَّرَ على خَلَقْتُمْ أول مرة، قادرٌ على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قَدَّرَ على إخراج النبات من الأرض بعد موتها، قادر على أن يخرجكم من قبوركم.

﴿خَلَقْتُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم.

﴿مِّنْ عَظْمَةٍ﴾ العلة: قطعة من دم جامدة.

﴿مِّنْ مَّضْغَةٍ﴾ أي: قطعة من لحم.

﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة: غير التامة، كالسَّقَط.

وقيل: المخلقة: المساواة السالمة من النقصان.

﴿لَنَسْبِتَنَّ لَكُمْ﴾ اللام تتعلق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث.

﴿وَنُفِئَنَّ﴾ فعلٌ مستأنف.

﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَكًّى﴾ يعني: وقت وضع الحمل، وهو مختلف، أقله ستة أشهر إلى ما فوق ذلك.

﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أفردته: لأنه أراد الجنس، أو أراد: نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ هو كمال القوة والعقل والتميز، وقد اختلف فيه من ثمان عشرة سنة إلى خمس وأربعين.

﴿أَزْدِلِ الْعُمُرِ﴾ ذكر في «النحل»<sup>(١)</sup>.

﴿هَامِدَةً﴾ يعني: لا نبات فيها.

﴿أَهْرََّتْ﴾ تحرّكت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء.

﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت.

﴿زَوْجَ بَهِيحٍ﴾ أي: صنف عجيب.

﴿ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور، من أمر الإنسان والنبات، حاصل بأن<sup>(٢)</sup> الله هو الحق. هكذا قدره الزمخشري<sup>(٣)</sup>، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضا فسرها ابن عطية<sup>(٤)</sup>.

ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ معطوفاً على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذكر؛ فقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ ليس بسبب لما ذكر؛ ولكن المعنى: أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر (٢/٧٦٢).

(٢) في هـ: «لأن».

(٣) الكشاف (١٠/٤٤٥).

(٤) المحرر الوجيز (٦/٢١٨).

(٥) المحرر الوجيز (٦/٢١٨).



وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان.

أما قوله: «إن الأمر مرتبط ببعضه ببعض»، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح.

وأما قوله: «على تقدير: الأمر: أن الساعة»؛ فذلك استئناف، وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعاً مما قبله؟!.

والذي يظهر لي: أن الباء ليست بسببية، وإنما يُقدَّر لها فعلٌ تتعلق به ويقتضيه المعنى، وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدَّم من خِلقة الإنسان والنبات شاهد<sup>(١)</sup> بأن الله هو الحق، وبأنه يحيي<sup>(٢)</sup> الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مما استدلَّ عليها بخِلقة الإنسان والنبات.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت الأولى، وقيل: في الأخنس بن شريق.

﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ كناية عن المتكبر المعرض.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي: أسره ثم قلته، وكذلك قتل أبي جهل.

(١) في د: «تشهد».

(٢) في ج: «محيي».

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ أي : يقال له : ذلك بما فعلت ، وبعدل الله ؛ لأنه لا يظلم العباد.



[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبِّ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَعِظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ حَصَمَانِ أَحْضَمُوا فِي رِيحٍ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِّنْ حَبِيرٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدَّ عن الإسلام.

فالحرف هنا: كناية عن المقصد، وأصله:

من الانحراف عن الشيء.

أو من الحرف بمعنى الطرف؛ أي: أنه في طرفٍ من الدين لا في وسطه.  
﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ خسارة الدنيا: بما جرى عليه فيها، وخسارة  
الآخرة: بارتداده، وسوء اعتقاده.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ يعني: الأصنام، و﴿يَدْعُوا﴾ بمعنى: يعبد (في  
الموضعين)<sup>(١)</sup>.

﴿يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ فيها إشكالان:

الأول: في المعنى، وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم  
وصفها بأنَّ ضَرَّها أكثر من نفعها، فنفي الضرِّ ثم أثبتة!

والجواب: أن الضر المنفي أولاً يراد به ما يكون مِنْ فِعْلِها، وهي لا تفعل  
شيئاً، والضر الثاني يراد به: ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام على «مَنْ»، وهي في الظاهر مفعول،  
واللام لا تدخل على المفعول!

وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدَّمة على موضعها، كأنَّ الأصل أن يقال: يدعو مَنْ  
لضرِّه أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ.

وثانيها: أنَّ ﴿يَدْعُوا﴾ هنا كُرِّر تأكيداً لـ ﴿يَدْعُوا﴾ الأول، وتمَّ الكلام  
عنده، ثم ابتداء قوله: ﴿لِمَن ضَرُّهُ﴾، ف«مَنْ» مبتدأ، وخبره ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾.

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

وثالثها: أن معنى ﴿يَدْعُوا﴾: يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرّة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام.

﴿الْمَوْلَى﴾ هنا: بمعنى الولي.

﴿الْمَشِيرُ﴾ الصاحب؛ فهو من العشرة<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها؛ قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة.

﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ السبب هنا: الجبل، والسماء هنا: سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تُعَلَّقُ<sup>(٢)</sup> منها الحبال.

والقطع هنا يراد به: الاختناق بالجبل، يقال: قَطَعَ الرجلُ: إذا اختنق. ويَحْتَمِلُ أن يراد به: قَطْعُ الرَّجُلِ من الأرض بعد ربط الجبل في العنق، وربطه في السقف.

والمراد بالاختناق هنا: ما يفعله من اشتدَّ غيظه وحسرتة، أو طمِع فيما لا يصل إليه، كقولك للحسود: مُتْ كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك.

وفي معنى الآية قولان:

الأول: أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظنُّ أن لن ينصر الله محمدًا فليختنق بحبل؛ فإن الله

(١) في أ، ب، هـ: «العشرة».

(٢) في ج، د، هـ: «يعلق».

ناصره ولا بد؛ على غيظ الكفار.

فموجب الاختناق: هو الغيظ من نصره محمد ﷺ.

**والقول الثاني:** أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ عائدٌ على ﴿مَنْ﴾، والمعنى على هذا: مَنْ ظَنَّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمّه أن لن ينصره الله فليختنق، وليمت بغيظه؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك.

فموجب الاختناق على هذا: القنوط، والتسخط من القضاء، وسوء الظن بالله حتى يشس<sup>(١)</sup> من نصره، ولذلك فسّر بعضهم ﴿أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ بمعنى: أن لن يرزقه.

وهذا القول أرجح من الأول لوجهين:

**أحدهما:** أن هذا القول مناسبٌ لمن يعبد الله على حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط، حتى ظنَّ أن الله لا ينصره<sup>(٢)</sup>، فيكون هذا الكلام متصلًا بما قبله، ويدلُّ عليه<sup>(٣)</sup> قوله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الأمور بيد الله؛ فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله، ولا ينقلب إذا أصابته فتنة.

**والوجه الثاني:** أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ على هذا القول يعود على ما تقدّم<sup>(٤)</sup>، وأما في القول الأول فلا يعود على مذكورٍ قبله؛ لأن النبي ﷺ لم

(١) في ج: «يأس».

(٢) في أ، ب: «أن لن ينصره».

(٣) في د: «على ذلك».

(٤) في ج، هـ: «تقدمه».

يُذَكِّرُ قَبْلَ ذَلِكَ بِحَيْثُ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَدُلُّ سِيَاقُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ دَلَالَةً ظَاهِرَةً.

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به: اختناقه، وَسُمِّيَ كَيْدًا؛ لِأَنَّهُ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْكَيْدِ؛ إِذْ هُوَ غَايَةُ حِيلَتِهِ.

والمعنى: إذا خنق نفسه فلينظر هل يُذْهِبُ ذَلِكَ مَا يَغِيظُهُ مِنَ الْأَمْرِ؟، أَيْ: لَيْسَ يُذْهِبُهُ.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن؛ أَيْ: مِثْلَ هَذَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ كُلَّهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: «أَنَّ» فِي مَوْضِعِ خَبَرِ الْإِبْتِدَاءِ، وَالتَّقْدِيرُ: الْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ <sup>(١)</sup>، وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَكْلُفٌ إِضْمَارٌ، وَقِطْعًا لِلْكَلَامِ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي قَبْلَهُ.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: التَّقْدِيرُ: لِأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ <sup>(٢)</sup>، فَجَعَلَ «أَنَّ» تَعْلِيلًا لِلْإِنْزَالِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمَا بِالْوَاوِ.

وَالصَّحِيحُ عِنْدِي: أَنْ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ لِأَنَّهُ مُقَدَّرٌ بِالمصدر، فَالتَّقْدِيرُ: أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَهَدَى لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة» <sup>(٣)</sup>، وَكَذَلِكَ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾.

(١) المحرر الوجيز (٢٢٤/٦).

(٢) الكشف (٤٥٦/١٠).

(٣) انظر (٣٢٢/١)، والمادة (٣٧٦) في اللغات.

﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشر من الظلمة.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم.  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، وكُرِّرت ﴿إِنَّ﴾ مع الخبر للتأكيد.

وَفَضَّلُ اللَّهِ بَيْنَهُمْ: بأن يبين لهم أنَّ الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

﴿يَسْجُدُ لَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ دخل في هذا: مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الملائكة، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الملائكة والجن، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكَّره في آخر الآية، إلَّا أن يكون ذكَّره في آخرها على وجه التجريد.

وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به: الانقياد، ثم إن الانقياد يكون على وجهين:

أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعًا.

والآخر: الانقياد لما يُجْري الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره، شاؤوا أو أبوا.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة؛ فيكون ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوفًا على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون



قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفاً يراد به من لا يتقاد للطاعة، ويؤقف على قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، وهذا القول هو الصحيح.

وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدييره؛ فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد؛ لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى.

ف قيل<sup>(١)</sup>: إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره: أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود.

وتأوله الزمخشري على هذا المعنى: بأن أعرب ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ فاعلاً بفعل مضمر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوعاً بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: مثاب<sup>(٢)</sup>. وهذا تكلف بعيد.

﴿هَذَانِ خَصَّانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدل على ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

(١) في ج، د: «وقيل».

(٢) الكشاف (٤٥٩/١٠).

(٣) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس نظراً، فابن عباس يقول بأنها في المؤمنين وأهل الكتاب، لا عموم الكفار، وأما القول بأنها في المؤمنين والكفار على العموم، فهو قول مجاهد وعطاء والحسن البصري وعاصم والكلبي. انظر: تفسير الطبري (٤٩١/١٦)، والمحرم الوجيز (٢٢٨/٦).

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات.

والْحَصْمُ يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا: جماعة. والإشارة بـ ﴿هَٰذَيْنِ﴾ إلى الفريقين.

﴿أَخْصَصُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في ﴿أَخْصَصُوا﴾ لجماعة الفريقين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ حَكَمَ بين الفريقين، بأن جعل للكفار النار، وللؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا.

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصلت على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب.

﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار.

﴿يُضْهِرُّ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حره إلى بطونهم، فأذاب ما فيها.

وقيل: معنى ﴿يُضْهِرُّ﴾: يُنْضِجُ.

﴿مَقْنَعٌ﴾ جمع مَقْمَعَةٍ؛ أي: مِقْرَعَةٌ من حديد يُضْرَبُونَ بها.

وقيل: هي السَّيَاط.

﴿مِنْ غَيْرٍ﴾ بدل من المجرور قبله.

﴿وَذُوقُوا﴾ التقدير: يقال لهم: ذوقوا.

[إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٣٣﴾  
وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًى إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ  
وَالْبَاقِ وَمَنْ بُرِّدَ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمُ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٣٥﴾].

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: لبيان الجنس، أو التبعض.

وفسرنا الأساور في «الكهف»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: بالنصب:

مفعول بفعل مضمر؛ أي: يُعْطَوْنَ لُؤْلُؤًا.

أو معطوف على موضع ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ إذ هو مفعول.

وبالخفض: معطوف:

على ﴿أَسَاوِرَ﴾.

أو على ﴿ذَهَبٍ﴾.

﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قيل: هو «لا إله إلا الله».

واللفظ أعم من ذلك.

﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله، فالحميد اسم الله.

ويحتمل أن يريد: الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف

كقولك : مسجد الجامع .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ خبره محذوف ، يدلُّ عليه قوله : ﴿ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ الْبَئِيسِ ﴾ .

وقيل : الخبر ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ على زيادة الواو ، وهذا ضعيف .

وإنما قال : ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ بلفظ المضارع ؛ ليدلُّ على الاستمرار على الفعل .

﴿ سَوَاءٌ ﴾ بالرفع : مبتدأ ، أو خبر مقدم ، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ « جعلنا » .

وقرئ بالنصب ؛ على أنه المفعول الثاني ، و﴿ أَلْعَكِيفُ ﴾ فاعل به .

﴿ أَلْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ العاكف : المقيم في البلد ، والبادي : القادم عليه من غيره ، والمعنى : أن الناس سواءٌ في المسجد الحرام ، لا يختصُّ به أحد دون أحد<sup>(١)</sup> ، وذلك إجماعٌ .

وقال أبو حنيفة : حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام : جميع مكة .

وقال مالك وغيره : ليست الدور في ذلك كالمسجد ، بل هي متملّكة .

﴿ بِإِلْحَادٍ بِطَانٍ ﴾ الإلحاد : الميل عن الصواب .

(١) في ج ، هـ : «دون آخر» .

والظلم هنا : عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر ؛ لأن الذنوب بمكة أشدُّ منها في غيرها .

وقيل : هو استحلال الحرام<sup>(١)</sup> .

ومفعول ﴿يُرَدُّ﴾ محذوف ، تقديره : مَنْ يُرَدُّ أَحَدًا ، أو مَنْ يرد شيئًا ، و﴿يُأْلَحِكُ يُظْلِمُ﴾ : حالان مترادفان .

وقيل : المفعول قوله : ﴿يُأْلَحِكُ﴾ على زيادة الباء .



(١) في ب ، ج : «الحرم» .

[وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرَ بَيْتِيَ  
 لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى  
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا  
 أَلَلَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ  
 الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾  
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ  
 الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ  
 الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ  
 الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ  
 تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ العامل في «إِذ» مضمَر، تقديره:

اذكر.

و﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله: بَاءَ بمعنى رَجَعَ، ثم ضوعف ليتعدى، واستعمل  
 بمعنى: أنزلنا في الموضع، كقوله: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

إِلَّا أَنْ هَذَا الْمَعْنَى يَشْكُلُ هُنَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾؛ فَتَعْدَى الْفِعْلُ بِاللَّامِ  
 وَهُوَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، حَتَّى قِيلَ: اللَّامُ زَائِدَةٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: هَيَّأْنَا، وَقِيلَ:  
 جَعَلْنَا.

و﴿الْبَيْتِ﴾ هُنَا: الْكَعْبَةُ، وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ آدَمُ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، ثُمَّ دَرَسَ  
 بِالطُّوفَانِ، فَدَلَّ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَى مَكَانِهِ، وَأَمَرَهُ بِنِيَانِهِ.

﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ﴾: مَفْسَّرَةٌ، وَالْخَطَابُ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَإِنَّمَا

فُسِّرَتْ تَبَوُّةُ الْبَيْتِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْإِشْرَاقِ وَالْأَمْرِ بِالتَّطْهِيرِ؛ لِأَنَّ التَّبَوُّةَ إِنَّمَا قُصِدَتْ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَقْتَضِي ذَلِكَ.

﴿وَطَهَّرَ بَيْنِي﴾ عَامٌّ فِي التَّطْهِيرِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَنْجَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يَعْنِي: الْمَصْلِينَ.

﴿وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ خُطَابَ لِإِبْرَاهِيمَ.

وَقِيلَ: لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ.

رَوَى <sup>(١)</sup> أَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بِالْأَذَانِ بِالْحَجِّ صَعِدَ عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ، وَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ!، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِحَجِّ هَذَا الْبَيْتِ فَحُجُّوا، فَسَمِعَهُ كُلٌّ مِنْ يَحْجُجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَأَجَابَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَمَادٍ وَغَيْرِهِ: «لَيْكَ اللَّهُمَّ لَيْكَ»، فَجَرَّتِ التَّلْبِيَةُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جَمَعَ رَاجِلٍ؛ أَي: مَاشِيًا عَلَى رِجْلَيْهِ.

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضَّامِرُ يَرَادُ بِهِ: مَا يُرَكَبُ مِنْ فَرَسٍ وَنَاقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَوَصَفَهُ بِالضُّمُورِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى الْبَيْتِ إِلَّا بَعْدَ ضُمُورِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حَالٌ مَعْطُوفٌ عَلَى حَالٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: رِجَالًا وَرِكْبَانًا.

(١) فِي ب، د: «وَرَوَى».

واستدلّ بعضهم بتقديم الرّجال في الآية على أن المشي<sup>(١)</sup> إلى الحج أفضل من الركوب<sup>(٢)</sup>.

واستدلّ بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ ؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي : طريق بعيد.

﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ التجارة.

وقيل : أعمال الحج وثوابه.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني : التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا<sup>(٣)</sup>.

وقيل : يعني الذّكر على الإطلاق.

وإنما قال : ﴿أَنْتُمْ أَنتُمْ﴾ ؛ لأن الذّاكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك : يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة ؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده ، ولم يُجزّ ذبحها بالليل ؛ لقوله : ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾.

(١) في أ ، ب : «الماشي».

(٢) في أ : «الراكب».

(٣) في أ : «والهدي».



وقيل : الأيام المعلومات : عشر ذي الحجة ، ويوم النحر ، والثلاثة<sup>(١)</sup> بعده .

وقيل : عشر ذي الحجة خاصة .

وأما الأيام المعدودات ؛ فهي الثلاثة بعد يوم النحر .

فيوم النحر من المعلومات ، لا من المعدودات .

واليومان بعده من المعلومات والمعدودات .

ورابع النحر من المعدودات ، لا من المعلومات .

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ ندب ، أو إباحة .

ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ، ويتصدق بالأكثر .

﴿ الْبَاسِ ﴾ الذي أصابه البؤس .

وقيل : هو المتكفف .

وقيل : الذي يظهر عليه أثر الجوع .

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ التَّفَثُ في اللغة : الوسخ ، فالمعنى : ليقضوا إزالة

تفثهم بقصّ الأظفار ، والاستحداد ، وسائر خصال الفطرة ، والتنظف بعد أن يَحِلُّوا من الحج .

وقيل : التفث : أعمال الحج .

(١) في أ : « والثالثة » ، وفي ب : « وثالثة » .

وقرئ بكسر اللام وإسكانها، وهي لام الأمر، وكذلك ﴿وَلْيُؤْفُوا﴾  
﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا: طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو  
الطواف الواجب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

وقيل: العتيق: الكريم، كقولهم: فرس عتيق.

وقيل: أعتق من الجبابة؛ أي: منع منهم.

وقيل: العتيق: أي: لم يملكه أحد<sup>(١)</sup> قط.

﴿ذَلِكَ﴾ هنا، وفي الموضع الثاني: مرفوعٌ على تقدير: الأمر ذلك، كما  
يقدم الكاتبُ جملةً من كتابه، ثم يقول: «هذا؛ وقد كان كذا».

وأجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ في ثلاثة مواضع من هذه  
السورة، وهي:

[١-] هذا.

[٢-] و﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

لأنها جملة مستقلة؛ إذ هو خبر ابتداء مضمرة.

(١) في ج زيادة: «منهم».

(٢) في جميع النسخ ما عدا هـ زيادة: «و(ذلك ومن يشرك بالله) باعتبارها الموضع الثالث!، وهذا وهم؛ فليست هناك آية بهذا النظم لا في سورة الحج ولا في غيرها، فلعل مراده أن الموضع الثالث هو الموضع الآتي، وهو ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾.

والأحسن: وصلُّها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبيًا.

ومثلها:

[٣-] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٦٠].

و﴿ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] في «الأنفال».

و﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ [ص: ٥٥] في «ص».

﴿حُرِّمَتْ أَلَلَهُ﴾ جمع حُرْمَة، وهو ما لا يحلُّ هَتَكه من جميع الشريعة، فيَحْتَمَل أن يكون هنا:

على العموم.

أو يكون خاصًا بما يتعلق بالحج؛ لأن الآية فيه.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهِ﴾ أي: التعظيم للحرمات خير.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرَّمه في غير هذا الموضع، كالميتة.

﴿الرَّجْسُ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس؛ كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان.

والمراد: النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرُّبًا إليها، كما كانت العرب تفعل.

﴿قَوْلِكَ الزُّورِ﴾ أي: الكذب.

وقيل: شهادة الزور.

﴿فَكَانَ خَرًّا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية؛ تمثيلٌ للمشرك بمن أهلك نفسه أشدَّ الهلاك.

﴿سَجِيٍّ﴾ أي: بعيد.

﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج، وتعظيمُها: بأن تُختار سِمَانًا عِظَامًا غالية الأثمان.

وقيل: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة، وتعظيمُها: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها.

وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمُها: القيام بها وإجلالها.

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفِعْلة التي يتضمَّنُها الكلام، وهي مصدر ﴿يُعْظَمُ﴾.

وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات<sup>(١)</sup>.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من قال: إن شعائر الله هي الهدايا: فالمنافع بها: شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى: نحرها.

ومن قال: إن شعائر الله مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها، أو الأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

(١) الكشاف (١٠/٤٨٣).

﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا فمحلُّها: موضع نحرها، وهو<sup>(١)</sup> منى ومكة، وخصَّ البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي.

و﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محلَّها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل.

ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحلُّها: مأخوذ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كله الطواف بالبيت، يعني: طواف الإفاضة؛ إذ به يحلُّ المحرم من إحرامه.

ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ فذلك لا يستقيم مع قوله: ﴿مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ﴾.

(١) في ج، هـ: «وهي».

[وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۚ فَإِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُم فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمَعَنَى كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٩﴾ لَّنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُمْلِهَا وَلَا يَمَأُوهَا وَلَكِن بَنَاهُ الْفَقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشْكُرِوا اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أي: لكل أمة مؤمنة.

والمنسك: اسم مكان؛ أي: موضعاً<sup>(١)</sup> لعبادتهم.

ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى: عبادة، والمراد بذلك: الذبائح؛ لقوله: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقرباً إلى الأصنام.

﴿فَإِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجَدُّ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبنا بقوله: ﴿فَإِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجَدُّ﴾ أي: هو الذي شرع المناسك لكم، ولمن تقدّم قبلكم.

والثاني: أنه إشارة إلى الذبائح؛ أي: إلهكم إله واحد؛ فلا تذبحوا تقرباً لغيره.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ الخاشعين.

(١) في أ، ب: «موضعها».

وقيل : المتواضعين .

وقيل : نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وكذلك قوله بعد ذلك :  
﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

واللفظ فيهما أعم من ذلك .

﴿وَجِلَتْ﴾ خافت .

﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنَة ، وهو ما أُشْعِرَ من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ؟ .

وانتصابه بفعل مضمر .

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة ، و﴿مِنْ﴾ للتبعيض ، وبذلك استدَلَّ من قال : إن شعائر الله المذكورة أوَّلاً على العموم في أمور الدين .

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل : الخير هنا : المنافع المذكورة قبلُ .

وقيل : الثواب .

والصواب : العموم في خير الدنيا والآخرة .

﴿صَوَافٍ﴾ معناه : قائماتٍ قد صَفَّقْنَ أيديهن وأرجلهن .

وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحدُه صَافَةٌ .

﴿وَجِئَتْ جُنُوبَهَا﴾ أي : سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال : وجب الحائط وغيره : إذا سقط .

﴿الْقَائِمَ﴾ معناه: السائل، وهو من قولك: قَنَّعَ الرجل -بفتح النون-: إذا سأل.

وقيل: معناه: المتعفف عن السؤال، فهو -على هذا- من قولك: قَنِعَ -بالكسر-: إذا رضي بالقليل.

﴿وَالْمُعْتَرِّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مُفْتَعِل، يقال: اعتررت القوم<sup>(١)</sup>: إذا تعرَّضتَ لهم.

فالمعنى: أطعموا مَنْ سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله.

أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية، ومن تعرَّض للعطاء.

﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كله سَخَّرناها لكم.

وقال الزمخشري: التقدير: مثل التسخير الذي عَلِمْتُمْ سَخَّرناها لكم<sup>(٢)</sup>.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنَّما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: ﴿يَنَالَ﴾ مبالغةً وتأكيداً<sup>(٣)</sup>، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنَّما يصل إليه التقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب.

(١) في ج، د: «بالقوم».

(٢) الكشاف (١٠/٤٩٠).

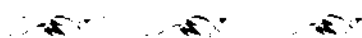
(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.



وقيل : كان أهل الجاهلية يضربون البيت بالدماء ، فأراد المسلمون فعل ذلك ، فنهوا عنه ، ونزلت الآية .

﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴿ كُرِّرْ ﴾ تَأْكِدًا .

﴿ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ ﴾ قيل : يعني قول الذابح : « بسم الله والله أكبر » .  
واللفظ أعم من ذلك .



(١) في ج زيادة «هنا» .

[إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ  
يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُ  
وَبَيْعٌ وَصُلُوحٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ  
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا  
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٣١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ  
فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٣٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٣٣﴾ وَأَصْحَابُ  
مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣٤﴾ فَكَأَنَّمِنْ مِّنْ  
قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْتَلِةٌ وَقَصْرٍ  
مَّشِيدٍ ﴿٣٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا  
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٣٦﴾ وَسَتَعْلَمُوكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ  
يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٣٧﴾ وَكَأَنَّمِنْ مِّنْ  
قَرْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٣٨﴾].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة،  
فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم.

وحذف مفعول ﴿يُدْفِعُ﴾؛ ليكون أعظم وأعم.

وقرىء ﴿يُدْفِعُ﴾ بالالف، و﴿يُدْفِعُ﴾ بسكون الدال من غير ألف، وهما  
بمعنى واحد؛ أجريت «فاعل» مُجْرَى «فعل»، كقولك: عاقبت اللص.

وقال الزمخشري: ﴿يُدْفِعُ﴾ معناه: يبالغ في الدفع عنهم؛ لأنه للمبالغة،

وفعل المغالب أقوى<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخَوَّان: مبالغة في خائن، والكفور: مبالغة في كافر.

قال الزمخشري: هذه الآية علة لما قبلها<sup>(٢)</sup>.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونُسخت المواعدة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة. وقرئ ﴿أُذِنَ﴾:

بضم الهمزة؛ على البناء لما لم يسم فاعله،

وبالفتح؛ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى.

والمعنى: أُذِنَ لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ عليه.

وقرئ ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها.

﴿يَأْتِيهِمْ ظُلُمًا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني: الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضرُّوا بهم، حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب، ووصفهم بالظلم.

(١) الكشاف (١٠/٤٩٢).

(٢) الكشاف (١٠/٤٩٢).

﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع، لا يجوز فيه البديل عند سيبويه<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في محل الجر على الإبدال من ﴿حَقَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ الآية؛ تقوية للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين، وذهب الدين.

وقيل: المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة.  
والأول أليق بسياق الآية.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالالف: مصدر دافع، وبغير ألف: مصدر دفع.  
﴿لَهْدِمَتْ﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد؛ للمبالغة.

﴿صَوْمِعُ﴾ جمع صَوْمَعَة - بفتح الميم -، وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سُمِّي بها في الإسلام موضع الأذان.  
والبيع: جمع بيعة - بكسر الباء -، وهي كنائس النصارى.

والصَّلوات: شنائع<sup>(٣)</sup> اليهود.

(١) المحرر الوجيز (٦/٢٥٣).

(٢) الكشف (١٠/٤٩٤).

(٣) جاء في تكملة المعاجم العربية (٦/٣٦٥): «شُنُوعَة: كنيس، معبد اليهود، وجمعه: شُنَائِع»، وهذه الكلمة مأنوسة، مألوفة الاستعمال عند أهل المغرب والأندلس، فقد استعملها ابن عطية في المحرر الوجيز عند تفسير هذه الآية، واستعملها ابن سهل الأندلسي الجبائي المالكي في كتابه الإعلام بنوازل الأحكام (ص: ٧٧٣)، ونجمع شنوعة على شنائع وشُنُوعات.

وقيل : هي مشتركة لكل أمة ، والمراد بها : مواضع الصلوات .

والمساجد : للمسلمين .

فالمعنى : لولا دفاع الله ؛ لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم ، ولا استولى المشركون على هذه الأمة ، فهدموا مواضع عبادتهم .

﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدّم من المتعبّدات .

وقيل : للمساجد خاصة .

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ أي : مَنْ ينصر دينه وأوليائه ، وهو وعد تضمّن الحضرّ على القتال .

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ الآية ؛ قيل : يعني أمة محمد ﷺ .

وقيل : الصحابة .

وقيل : الخلفاء الأربعة ؛ لأنهم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به .

﴿وَإِن يَكْذِبُواكَ﴾ الآية ؛ ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له ، والوعيد لهم .

﴿نَكِيرٌ﴾ مصدر بمعنى الإنكار .

﴿عَلَى عُرُوشِهِمَا﴾ العروش<sup>(١)</sup> : السُّفُف ، فإن تعلّق الجار بـ ﴿خَاوِيَةً﴾

فالمعنى : أن العروش سقطت ، ثم سقطت<sup>(٢)</sup> الحيطان عليها ، فهي فوقها .

(١) في أ ، ب ، هـ : «العرش» .

(٢) في ب : «العرش سقط ثم سقط» .

وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعنى : أنها خاوية مع بقاء عروشها .

﴿وَيَثِيرُ مُعْطَلَةً﴾ أي : لا يُستقى الماء منها ؛ لهلاك أهلها .

وروي أن هذه البئر هي الرُسُ ، وكانت بعدنَ لأمة من بقايا ثمود .

والأظهر أنه لم يُرد التعيين ؛ لقوله : ﴿فَكَأَنِّ مِّن قَرْيَةٍ﴾ ، وهذا اللفظ<sup>(١)</sup> يراد به الكثير .

﴿وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾ أي : مبنيٌّ بالشَّيدِ ، وهو الجِصُّ .

وقيل : المشيدُ : المرفوع البنيان<sup>(٢)</sup> .

﴿قُلُوبٌ يَّعْقِلُونَ بِهَا﴾ دليلٌ على أن العقل في القلب ، خلافاً للفلاسفة في قولهم : إنه في الدماغ .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي : لا تعمى الأبصار عمى يُعتدُّ به ، وإنما العمى الذي يعتدُّ به عمى القلوب .

أو إن<sup>(٣)</sup> هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ؛ ولكن عميت قلوبهم .

فالمعنى الأول : لقصد المبالغة .

والثاني : خاصٌّ بهؤلاء القوم .

﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغة ، كقوله : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

(١) في ب ، هـ : «لفظ» .

(٢) في ج : «البناء» .

(٣) في أ ، ج : «وأن» .

﴿وَسْتَعْلُواكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش .

﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الوعيد بالعذاب ، وسماء وعدًا ؛ لأن المراد به مفهوم .

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى : إن يومًا من أيام الآخرة مقداره <sup>(١)</sup> ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمس مئة سنة» <sup>(٢)</sup> .

وقيل : المعنى : إن يومًا واحدًا من أيام العذاب كألف سنة ؛ لطول العذاب ؛ فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت في الحقيقة قصيرة .

وفي كل واحد من الوجهين تهديدٌ للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة .

وقيل : إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض .

﴿وَكَأَنِّنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ذكر أولًا القرى التي أهلكتها بغير إملاء ، وذكر هنا التي أهلكتها بعد الإملاء .

والإملاء : هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد .

وعطف هذه الجملة بالواو على الجملة <sup>(٣)</sup> المعطوفة قبلها بالواو ، وقال في الأولى : ﴿فَكَأَنِّنَ﴾ ؛ لأنه بدلٌ من قوله : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ .

(١) في ب : «مقدار» .

(٢) أخرجه أحمد (١٠٦٥٤) ، والترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) .

(٣) في أ ، د ، هـ : «الجميل» .

[﴿قُلْ يَتَّابِهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (١٩) ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٢١) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢) ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٣) ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٤) ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (٢٥) ﴿الْمَلَأْنَا يَوْمَئِذٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٢٦)].

﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالطنعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جدَّ<sup>(١)</sup> فيه؛ لقصد إصلاحه أو إفساده.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ بالألف أي: مغالين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة.

وقرئ بالتشديد من غير ألف؛ ومعناه: أنهم يُعْجِزُونَ الناس عن الإسلام؛ أي: يثبِّطونهم عنه.

﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ النبيُّ أعم من الرسول، فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولاً، فقدَّم الرسول؛ لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأخَّر النبي؛

(١) في أ: «أكَّد»، وفي ج: «أخذ».



لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على ﴿رَسُولٌ﴾ لم يدخل في ذلك من كان نبياً غير رسول.

﴿إِذَا تَمَنَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: «تلك الغرانة العلى، منها الشفاعة ترتجى»، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به، وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد.

واختلف في كيفية إلقاء الشيطان:

ف قيل: إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قَرَّبَ صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر. وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه، حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد.

والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة.

والقول الأول أرجح؛ لأن النبي ﷺ معصومٌ في التبليغ.

فمعنى الآية: أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

واختلف في معنى ﴿تَمَنَّيَ﴾ و﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ في هذه الآية:

ف قيل: تمنى بمعنى: تلا، والأمنية: التلاوة؛ أي: إذا قرأ . . . . .

الكتاب<sup>(١)</sup> ألقى الشيطان من عنده في تلاوته .

وقيل : هو من التمني ؛ بمعنى : حب<sup>(٢)</sup> الشيء .

وهذا المعنى أشهر في اللفظة ؛ أي : تمنى النبي ﷺ مقارنة قومه واستئلافهم ، فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمانة ؛ ليعجبهم ذلك .  
﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي : يبطله ، كقولك : نسخت الشمس الظل .

﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله : ﴿فَيَنْسَخُ﴾ و﴿يُحْكِمُ﴾ .

﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أهل الشك ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ﴾ المكذبون .  
وقيل : الذين في قلوبهم مرض : عامة الكفار ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ﴾ : أشدهم كفراً وعتواً ، كأبي جهل .

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يعني بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ : المذكورين قبل ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمَر ؛ ليقضي عليهم بالظلم .

والشِّقَاق : العداوة ، ووصفه بـ ﴿بَعِيدٍ﴾ ؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير .

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قيل : يعني الصحابة .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن .

(١) في أ ، ب ، هـ : «الكتب» .

(٢) في د : «أحب» .

وقال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء<sup>(١)</sup>.

﴿فَتُخِيتَ﴾ أي: تخشع.

﴿فِي مَرْيَمَ مِنْهُ﴾ الضمير: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر، ووصفه بالعقيم<sup>(٢)</sup>؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقتلون فيه.

وقيل: هو يوم القيامة، والساعة مقدماته، ويقوي ذلك قوله: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَّهُ﴾، ثم تقسيم<sup>(٣)</sup> الناس إلى أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.



(١) الكشف (٥١٤/١٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «بالعقم».

(٣) في أ، ب، هـ: «قسم».

[وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ النَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي النَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾].

﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ روي أن قوما قالوا: يا رسول الله قد علمنا<sup>(١)</sup> ما أعطى الله من قُتِلَ من الخير، فما لمن مات معك؟، فنزلت الآية مُعَلِّمَةً أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت.

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به:

الرزق في الجنة بعد يوم القيامة.

أو رزق الشهداء في البرزخ.

والأول أرجح؛ لأنه يعلم الشهداء والموتى.

﴿مَدْخَلًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: «هذا وقد كان

(١) في أ، ب، هـ: «أعلمنا الله».

كذا . . « إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر .

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ سَمَّى الْإِبْتِدَاءَ عَقُوبَةً بِاسْمِ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا تَجَوُّزًا ، كَمَا تُسَمَّى الْعَقُوبَةُ أَيْضًا بِاسْمِ الذَّنْبِ ، وَوَعْدَ النَّصْرِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ .  
﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ إِنْ قِيلَ : مَا مَنَاسِبَةُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ لِلْمَعَاقِبَةِ؟  
فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : أن في ذكر هذين الوصفين إشعارًا بأن العفو أفضل من المعاقبة<sup>(١)</sup> ، فكأنه حضُّ على العفو .

والثاني : أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾ أَي : ذَلِكَ النَّصْرُ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ ، وَمِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ .  
ومعنى الإيلاج هنا : أَنَّهُ يُدْخِلُ ظِلْمَةَ هَذَا مَكَانَ ضَوْءِ هَذَا ، وَيُدْخِلُ ضَوْءَ هَذَا مَكَانَ ظِلْمَةِ هَذَا .

وقيل : الإيلاج هو ما يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيَزِيدُ فِي الْآخَرِ .  
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أَي : ذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي وُصِفَ اللَّهُ بِهِ هُوَ بِسَبَبِ أَنَّهُ الْحَقُّ .

﴿فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تَصْبِحُ هُنَا : بِمَعْنَى تَصِيرُ .

(١) في هـ : «العقوبة» .

وفهم بعضهم أنه أراد: صبيحة ليلة المطر، فقال: لا تصبح الأرض  
مخضرة إلا بمكة، والبلاد الحارة.

وأما على معنى تصوير؛ فذلك عام في كل بلد.

والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جواباً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾  
لنصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود.  
وإنما قال ﴿تُضَيِّحُ﴾ بلفظ المضارع؛ ليفيد بقاءها كذلك مدة.



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَخُكِّمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ دَلَكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾].

﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك.

﴿أَنْ تَقَعَ﴾ في موضع مفعول، على تقدير: عن أن تقع.

وقال الزمخشري: كراهة أن تقع؛ فهو مفعول من أجله<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل:

أن يريد يوم القيامة، فجعل<sup>(٢)</sup> طيَّ السماء كوقوعها.

أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة؛ لأن

(١) الكشف (١٠/٥٢٣).

(٢) في ب، هـ: «يجعل».

الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثم أحياء بنفخ الروح.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني: الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: البعث.

﴿لَا كُفُورُ﴾ أي: جحود للنعم.

﴿مَنْسَكًا﴾ هنا: اسم مصدر؛ لقوله: ﴿نَاسِكُونَ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: «ناسكون فيه».

﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع<sup>(١)</sup> النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي.

وقيل: المعنى: لا تنازعهم<sup>(٢)</sup> فينازعوكم، فحذف الأول؛ لدلالة الثاني عليه.

ويحتمل أن يكون نهياً لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة ربك.

﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادةً منسوخة بالقتال.

﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾

(١) في ج، د: «لا يسع».

(٢) في أ، ب، هـ: «لا تنازعوهم».



إلى معلومات الله<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة:

إلى كُتِبَ المعلومات في الكتاب.

أو إلى الحكم في الاختلاف.

والأول أظهر.

﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: الأصنام، والسلطان هنا: الحجة والبرهان.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني: ما ليس لهم به علم ضروري، فنفي أو لا البرهان النظري، ثم العلم الضروري.

وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معاً.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون، ف﴿الْمُنْكَرُ﴾ مصدر، كالمُكْرَم بمعنى الإكرام.

ويعرف ذلك في وجوههم: بعبوسها<sup>(٢)</sup> وإعراضها.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يعني: اللوح المحفوظ» صحيح، وكذلك قوله:

«والإشارة بـ(ذلك) إلى معلومات الله» صحيح أيضاً، ومعلومات الله المشار إليها هي ما

تضمنه الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾،

فكل ما في السماء والأرض معلوم لله، ومكتوب في أم الكتاب اللوح المحفوظ، والآية

دالة على مرتبتي الإيمان بالقدر، وهما مرتبتا العلم والكتابة، والله أعلم.

(٢) في أ: «لعبوسها».

﴿يَسْطُورُ﴾ من السَّطْوَة، وهي سرعة البطش.

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يَحْتَمِلُ :

أن تكون ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ، و﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ خبره.

أو يكون ﴿النَّارُ﴾ خبر ابتداء مضمّر<sup>(١)</sup>، كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟، فقيل:

هو النار، ويكون ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ استئنافًا، وهذا أظهر.

~~~~~

(١) زيادة من د.

[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٨﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٠﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٨١﴾] .

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: ضربه الله؛ لإقامة الحجة على المشركين .

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى .

والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبد من دون الله الذي خلق كل شيء؟!، ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدرُوا عليه .

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ﴾ بيان أيضا لعجز الأصنام؛ بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدرُوا على استنقاذه منه على حال ضعفه .

وقد قيل: إن المراد بما يسلب الذباب منهم: الطيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿ضَعُفَ الطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب : الأصنام ، وبالمطلوب : الذباب ؛ لأن الأصنام تَطْلُب من الذباب ما ^(١) سلبته منها .

وقيل : الطالب : الكفار ، والمطلوب : الأصنام ؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم .

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي : ما عَظَّموه حق تعظيمه .

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ردُّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر .

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره ؛ للحديث الصحيح الوارد في ذلك ^(٢) ، خلافاً للمالكية .

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عمومٌ في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبَّر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قَدَّمها ؛ لأنها أهم العبادات .

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل : المراد صلة الرحم .

وقال ابن عطية : هي في النذب فيما ^(٣) عدا الواجبات .

واللفظ أعم من ذلك كله .

(١) في أ ، ب ، هـ : «بما» .

(٢) وهو حديث قال : قلت : يا رسول الله ، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجديتين ؟ قال : «نعم ، فمن لم يسجدهما ، فلا يقرأهما» أخرجه أحمد (١٧٣٦٤) ، وأبو داود (١٤٠٢) ، والترمذي (٥٧٨) .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «مما» .

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ:

جِهَادُ الْكُفَّارِ.

أَوْ جِهَادُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْهَوَى.

أَوْ الْعُمُومُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿حَقَّ جِهَادُهُ﴾ قِيلَ: إِنَّهُ مَنْسُوخٌ، كُنْسَخَ ﴿حَقَّ تَقَالِيهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] بقوله: ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ.

وَأِنَّمَا أَضَافَ الْجِهَادَ إِلَى اللَّهِ؛ لِيُبَيِّنَ بِذَلِكَ فَضْلَهُ وَاخْتِصَاصَهُ بِاللَّهِ.

﴿أَجْتَبَيْكُمْ﴾ أَي: اخْتَارَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ.

﴿مِنْ حَرْجٍ﴾ أَي: مَشَقَّةٍ، وَأَصْلُ الْحَرْجِ: الضِّيقُ.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ انْتَصَبَ ﴿مِلَّةً﴾ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: أَعْنِي بِالدِّينِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، أَوْ: التَّزَمُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ.

وَقَالَ الْفَرَاءُ: انْتَصَبَ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْكَافِ، كَأَنَّهُ قَالَ: «كَمِلَّةٍ^(١)».

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: انْتَصَبَ بِمُضْمُونِ مَا تَقَدَّمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَسَّعَ عَلَيْكُمْ تَوْسِعَةً مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ حَذَفَ الْمُضَافَ^(٢).

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ أَبًا لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ؟!

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَبًا لِأُمَّتِهِ؛ لِأَنَّ أُمَّةَ الرَّسُولِ فِي

(١) فِي هَذِهِ زِيَادَةُ «إِبْرَاهِيمَ».

(٢) الْكَشَافُ (٥٣/١٠).

حكم أولاده؛ ولذلك قرىء: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْلَهُمْ﴾ وهو أب لهم ﴿[الاحزاب: ٦]﴾. وأيضاً؛ فإن قريشاً وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم.

﴿هُوَ سَمَنُكُمْ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: في الكتب المتقدمة، ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في القرآن.

وقيل: الضمير لإبراهيم، والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِنْ دُرَيْبِنَا أُمُّهُ مُسْلِمَةٌ لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ على هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول، ويكون قوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ مستأنفاً؛ أي: وفي هذا بلاغ.

والقول الأول أرجح، وأقلُّ تكلفاً، ويدلُّ عليه قراءة أبي بن كعب: «الله سماكم المسلمين».

﴿شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ تقدّم معنى هذه الشهادة في «البقرة»^(١).

﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة؛ لا اقترانها مع الزكاة.

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا: وليكم وناصركم؛ بدلالة ما بعد ذلك.

(١) انظر (١/٣٦٩).

﴿سورة المؤمنين﴾

[﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَفِضُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪﴾].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②﴾ الخشوع: حالة في القلب، من الخوف والمراقبة والتدلل لعظمة المولى ﷻ، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح، بالسكون والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع.

وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»^(١).

والصواب: أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع.

(١) قال العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (١/١١٦): «لم أجده مرفوعاً... ولا ابن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه».

﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا : الساقط من الكلام ، كالسبِّ واللَّهْوِ ، والكلامُ بما لا يعني .

وعددُ أنواع المنهَى عنه من الكلام عشرون نوعاً^(١) .

ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه ، والدخول فيه .

ويحتمل أن يريد : أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى .

﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي : مؤدّون .

فإن قيل : لم قال ﴿فَاعِلُونَ﴾ ولم يقل : «مؤدّون» ؟

فالجواب : أن الزكاة لها معنيان :

أحدهما : الفعل الذي يفعله المزكي ؛ أي : أداء ما يجب على المال .

والآخر : المقدار المخرج من المال ، كقولك : هذا زكاة مالي .

والمراد هنا : الفعل ؛ لقوله : ﴿فَاعِلُونَ﴾ .

(١) عدّها ابن جزّي وتكلم عن تفاصيلها في كتابه «القوانين الفقهية» (ص: ٧٠٦) ، وهي إجمالاً : (١) الغيبة ، (٢) والبهتان ، (٣) والكذب ، (٤) واليمين الغموس ، (٥) وشهادة الزور ، (٦) والنميمة ، (٧) والاستهزاء ، (٨) وإطلاق ما لا يحل إطلاقه على الله أو رسوله أو الملائكة أو الأنبياء أو الصحابة ، (٩) وكلام العوام في دقائق علم الكلام مما لا يعلمون ، (١٠) والسحر ، (١١) والفحش من الكلام ، (١٢) والشعر والغناء ، (١٣) والمدح ، (١٤) وكلام أي الوجهين ، (١٥) وتزكية الإنسان لنفسه ، (١٦) وإفشاء السر ، (١٧) والكذب في الوعد ، (١٨) والجدال والخصام ، (١٩) وذم الأشياء ، (٢٠) والكلام فيما لا يعني .

ويصح المعنى الآخر على حذف؛ تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرُ مُلْكَيْنِ﴾ أي: لا يُلَامُونَ على أزواجهم.

ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَافِظُونَ﴾ على أن يكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى «عن».

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني: النساء المملوكات.

قال الزمخشري: إنما قال ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ ولم يقل «من»؛ لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء^(١).

﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ يعني: ما سوى الزوجات والمملوكات.

﴿لَا مَنَنْتَنَّهُمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

أمانات الناس وعهدهم،

أو أمانة الله وعهده:

في دينه.

أو العموم.

والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهد، وبغير عهد متقدم.

﴿رَعُونَ﴾ أي: حافظون لها، قائمون بها.

﴿عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها: هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها.

(١) الكشف (١٠/٥٥٠).

فإن قيل : كيف كرّر ذكر الصلوات أولاً وآخرًا؟

فالجواب : أنه ليس بتكرار ؛ لأنه قد^(١) ذكر أولاً الخشوع فيها ، وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان .

وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم ؛ دلالة على ثبوت فعلهم لها .

﴿الْوَرِثُونَ﴾ أي : المحصلون^(٢) للجنة ، فالميراث استعارة .

وقيل : إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار ، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة .

﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة ، وهي جنة الأعناب .

وأعاد الضمير عليها مؤنثًا ؛ على معنى الجنة .



(١) لم ترد في أ ، هـ .

(٢) كذا في هامش أ ، وفي بقية النسخ : «المخلصون» ، والمثبت هو الأصوب ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦ / ٢٨٠) .

[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ ﴿٢١﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسَفِّكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٤﴾ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٥﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ اختلف هل يعني آدم؟، أو جنس بني آدم؟.

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السُّلَالَةُ: هي ما يُسَلُّ من الشيء؛ أي: ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا: القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم.

فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى: أنه خُلِقَ من تلك السُّلَالَةِ المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ لا بد أن يراد به ابن آدم؛ فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولاً، ولكن يفسره سياق الكلام.

وإن أراد بالإنسان ابن آدم: فيستقيم عَوْدُ الضمير عليه، ويكون معنى خَلَقَهُ من سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ: أي: خَلَقَ أَصْلَهُ، وهو أبوه آدم.

ويَحْتَمِلُ عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعمُّ آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أولاً، ثم فصله بعد ذلك إلى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِآدَمَ، وهي من طين،

وإلى الخِلْقَةِ المختَصَّة بذريته، وهي النطفة.

فإن قيل: ما الفرق بين ﴿مِنْ﴾ و﴿مِّنْ﴾؟

فالجواب - على ما قال الزمخشري - : أن الأول للابتداء، والثاني لليان، كقوله: ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: ٣٠] ^(١).

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: رَجَمَ الْأُمَّ.

ومعنى ﴿مَّكِينٍ﴾: متمكن، وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرَّة، لا من صفة المحلِّ المستقرِّ فيه، ولكنه كقولك: «طريق سائر» أي: يسير الناس فيه.

وقد تقدَّم تفسير النطفة والمضغة والعلاقة في أول «الحج» ^(٢).

﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه.

وقيل: خروجه إلى الدنيا.

وقيل: استواء الشباب.

وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتقٌّ من البركة.

وقيل: معناه: تقدَّس.

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه.

(١) انظر: الكشف (٥٥٦/١٠).

(٢) انظر صفحة ١٧٨.

وفسر بعضهم ﴿الْمُخْلِقِينَ﴾ بالمقدرين؛ فراراً من وصف المخلوق بأنه خالق.

ولا يجب أن يُنفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وإنما الذي يجب أن يُنفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: الخلق في اللغة يأتي بمعنى الإيجاد بعد عدم، ويأتي بمعنى التقدير، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعد ضُ القوم يخلق ثم لا يفري
وقد جاء المعنيان في القرآن فيما يضاف إلى الله، ولكن المعنى الأول هو الأكثر، وشواهد بصاريف مادته لا تحصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ومن الخلق بمعنى التقدير قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ فالخالق هو المقدر لما يريد إيجاده، والبارئ هو المخرج لما قدره إلى الوجود، ويحتمل المعنيين قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. ولم يأت في القرآن الخلق مضافاً إلى غير الله إلا ما جاء في الخبر عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾، والأظهر أن الخلق هنا بمعنى التقدير، فهو لا يوجد طيراً، وإنما يخلق ما هو كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وبذا يعلم أنه لم يأت الخلق بمعنى الإيجاد في القرآن مضافاً لغير الله مطلقاً، ولا يكاد يستعمل في لسان المسلمين إضافة الخلق لغير الله، بل نفى الخلق عن كل ما عبده المشركون: ﴿أَيُّشْرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، حتى ما ينحته المشركون من الأصنام أضاف الله خلقها إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وعلى هذا فلا يجوز إضافة خلق مصنوعات البشر إلى صانعيها، بل الله خالقها بالأسباب التي خلقها وقدرها، وعلى هذا فتعقب المؤلف لمن قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أحسن المقدرين، ضعيف.

﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طُورِقَ^(١) فوق بعض كمطارقة النعل^(٢).

وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق: المخلوقين، أو المصدر.

﴿مَاءً يَقْدَرُ﴾ يعني: المطر الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض.

وقيل: يعني: أربعة أنهار، وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان. ولا دليل على هذا التخصيص.

ومعنى ﴿يَقْدَرُ﴾: بمقدار معلوم لا يزيد عليه^(٣) ولا ينقص منه.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يعني: الزيتون.

وإنما خصَّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع.

﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل بالشام، وهو الذي كلّم الله عليه موسى ﷺ، ونُسب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة.

(١) في ب: «طرائق»، وفي ج: «طروق» والمثبت هو الصواب وهو الموافق لعبارة الكشف (٥٦٣/١٠).

(٢) طارِقُ النعل: إذا وضع بعضها على بعض، وركب بعضها على بعض. انظر: لسان العرب (١٢/١٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «عليها».

و﴿سِينَاء﴾ اسم الجبل، أضافه إليه، كقولك^(١): جبل أحد.

وقرئ بفتح السين، ولم ينصرف للتأنيث اللازم.

وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعُجْمَة، أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن «فِعْلاء» بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث.

وقيل: معناه: مبارك.

وقيل^(٢): ذو شجر.

ويلزم على ذلك صرفه.

﴿تَنْبُتٌ بِالذُّهْنِ﴾ يعني: الزيت.

وقرئ ﴿تَنْبُتٌ﴾ بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه.

وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن أنبت بمعنى نبت.

والثاني: حذف المفعول، تقديره: تُنبت ثمرتها بالدهن.

والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصَبِغٌ لِلْأَكْلَيْنِ﴾ الصَّبِغ: الغمس في الإدام.

﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذَّكْر: الإبل؛

(١) في ج، د: «كقوله».

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

لقلوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (١١).

وقد تقدّم في «النحل» ذكرُ المنافع التي فيها^(١)، وتذكيرها وتأنيتها^(٢).



(١) انظر (٧٣٢/٢).

(٢) انظر (٧٥٩/٢).

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُورُونَ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٩﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٠﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِ فَقُلِ الثَّانِدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَسَنَا مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزْلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣٤﴾].

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فيا عجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر!

﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله.

أو: بمثل الكلام الذي قال لهم.

وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة.

﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون.

فانظر اختلاف قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا: وقت زوال جنونه

على قولهم، أو وقت موته.

﴿أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ تَضَمَّنَ هذا دعاء عليهم؛ لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم.

وقد تقدَّم في «هود» تفسير ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، و﴿وَقَارَ الشُّوْرُ﴾، و﴿وَلَا تَخْطِبْنِي﴾^(١).

﴿فَأَسْأَلُكَ فِيهَا﴾ أي: أَدْخِلْ فِيهَا.

وقد تقدَّم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾^(٢).

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ «إِنْ» مخففة من الثقيلة، و﴿مُبْتَلِينَ﴾: اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون:

بمعنى^(٣) الاختبار.

أو إنزال البلاء.

﴿وَرَأَى آخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد، ورسولهم هود؛ لأنهم الذين يلون قوم نوح.

وقيل: إنهم ثمود، ورسولهم صالح، وهذا أصح^(٤)؛ لقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾، وثمرود هم الذين هلكوا بالصيحة، وأما عاد فهلكوا بالريح.

(١) انظر (٥٨٦/٢).

(٢) انظر (٥٨٦/٢).

(٣) في ب، د: «من».

(٤) في أ، ب، هـ: «أصلح».

[فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ ۖ وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَشَرْبِ مَا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعْبُدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هُنَّ هُنَّ هُنَّ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعَدَا لِلْقَوْمِ الظُّلُمَاتِ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا نَذِيرًا كُلَّ مَا جَاءَهُ أُمَّةٌ رَسُولُهُ كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدَا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾]

﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾: قَدَّمَ هَذَا الْمَجْرُورَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لِثَلَاثِهِمْ أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بِخِلَافِ قَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ^(١).
﴿وَاتَّرفَتْهُمْ﴾: أَي: نَعَّمْنَاهُمْ.

(١) انظر: درة التنزيل للإسكافي ص: ٩٣٥، وملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ قَالُوا ذَلِكَ :

لإنكارهم أن يكون نبي^(١) من البشر.

أو قالوه أنفة من أتباع بشر مثلهم.

وكذلك قول قوم نوح.

﴿أَعِدُّكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

﴿أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ﴾ كَرَّرَ «أَنْ» توكيداً^(٢) للأولى؛ و﴿تُخْرِجُونَ﴾ خبرٌ عن

الأولى.

﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم.

و﴿هِيَاتَ﴾ : اسم فعل بمعنى : بَعُدَ.

وقال الغزنوي : هي للتأسف والتأوه^(٣).

ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان.

وتارة يجيء فاعله دون لام، كقوله :

فهيئات هيئات العقيق وأهله^(٤)

.....

(١) في د، هـ : «النبي».

(٢) في د : «تأكيداً».

(٣) انظر : عين المعاني ..

(٤) هذا صدر بيت لجبرير بن عطية، كما في ديوانه (ص : ٣٨٥)، وروي البيت هكذا

«فهيئات هيئات..»، وروي «فأيها أيها..» بالهمزة، وهما لغتان، والعرب تبدل

الهمزة هاء وبالعكس. انظر : تحفة المجد الصريح شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر

اللبلي (١/ ٢٤٢).

وتارةً يجيء باللام، كهذه الآية.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: البعد لما توعدون^(١)؛ فنزله منزلة المصدر.

قال الزمخشري: وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو، بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المهيئت به^(٢).

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة؛ لدلالة الخبر عليها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعضٌ ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم: إنكار البعث.

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٍ﴾^(٣) صفةٌ للزمان، والتقدير: عن زمانٍ قليلٍ يندمون.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُسَاءً﴾ يعني: هالكين كالغشاء، والغشاء: ما يحمله السيل من الورق وغيرها مما يبلى ويسود، فشبه به الهالكين.

﴿فَبَعْدًا﴾ مصدرٌ وُضع موضع الفعل بمعنى: بَعِدُوا؛ أي: هَلِكُوا، والعامل فيه مضمَرٌ لا يظهر.

﴿تَنَزَّلُ﴾ مصدرٌ وزنه: فَعْلَى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوعٌ موضع

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (١٣/٤).

(٢) انظر: الكشاف (٥٨٢/١٠).

(٣) في أ، ب، ج: «وقيل»، وهو تصحيف، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٥٨٤/١٠).

الحال؛ أي: متواترين واحداً بعد واحد.

فمن قرأه بالتنوين: فألفه للإلحاق.

ومن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة.

والتاء الأولى فيه بدلٌ من واو هي فاء الكلمة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدث الناس بما جرى عليهم، ويحتمل أن يكون:

جمع حديث.

أو جمع أحوثة، وهذا أليق؛ لأنها تقال في الشر.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ أي: خادمون^(١) متذللون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

﴿وَأَوَّيْتَهُمَا إِلَى رُبُوبَةٍ﴾ الربوة: الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الرء وضمتها وكسرهما.

واختلف في موضع هذه الربوة:

فقيل: بيت المقدس.

(١) في د: «خادمون».

وقيل : بغوطة دمشق .

وقيل : بفلسطين^(١) .

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار : المستوي من الأرض ، فمعناه : أنها بسيطة
يتمكّن فيها الحرث والغراسة .

وقيل : القرار هنا : الثمارُ والحبوب .

والمعين : الماء الجاري :

ف قيل : إنه مشتقٌّ من قولك : مَعَنَ الماءُ : إذا كثر ؛ فالميم على هذا أصلية ،
ووزنه فَعِيل .

وقيل : إنه مشتق من العين ؛ فالميم زائدة ، ووزنه مفعول .



(١) في أ، ب، هـ : «فلسطين» .

[يَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غُرَّتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ تَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ مَا آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غُرْفٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا نَتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكَبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنبَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ قَتَلْتَهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَرِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ ﴿٧٧﴾].

﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى: أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك.

وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة، وهذا بعيد.

﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب.

أو من المستلذات، فالأمر للإباحة.

﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قرئ ﴿وَأَنَّ﴾:

بالكسر على الاستئناف.

وبالفتح على معنى: لِأَنَّ، وهي متعلقة بقوله آخِرًا: ﴿فَأَنْقُوتِ﴾.

وقيل: تتعلّق بفعل مضمر تقديره: واعلموا.

والأمة هنا: الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل

المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور، وهو الكتاب^(١)، والمعنى:

أنهم افرقوا في اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل،

وغير ذلك.

أو وضعوا كتبًا^(٢) من عند أنفسهم.

﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغمرة: الجهل والضلال،

وأصلها من غَمَرَة الماء^(٣).

(١) في أ، هـ: «الكتب».

(٢) في ب، ج: «كتابًا».

(٣) قال في الكشاف (٥٩٣/١٠): «الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، فضربت مثلًا لما هم

مغمورون فيه من جهلهم وعمائيتهم، أو شبهوا باللاعبيين في غمرة الماء؛ لما هم عليه

من الباطل».

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا : يوم بدر ، أو يوم موتهم .

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ الآية ؛ ردُّ عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خيرٌ لهم وأنها بسبب رضا الله عنهم^(١) .

﴿تُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر «أنَّ» ، والضمير الرابط محذوفٌ ، تقديره : نسارع به .

﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي : لا يشعرون أن ذلك استدراجٌ لهم ، ففيه معنى التهديد .

﴿يُؤْتُونَ مَا أَتَوْا﴾ قيل : معناه يُعْطُونَ ما أعطوا من الزكوات^(٢) والصدقات .

وقيل : إنه عامٌّ في جميع أفعال البرِّ ؛ أي : يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم ، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي ﷺ^(٣) ، إلا أنها قرأت : «يأتون ما أتوا» بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة .

وقيل : إنه عامٌّ في الحسنات والسيئات ؛ أي : يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله .

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ «أنَّ» :

في موضع المفعول من أجله .

أو في موضع المفعول بـ ﴿وَجِلَّةٌ﴾ ؛ إذ هي في معنى : خائفة .

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه معنيان :

أحدهما : أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات .

(١) في أ : «ولسبب رضا الله عنهم» ، وفي ب : «وبسببها رضي الله عنهم» .

(٢) في أ ، د : «الزكاة» .

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣) ، والترمذي (٣١٧٥) ، وابن ماجه (٤١٩٩) .

والآخر: أنهم يتعجلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدمة^(١)؛ لأنه أثبت فيه ما نُفي عن الكفار من المسارعة^(٢).

﴿وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾.

وقيل: معناه: سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج عن الوسع والطاقة.

وقد تقدّم الكلام على تكليف ما لا يطاق في «البقرة»^(٣).

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديد، وتأمين من الظلم والحيف.

﴿فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجلمته.

وقيل: من القرآن.

وقيل: من الكتاب المذكور.

وقيل: من الأعمال التي وصف بها المؤمنين.

﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون العَمَلَةِ التي هم فيها،

فالمعنى: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾

(١) الآية المتقدمة قوله تعالى في الكفار: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَيْنَ ۖ نُسَاجُ لَهُمْ فِي الْفُتُورِ﴾.

(٢) انظر: الكشاف وتعليق الطيبي (٥٩٧/١٠).

(٣) انظر (٥١٠/١).

- على هذا- إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتذكير^(١)؛ لأنها في معنى الكفر.
وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿مَنْ هَذَا﴾؛ أي: لهم أعمال سيئة غير (ذلك
المعنى)^(٢) المشار إليه حسبما اختلف فيه.

﴿هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال.

وقيل: عن الاستقبال.

وقيل: المعنى: أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله، فجعل
﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ غاية لقوله: ﴿عَمِلُونَ﴾.

﴿مُتْرَفِيهِمْ﴾ أي: أغنياءهم^(٣) وكبراءهم.

﴿إِذَا هُمْ يَخْرُوتُ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون.

فإن أراد بالعذاب قتل^(٤) المترفين يوم بدر: فالضمير في ﴿يَخْرُوتُ﴾ لسائر
قريش؛ أي: ناحوا وصاحوا^(٥) على القتلى.

وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم.

﴿لَا يَخْرُوتُ الْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب: لا تجاروا، ويحتمل:

أن يكون هذا القول حقيقة.

(١) في أ، ب، هـ: «بالتأكيد».

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في أ، ب، هـ: «أعيانهم».

(٤) في أ، هـ: «قتال».

(٥) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

أو^(١) يكون بلسان الحال .

ولفظه نهْيٌ ، ومعناه : أن الجُؤار لا ينفعهم .

﴿عَلَىٰ أَغْفِيكُمْ نَنكِصُونَ﴾ أي : ترجعون إلى وراء ، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات ، وهي القرآن .

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل : إن الضمير عائدٌ على المسجد الحرام ، أو على الحرم وإن لم يُذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام ، والمعنى : أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام ؛ لأنهم أهله وولاته .

وقيل : إنه عائد على القرآن ؛ من حيث ذُكرت الآيات ، والمعنى على هذا : أن القرآن يحدث لهم عتواً وكِبْراً^(٢) .

وقيل : إنه يعود على النبي ﷺ ، وهو على هذا متعلق بـ ﴿سَمِرًا﴾ .

﴿سَمِرًا﴾ مشتقٌّ من السَّمر ، وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع^(٣) بالليل في المسجد ، فيتحدَّثون ، وكان أكثر حديثهم سبَّ النبي ﷺ ، و﴿سَمِرًا﴾ مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب على الحال ، فمن جعل الضمير في ﴿بِهِ﴾ للنبي ﷺ ، فالمعنى : أنهم سامرون بذكره وسبّه .
﴿تُهَجِّرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه : تقولون الهُجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام .

(١) في ج ، د : «وأن» .

(٢) في د : «وتكبراً» .

(٣) في ب : «يجتمعون» .

ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم: فهو من الهَجْر - بفتح الهاء -؛ أي: تهجرون الإسلام، والنبِّي ﷺ، والمؤمنين.

أو من قولك: هَجَرَ المريض: إذا هَذَى؛ أي: تقولون اللغو من القول.

﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن، وهذا توبيخ لهم.

﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ معناه: أن النبوة ليست بيدع فينكرونها بل قد جاءت آباءهم الأولين، فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ المعنى: ألم يعرفوا محمداً ﷺ، ويعلموا أنه أشرفهم حسبا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأرجحهم عقلا؛ فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون أو غير ذلك من النقائص؟، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم أنه عين الصواب.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الاتباع هنا: استعارة، والحق هنا يراد به: الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهوائهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقيل: إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حمّله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكورة في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿بَلْ أَنشَنُهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ :

بِتذكيرهم ووعظهم .

أو بفخرهم وشرفهم ، وهذا أظهر .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا﴾ الْخَرْجُ : هُوَ الْأَجْرَةُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : خَرَجَ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدًا ، وَقَدْ قُرِئَ ^(١) بِالْوَجْهَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور : ٤٠ ، الفلم : ٤٦] ؛ أَي : لَسْتَ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَيُثْقَلُ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُكَ .

﴿فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أَي : رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ؛ فَهُوَ يَرْزُقُكَ وَيَغْنِيكَ عَنْهُمْ .

﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُنَكِّتَنَّ﴾ أَي : عَادِلُونَ وَمَعْرُضُونَ ^(٢) عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَذْكُورِ .

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ﴾ الْآيَةُ ؛ قَالَ الْأَكْثَرُونَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَرِيشٍ بِالْقَحْطِ فَنَالَهُمُ الْجُوعُ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَغَيْرَهَا ، فَالْمَعْنَى : لَوْ رَحَّمْنَاهُمْ بِالْخُصْبِ ، وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضَرِّ الْقَحْطِ وَالْجُوعِ ؛ لَتَمَادَوْا عَلَى طَغْيَانِهِمْ .

وَفِي هَذَا عِنْدِي نَظَرٌ ؛ فَإِنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ ، وَإِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَرِيشٍ بَعْدَ الْهَجْرَةِ حَسْبَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ .

وَقِيلَ : الْمَعْنَى : لَوْ رَحَّمْنَاهُمْ بِالرَّدِّ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ مَوْتِهِمْ لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ .

(١) فِي أ ، ب : «وَقَدْ رَوَى» .

(٢) فِي أ ، ب ، هـ : «وَيَعْرُضُونَ» .

وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خارج عن معنى الآية .
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل : إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط ، وإن
الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا : يوم بدر .
وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر .
وقيل : إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو
القحط .

وقيل : الباب ذو العذاب الشديد : عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك
وصفه بالشدة ؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا ، وقال : إنهم فيه ملبسون ؛ أي
يائسون^(١) من الخير ، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة ، كقوله : ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ
السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم : ١٢] .
﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ أي : ما تذللوا لله .

وقد تقدّم الكلام على هذه الكلمة في «آل عمران»^(٢) .
﴿وَمَا يَنْضَرَعُونَ﴾ إن قيل : هلاً قال : «فما استكانوا وما تضرعوا» ، أو «فما
يستكينون وما يتضرعون» باتّفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال ؟
فالجواب : أن ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ عند العذاب الذي أصابهم ، و﴿وَمَا
يَنْضَرَعُونَ﴾ حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد ، فنفى الاستكانة فيما مضى ،
ونفى التضرّع في الحال والاستقبال^(٣) .

(١) في ب : «آيسون» .

(٢) انظر (١/٥٨٢) .

(٣) انظر : الكشف (١٠/٦١٥) .

[وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْبَعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا أُنَاسًا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾] .

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكراً قليلاً تشكرون.

وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهي القلوب - ؛ لعظيم^(١) المنافع التي فيها ؛ فيجب شكر خالقها، ومن شكره: توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة.

﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نشركم فيها.

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: هو فاعله ومختص به، فاللام للاختصاص.

(١) في ج: «العظم».

وقد ذكر في «البقرة» معنى اختلاف الليل والنهار^(١).

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) أي: قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم للبعث، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾.

وقد ذكر الاستفهامان في «الرعد»^(٢).

و﴿أَسْطَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ في «الأنعام»^(٣).

﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ هذه الآيات^(٤) توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلا الإقرار بها، وإذا أقرّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام بإجماع؛ جواباً لقوله: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ﴾، وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ في معنى: «لمن هي».

وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿مَلَكُوتَ﴾ مصدر في بنائه مبالغة.

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة: المنع من الإنسان^(٥)، يقال: أجزت

(١) انظر (١/٣٨٧).

(٢) انظر (٢/٦٦٩).

(٣) انظر (٢/٢٥٤).

(٤) في أ، ب، د: «الآية».

(٥) في أ، ب، هـ: «الإهان» كذا!، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز (٦/٣١٦).

فلاناً على فلان: إذا منعه من مضرته وإهانه، فالمعنى: أن الله تعالى يُغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحداً منه أحداً.

﴿فَأَنِّي تُسْحَرُوتُ﴾ أي: تُخدعون عن الحق، والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيهٌ بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل.

ورُتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرج، فقال أولاً: ﴿أَفَلَا نَذْكُرُ﴾ (١)، ثم قال ثانياً: ﴿أَفَلَا نُنْفِئُ﴾، وذلك أبلغ؛ لأن فيه زيادةً تخويف، ثم قال ثالثاً: ﴿فَأَنِّي تُسْحَرُوتُ﴾، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني: فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك ردّ عليهم بنفي ذلك.

﴿إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوحدانية، وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إله آخر لا نفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدّ كل واحد منهما بملكه، وطلب غلبة الآخر والعلو عليه، كما ترى^(١) حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كُرَّةٌ واحدة: علمنا أن مالكة ومدبره واحد، لا إله غيره.

وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية^(٢) وغيره، بل هو دليل آخر.

(١) في ج، د: «نرى».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣١٧/٨).

فإن قيل : «إذا» لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدّم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟

فالجواب : أن الشرط محذوف تقديره : لو كان معه آلهة ، وإنما حُذِفَ للدلالة قوله : ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ، وهو جواب للكفار الذين وقع الردّ عليهم ^(١) .

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع : خبر ابتداء ، وبالحذف : صفة لله .



(١) انظر : الكشاف (١٠/٦٢٢) .

[قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٢﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيدَكَ مَا نُعِدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٤﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيَّةُ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٠﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَانِي نُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٤﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٥﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٧﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١١﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَشَالِ الْعَادِينَ ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٤﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٥﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٧﴾].

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآية؛ معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قُضي أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار.

و«إن» شرطية، و«ما» زائدة، وجواب الشرط: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾، وكرر قوله: ﴿رَبِّ﴾ مبالغة في الدعاء والتضرع.

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك.

والأظهر أنه أمرٌ بالصَّفح والاحتمال وحسن الخلق، فهو مُحَكَّمٌ غير منسوخ، وإنما نُسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني: نَزَغَاتِهِ وَوَسْوَاسِهِ^(١).

وقيل: يعني الجنون.

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿أَنْ يَحْضُرُوا﴾ معناه: أن يكونوا معه.

وقيل: يعني: حضورهم^(٢) عند الموت.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا حرف ابتداء^(٣)؛ أي ليست غاية لما قبلها.

وقال الزمخشري: ﴿حَتَّىٰ﴾ تتعلّق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت^(٤).

(١) في ب، ج: «ووساوسه».

(٢) في أ، ب: «بحضورهم».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/٣٢٠).

(٤) انظر: الكشاف (١٠/٦٢٥).

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ يعني: الرجوع إلى الدنيا، وخاطب ربه مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري^(١) وغيره، ومثله قول الشاعر:

ألا فارحموني يا إله محمد^(٢)

وقيل: إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال.

وقيل: فيما تركت من الإيمان؛ فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليؤمن ويعمل صالحاً في الإيمان الذي تركه أول مرة.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عما طلب.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْقَاتٌ﴾ يعني: قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ فسمي هذا الكلام كلمة، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالة؛ لإفراط ندمه وحسرتة، فهو إخبار بقوله.

والثاني: أن المعنى: أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئاً.

والثالث: أن يكون المعنى: أنه يقولها كاذباً فيها، ولورجع إلى الدنيا لم يعمل صالحاً.

(١) انظر: الكشف (١٠/٦٢٦).

(٢) هذا صدر بيت وتماه: «فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل»، أورده الزمخشري في الكشف (١٠/٦٢٦)، ولم أقف على قائله.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان .

والضمير للجماعة المذكورين في قوله : ﴿جَاءَ أَحَدَهُمْ﴾ .

﴿بَرْزُخٌ﴾ يعني : المدة التي بين ^(١) الموت والقيامة ، وهي تحُول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا .

وأصل البرزخ : الحاجز بين شيئين .

﴿فَلَا أُنْسَابَ يَنْتَهُرُ﴾ المعنى : أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه ، كقوله : ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ ۖ﴾ [عبس : ٣٤ - ٣٥] ، فتكون الأنساب كأنها معدومة .

﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي : لا يسأل بعضهم بعضاً ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه .

فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[الصفات : ٢٧ ، الطور : ٢٥] ؟

فالجواب : أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ، ثم يتساءلون بعد ذلك ؛ فإن يوم القيامة يومٌ طويل فيه مواقف مختلفة ^(٢) .

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي : تصيبهم بالإحراق .

﴿كُلِّحُوتٌ﴾ الكلوح : انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيراً ما يجري ذلك للكلاب ، وقد يجري ^(٣) للكباش إذا شويت رؤوسها ، وفي الحديث :

(١) في أ ، ب ، هـ : «بعد» .

(٢) انظر : الكشاف (١٠/٦٢٩) .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «تجري» .

«إِنَّ شَفَةَ الْكَافِرِ تَرْتَفِعُ فِي النَّارِ»^(١) حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ رَأْسِهِ»^(٢)، وَفِي ذَلِكَ عَذَابٌ وَتَشْوِيهِ.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أَي: مَا قُدِّرَ عَلَيْنَا^(٣) مِنَ الشَّقَاءِ.

وَقَرِئَ: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

﴿قَالَ أَخَشِرُوا فِيهَا﴾ كَلِمَةٌ تَسْتَعْمَلُ فِي زَجْرِ الْكَلَابِ، فَفِيهَا إِهَانَةٌ وَإِعَادٌ.

﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ أَي: لَا تَكَلِّمُونِ فِي رَفْعِ الْعَذَابِ، فَحِينَئِذٍ يَبْأَسُونَ مِنْ ذَلِكَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ.

﴿سُخِّرِيَا﴾ بَضْمُ السِّينِ مِنَ السُّخْرَةِ بِمَعْنَى التَّخْدِيمِ.

وَبِالْكَسْرِ: مِنَ السَّخْرِ بِمَعْنَى الْاسْتِهْزَاءِ، وَقَدْ يُقَالُ هَذَا بِالضَّمِّ.

وَقَرِئَ هُنَا بِالْوَجْهِينِ؛ لِاحْتِمَالِ الْمَعْنِيَيْنِ، عَلَى أَنْ مَعْنَى الْاسْتِهْزَاءِ هُنَا أَلِيقُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يَعْنِي: فِي جُوفِ الْأَرْضِ أَمْوَاتًا.

وَقِيلَ: أَحْيَاءٌ فِي الدُّنْيَا.

فَأَجَابُوا بِأَنَّهُمْ لَبَّيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ؛ لِاسْتِقْصَارِ^(٤) الْمُدَّةِ، وَلَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ بِحَيْثُ لَا يَعْدُونَ شَيْئًا.

(١) فِي أ، ب، هـ: «بِالنَّارِ».

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١٨٣٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٨٧).

(٣) فِي أ: «مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِمْ».

(٤) فِي ج، د: «لِاسْتِقْصَارِهِمْ».

﴿فَسْئَلِ الْعَاذِينَ﴾ أي: اسأل من يقدر على أن يعُدَّ، وهو:

مَنْ عُوْفِي مِمَّا ابْتَلَوْا بِهِ .

أو يعنون الملائكة .

﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: أنه قليلٌ بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين^(١) أبدًا .

﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلاً، والمعنى: إقامة حجة على الحشر للشواب والعقاب .

﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله: ﴿إِنَّهَا آخِرٌ﴾، وجواب الشرط: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ .

﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن .

وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛ ليبين البون^(٢) بين الفريقين، والله أعلم .



(١) في ج، د زيادة: «فيها» .

(٢) في د، هـ: «الفرق» .

﴿سورة النور﴾

[﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَبِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ١] الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢] الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣] وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِإِثْمَةٍ شُهِدْنَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥] وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦] وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧] وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨] وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩] وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠].

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ السورة:

خبر ابتداء مضمرة.

أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أنزل عليكم سورة.

و﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة للسورة.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها.

وقرئ بالتشديد للمبالغة .

﴿ءَايَتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني : ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال .

وقيل : معنى ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ هنا : ليس فيها مُشْكَل .

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ : يراد بهما الجنس ، وقَدَّم الزانية ؛ لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر ؛ فإنه كان منهنَّ إماء وبغايا يجاهرن^(١) بذلك .

وإعراب ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ كإعراب : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة : ٣٨] ، وقد ذكر في «المائدة»^(٢) .

وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة «النساء» من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ، ومن الأذى في الأخرى^(٣) .

ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه ؛ فإنَّ جلد المئة إنما هو حدُّ الزانية والزاني إذا كانا مسلمين حُرَّين^(٤) غير محصنين .

فيخرج منها الكفار ؛ فيُرَدُّون إلى أهل دينهم .

ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة .

فأما العبد والأمة : فحدُّهما خمسون جلدة ، سواء كان محصنين أو غير محصنين .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «يجاهرون» .

(٢) انظر (١٧٦/٢) .

(٣) انظر (٢٦/٢) .

(٤) في ب زيادة : «بالغين» .

وأما المحصنان الحرَّان فحدَّهما الرجم .

هذا على مذهب مالك .

وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب :

فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين ، وفي الأحرار والعبيد والإماء ، وفي المحصن وغير المحصن ، ثم إن العلماء خصَّصوا من هذا العموم أشياء ؛ منها باتفاق ، ومنها باختلاف .

فأما الكفار :

فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدَّهم جلدُ مئة ؛ أحصنوا أو لم يُحصنوا ؛ أخذًا بعموم الآية .

ورأى الشافعي أن حدَّهم كحدِّ المسلمين ؛ الجلدُ إن لم يُحصنوا ، والرجم إن أحصنوا ؛ أخذًا بالآية ، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذا زنيا .

ورأى مالك أن يُردُّوا إلى أهل دينهم ؛ لقوله في سورة «النساء» : ﴿وَأَلْبَسُوا لَهُمِ الْبَسْمَلَةَ﴾ [النساء: ١٥] ، فخصَّ نساء المسلمين ؛ على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت في محلها .

وأما العبد والأمة :

فرأى أهل الظاهر أن حدَّ الأمة خمسون جلدة ؛ لقوله تعالى : ﴿فَعَلَّيْنِ﴾ [النساء: ٢٥] ، وأن حدَّ العبد الجلدُ مئة ؛ لعموم الآية .

وقال غيرهم: يُجلّد العبد خمسين؛ بالقياس على الأمة؛ إذا لا فرق بينهما.

وأما المحصن:

فقال الجمهور: حكمه الرجم، فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخاً، ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ:

فقبل: الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فاراجموهما ألّبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»^(١).

وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم.

وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب: يُجلّد المحصن بالآية، ثم يُرجم بالسنة، فجمعوا عليه الحدّين، ولم يجعلوا الآية منسوخةً بالرجم^(٢)، ولا مخصّصةً.

وقال الخوارج: لا رجم أصلاً؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله.

ولا يُعتدّ بقولهم.

وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقال مالك بالجلد والتغريب سنة؛ للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام»^(٣).

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠).

ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك .

وصفة الجلد :

عند مالك : في الظهر ، والمجلود جالس .

وقال الشافعي : يفرّق على جميع الأعضاء ، والمجلود قائم .

وتُسْتَر المرأة بثوب لا يقيها الضرب .

ويجرّد الرجل عند مالك .

وقال قوم : يجلد على قميص .

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل : يعني : في إسقاط الحدّ ؛ أي : أقيموه ولا بدّ .

وقيل : في تخفيف الضرب .

وقيل : في الوجهين .

فعلى القول الأول : يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير

مبرّح ، وهو مذهب مالك والشافعي .

وعلى القول الثاني والثالث : يكون الضرب في الزنا أشدّ .

واختلف : هل يجوز أن تُجمَعَ مئة سوط ويضرب بها مرة واحدة ؟

فمنعه مالك .

وأجازه أبو حنيفة ؛ لما ورد في قصة أيوب عليه السلام .

وأجازه الشافعي للمريض ؛ لورود ذلك في الحديث .

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك: توبيخ الزناة، والغلظة عليهم.

واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة؟

ف قيل: أربعة؛ اعتباراً بشهادة الزنا^(١)، وهو قول ابن أبي زيد.

وقيل: عشرة.

وقيل: اثنان^(٢)، وهو مشهور مذهب مالك.

وقيل: واحد.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية؛ معناها: ذم الزناة، وتشنيع الزنا، وأنه لا يقع فيه إلا زانٍ أو مشرك، ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، و﴿يَنْكِحُ﴾ على هذا بمعنى: يجامع.

وقيل: معناها: لا يحل لزاني أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً، ثم نُسِخ هذا الحكم، وأُبيح لهما التزويج ممن شاءا^(٣).

والأول هو الصحيح.

﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾:

إلى الزنا؛ أي: حُرِّمَ الزنا على المؤمنين.

(١) في أ، ب: «الزناة».

(٢) في أ، ب، ج: «اثنين».

(٣) في د: «شاؤوا».

وقيل: الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني لزانية؛ فإن قوماً منعوا أن يتزوجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها، وهو بعيد.

وأجاز تزوجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي جُلْدَةٍ﴾ هذا حدُّ القذف، وهو الفِرْيَةُ التي عبَّر الله عنها هنا بالرمي.

و﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا يراد به: العفاف من النساء، وخصَّهن بالذكر؛ لأن قذفهنَّ أكثرُ وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى؛ إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد.

وقيل: إن المعنى: يرمون الأنفس المحصنات؛ فيعمُّ اللفظ - على هذا - النساء والرجال.

ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك:

فأما القذف: فهو الرمي بالزنا؛ اتفاقاً.

أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي؛ لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافاً لأبي حنيفة.

أو النفي من النسب.

ومذهب مالك أن التعريض بذلك كَلَّه كالتصريح، خلافاً للشافعي وأبي حنيفة.

وأما القاذف :

فُيَحْدُ؛ سواءً كان مسلماً أو كافراً؛ لعموم الآية، وسواءً كان حراً أو عبداً .
إلا أن العبد والأمة إنما يحدَّان^(١) أربعين عند الجمهور، فنصَّفوا حدَّهما
قياساً على تنصيفه في الزنا، خلافاً للظاهرية .
ولا يحدُّ الصبي ولا المجنون؛ لكونهما غيرَ مكلفين .

وأما المقدوف :

فمذهب مالك : أنه يشترط فيه : الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة
عما رُمي به ، والتمكُّن من الوطء؛ تحرُّراً من المَجْبُوب وشبهه ، فلا يحدُّ
عنده مَنْ قَذَفَ صبيّاً أو كافراً أو مجنوناً أو عبداً أو مَنْ لا يمكنه الوطء .

وقد قيل : يحدُّ مَنْ قَذَفَ واحداً منهم ؛ لعموم الآية .

واتَّفَقَ على اشتراط البراءة مما رُمي به .

وأما الشهادة التي تُسْقِطُ حدَّ القذف :

فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقدوف عبدٌ أو كافراً^(٢) ، أو يشهد
أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قُذِفَ به كالمِرْوَدِ في المُكْحَلَةِ ،
ويؤدُّون الشهادة مجتمعين .

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تَقَدَّمَ قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ؛ وهي الحدُّ ، وردُّ
شهادة القاذف ، وتفسيرُهُ .

(١) في ب : «يجلد» .

(٢) في ب ، ج ، د : «عبداً أو كافراً» .

فَاتَّفَقَ عَلَى أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ رَاجِعٌ إِلَى التَّفْسِيقِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَزُولُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ.

وَاتَّفَقَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَدِّ، وَأَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ.

وَاخْتَلَفَ هَلْ يَرْجِعُ إِلَى رَدِّ الشَّهَادَةِ أَمْ لَا؟

فَقَالَ مَالِكٌ: إِذَا تَابَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ.

خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ.

وَتَوْبَتُهُ: هُوَ صَلَاحُ حَالِهِ فِي دِينِهِ.

وَقِيلَ: إِكْذَابُ نَفْسِهِ.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَذْفِ الرَّجُلِ

لَا مَرَأَتَهُ؛ فَيَجِبُ اللَّعَانُ بِذَلِكَ.

وَسَبِّهَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يَجِدُ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا؛ أَيْقَتْلُهُ

فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟، فَسَكَتَ عَنْهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أُنْزِلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَاتْنِي^(١) بِهَا» فَتَلَاعَنَّا،

وَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا^(٢).

وَمُوجِبُ اللَّعَانِ عِنْدَ مَالِكٍ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ يَدَّعِيَ الزَّوْجِ أَنَّهُ رَأَى امْرَأَتَهُ تَزْنِي.

وَالْآخَرُ: أَنَّ يَنْفِي حَمْلَهَا وَيَدَّعِي الِاسْتِبْرَاءَ قَبْلَهُ.

(١) فِي أ، ب، هـ: «فَاتْنِي».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٣٠٨)، مُسْلِمٌ (١٤٩٢).

فإذا تلاعن الزوج تعلّقت به ثلاثة أحكام:

[١-] نفى حدّ القذف عنه .

[٢-] وانتفاء سبب الولد منه .

[٣-] ووجوب حدّ الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعن سقط الحدّ عنها .

ولفظ الآية عامّ في الزوجات ؛ الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات ، والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك .

واشترط مالك في الزوج : الإسلام .

واشترط أبو حنيفة : أن يكونا مسلمين حرّين عدلين .

﴿ فَشَهِدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أي : يقول الزوج أربع مرّات : «أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني» ، أو «أشهد بالله ما هذا الحمل مني ، ولقد زنت ، وإني في ذلك لمن الصادقين» ، ثم يقول في الخامسة : «لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين» .

وزاد أشهب : أن يقول : «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو» .

وانتصب : ﴿ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ على المصدرية ، والعامل فيه : ﴿ فَشَهِدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ .

وقرئ بالرفع ، وهو خبر ﴿ فَشَهِدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ بِاللَّهِ ﴾ و﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ من صلة ﴿ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ ﴾ ،

أو من صلة^(١) ﴿فَشَهِدْهُ أَحَدَهُمْ﴾ .

﴿وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ قرئ بنصب ﴿وَالْخَمِيسَةُ﴾ هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب :

بفعل مضمّر تقديره : ويشهد الشهادة^(٢) الخامسة .

أو بالعطف على ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ على قراءة النصب .
وقرئ بالرفع :

على الابتداء .

أو عطف على ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ بقراءة الرفع .
وقرئ ﴿أَنْ لَعَنْتُ﴾ ، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾ :
بتشديد ﴿أَنْ﴾ ، ونصب اسمها .

وتخفيفها ، ورفع اللعنة والغضب على الابتداء .

﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾ العذاب هنا : حدُّ الزنا ؛ أي : يدفعه التّبعان المرأة ، وهو^(٣) أن تقول أربع مرات : «أشهد بالله ما زنت ، وإنه في ذلك لمن الكاذبين» ، ثم تقول في الخامسة : «غضب الله عليها إن كان من الصادقين» .

(١) في ج : «لا من صلة» .

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ ، ب .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «وهي» .

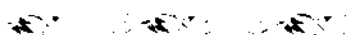
ويتعلق بالتبعانها ثلاثة أحكام:

[١-] دفع الحد عنها.

[٢-] والتفريق بينها وبين زوجها.

[٣-] وتأيد التحريم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف هنا وفي الموضع الآخر، تقديره: «لولا فضل الله عليكم لو أخذكم»^(١)، أو نحو هذا.



(١) كذا رُسمت في النسخ المخطوطة بالواو، قال في «المصباح المنير» في مادة (أ خ ذ): «أخذه بذنبه: عاقبه عليه، وأخذه بالمد مؤاخذه كذلك، والأمر منه أَخَذَ بمد الهمزة، وتبدل واوًا في لغة اليمن فيقال: وأخذه مؤاخذه، وقرأ بعض السبعة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالواو على هذه اللغة».

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبَرٌ لِّكُم لِكُلِّ أَمرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْ يَكُوفًا لِّكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِاللَّيْنَتِ كَرًّا وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِشُ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعْطُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الإفك: أشد الكذب.

ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشرة آية في شأن عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة:

- [١-] برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها.
- [٢-] وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه.
- [٣-] وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها.
- [٤-] وبرأ عائشة من الإفك بإنزال ^(١) القرآن في شأنها.

(١) في أ، ب: «فأنزل».

ولقد تَضَمَّنَتْ هذه الآيات الغايةَ العظمى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتَّشديد على من قذفها.

وقد خَرَّجَ حديثَ الإفك البخاري ومسلم وغيرهما^(١)، واختصاره: أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عِقْدٌ، فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما بال رجال رموا أهلي؟، والله ما علمت على أهلي إِلَّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إِلَّا خيراً»، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما أعلم عليها إِلَّا ما يعلمه الصَّائغ على تبر الذهب الأحمر».

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يُذكر في الحديث من أهل الإفك إِلَّا أربعة، وهم: عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، وحَمْنَةُ بنت جحش، ومِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت.

وقيل: إن حَسَّانَ لم يكن منهم.

وارتفاع ﴿عُصْبَةٌ﴾ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾.

واختار ابن عطية أن يكون ﴿عُصْبَةٌ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿جَاءُوا﴾، ويكون الخبر: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾؛ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/٣٥٣).

والأول أظهر .

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكَرَّمٍ﴾ خطاب للمسلمين ، والخير في ذلك من خمسة أوجه :

[١-] تبرئة أم المؤمنين .

[٢-] وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها .

[٣-] والأجر الجزيل لها في الفرية^(١) عليها .

[٤-] وموعظة المؤمنين .

[٥-] والانتقام من المفترين .

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق .

وقيل : الذي بدأ بهذه الفرية ، وهو غير معين .

والعذاب العظيم هنا : يحتمل أن يراد به :

الحد .

أو عذاب الآخرة .

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا : عرض ،

والمعنى : أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم ؛ فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد ؛ لفضلها .

وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري ، فقال لزوجه : أكنت

أنت تفعلين ذلك؟ ، قالت : لا والله ! ، قال : فعائشة أفضل منك ، قالت :

نعم .

(١) في ب : «بالفرية» .

فإن قيل : لم قال : ﴿ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله : ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، ولم يقل : « ظننتم » ؟

فالجواب : أن ذلك التفتُّ ، قُصِدَ به المبالغة ، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدِّق المؤمن على المؤمن شراً^(١) .

﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ ﴿ لَوْلَا ﴾ هنا عَرَضٌ ، والضمير في ﴿ جَاءُوا ﴾ لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء .

﴿ أَفْضَتُمْ فِيهِ ﴾ يقال : أفاض في الحديث وخاض فيه : إذا أكثر الكلام فيه .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ العامل في ﴿ إِذْ ﴾ : ﴿ لَسَّكُمْ ﴾ أو ﴿ أَفَضْتُمْ ﴾ .

ومعنى ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ : يأخذه بعضكم من بعض .

وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتابٌ لهم على خوضهم في حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ؛ فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والتركُّ له بالكلية ، فعاتبهم على ثلاثة أشياء ، وهي :

تلقَّيه بالألسنة ؛ أي : السؤال عنه وأخذه من المسؤول .

والثاني : قولهم ذلك .

والثالث : أنهم حسبوه هيئاً وهو عند الله عظيم .

وفائدة قوله : ﴿ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ و ﴿ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ : الإشارة إلى أن ذلك الحديث

كان باللسان دون القلب ؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم .

(١) انظر : الكشاف (١١ / ٣٤) .

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم^(١) له.

و﴿لَوْلَا﴾ أيضاً في هذه الآية عَرْضٌ، وكان حَقُّها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف: الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقت سماعه^(٢).

ومعنى ﴿مَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي لنا ولا يحلُّ لنا أن نتكلم بهذا.
﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهٌ لله عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإلفك.

وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عَظَم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يَسْبَحَ الله عند رؤية العجائب^(٣).

﴿بِهَتَّنَ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة: أن يقال ما فيه.

﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره: يعظكم كراهة أن تعودوا، ثم عَظَم الأمر وأكَّده بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين

(١) في أ، ب: «أن يبادروا.. سماعهم».

(٢) في ج: «سمعتوه».

(٣) انظر: الكشاف (٤١/١١).

أحبُّوا أن يَشيعَ حديث الإفك، ثم هو عامٌّ في غيرهم ممن اتصف بصفاتهم.
والعذاب في الدنيا الحدُّ.

وأما عذاب الآخرة؛ فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على
ذنْب لم يعذَّب^(١) عليه في الآخرة^(٢)، فأشكَل اجتماع الحدِّ مع عذاب
الآخرة في هذا الموضع، فيَحتمَل:

أن يكون القاذف يعذَّب في الآخرة، ولا يُسَقَط الحدُّ عنه عذاب الآخرة،
بخلاف سائر الحدود.

أو يكون هذا مختصًّا بمن قذف عائشة؛ فإنه روي عن ابن عباس أنه قال:
من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قُبِلَت توبته إلا من خاض في أمر عائشة^(٣).

أو يكون^(٤) لمن مات مصرًّا غير تائب.

أو يكون للمنافقين.



(١) في د: «يعاقب».

(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٨/١٥).

(٤) في أ، ب: «تكون».

[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَقِيقَةُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثِينَ وَالطَّيِّبَةُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَةِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾] .

﴿خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ ذكر في «البقرة»^(١) .

﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ذكر في «النحل»^(٢) .

﴿زَكَا﴾ أي : تطهر من الذنوب ، وصلاح دينه^(٣) .

﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ معنى ﴿يَأْتِلِ﴾ : يحلف ؛ فهو من قولك : آليتُ : إذا حلفت .

وقيل : معناه : يُقْصَر ؛ فهو من قولك : أَلَوْتُ أي : قَصَرْتُ ؛ ومنه : ﴿لَا يَأْلُوَكُمْ خِبَالًا﴾ [آل عمران : ١١٨] .

(١) انظر (١/٣٩٢) .

(٢) انظر (٢/٧٧٣) .

(٣) في د : «حاله» .

﴿الْفَضْلُ﴾ هنا : يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ :

الفضلَ في الدين .

أو الفضل في المال ؛ وهو أَنْ يَفْضَلَ لَهُ عَنْ مَقْدَارِ مَا يَكْفِيهِ .

﴿وَالسَّعَةِ﴾ : هي اتساع المال .

ونزلت الآية بسبب أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه حَلَفَ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحَ ، لَمَّا تَكَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ ، وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ لِمَسْكَنَتِهِ ، وَلِأَنَّهُ قَرِيبُهُ ، وَكَانَ ابْنُ بَنَتِ خَالَتِهِ ^(١) ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ رَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النِّفْقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ .

قال بعضهم : هذه أرجى آية في القرآن ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَوْصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْقَاذِفِ .

ثم إن لفظ الآية على عمومها في أَنْ لَا يَحْلِفَ أَحَدٌ عَلَى تَرْكِ عَمَلٍ صَالِحٍ .
﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أَي : كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ؛ كَذَلِكَ اغْفِرُوا أَنْتُمْ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ .

ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه : «إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي» ، ثُمَّ رَدَّ النِّفْقَةَ إِلَى مِسْطَحَ .

﴿الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ﴾ معنَى ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا : الْعِفَائِفُ ذَوَاتُ الصَّوْنِ .
ومعنَى ﴿الْفَافِلَاتِ﴾ : السَّلِيمَاتُ الصُّدُورُ ؛ فَهُوَ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ الشَّرِّ .

(١) فِي أ ، ب ، ج : «ابن خالته» ، وَالْمَثْبُتُ هُوَ الصَّوَابُ كَمَا فِي الْإِصَابَةِ لِابْنِ حَجَرٍ (١٣٩/١٠) .

﴿لِمَنُؤَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة، ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ^(١) ابن عباس: كلُّ مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة.

وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يراد به: الحدُّ أو عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه: ﴿يَوْمِيهِمْ﴾، وكرّر ﴿يَوْمِيذٍ﴾ تأكيداً.

وقيل: العامل فيه ﴿عَذَابٌ﴾، أو فعل مضمر.

﴿دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: جزاءهم الواجب لهم.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدلُّ على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين. ومعنى ﴿الْمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا شك فيه.

﴿الْمُحْسِنَاتُ لِلْخَيْثِثِينَ﴾ الآية؛ معناها: أن الخيثات من النساء للخيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال؛ ففي ذلك ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو أطيب الطيبين؛ فزوجته ^(٢) أطيب الطيبات.

وقيل: ^(٣) المعنى: أن الخيثات ^(٤) من الأعمال للخيثين من الناس،

(١) في ب، ج، د، هـ: «فقال».

(٢) في أ، ب، هـ: «وزوجته».

(٣) في أ، ب، هـ زيادة: «إن».

(٤) في ب: «الخبائث».

والطَّيِّبَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ؛ ففيه أيضًا ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن عائشة لا يليق بها إلا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك.

وقيل: المعنى: أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك؛ أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم.

﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشارة بـ ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى الطيبين والطيبات والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للخبيثات والخبيثين، والمراد: تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به.



[يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْزِعُوا فَأَنْزِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٧٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْصَرِهِمْ وَبِحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَنْصَرِهِنَّ وَبِحَفَظَنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ مَبَاءٍ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوْ الشَّعْبَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨١﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبِنُكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِنَبَاتِكُمْ أَعِزَّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾]

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمرٌ بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمُّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأُمَّ؛ خيفة أن يراها غريانة.

ومعنى ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾: تستأذنون، وهو مأخوذ من قولك: آنست الشيء: إذا علمته؛ فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟. وقيل: هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة.

وقرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا».

والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب.

واختلف أيهما يقدم؟

فقيل: يقدم السلام، ثم يستأذن؛ فيقول: «السلام عليكم»، ثم يقول: «أدخل؟».

وقيل: يقدم الاستئذان؛ لتقديمه في الآية.

وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات^(١)، وهو تفسير للآية.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم؛ فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباح هذه الآية دخولها بغير استئذان.

واختلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية؟

فقيل: هي الفنادق التي في الطرق، ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

والمتاع على هذا : التمتع بالتزول فيها والمبيت وغير ذلك .

وقيل : هي الخرب التي تُدخَل للبول والغائط .

والمتاع على هذا : حاجة الإنسان .

وقيل : هي حوانيت القيسارية^(١) .

والمتاع على هذا : الثياب والبُسط وشبهها .

وهذا القول خطأ ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع .

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] في «إبراهيم» ، وقد ذُكر^(٢) .

و﴿مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ للتبعيض .

والمراد : غُضُّ البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل .

وقيل : معنى التبعيض فيه : أن النظرة الأولى لا حرج فيها ، ويُمنع ما بعدها .

وأجاز الأخفش أن تكون ﴿مِنْ﴾ زائدة .

وقيل : هي لا ابتداء الغاية ؛ لأن البصر مفتاح القلب .

والغُضُّ المأمور به : هو عن النظر إلى العورات ، أو إلى ما لا يحلُّ من

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٨/ ٤٣٥) : «قيسارية : . . ميدان عام يقام فيه سوق ، أو هي بالأحرى : بناية مربعة في شكل رواق الدبر ، فيها حجرات ومخازن وحوانيت للتجارة» .

(٢) انظر (٢/ ٧٠٤) .

النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يُستَر.

وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا.

وقيل : أراد ستر العورة.

والأظهر أن الجميع مراد.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغضِّ بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعاً.

واختلف هل يجب عليها غَضُّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا؟

فعلى القول بذلك : تشتمل الآية عليه.

والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال.

﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهى عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بدَّ من النظر إليه عند حركتها، أو إصلاح شأنها، وشبه ذلك.

ف قيل : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني : الثياب ؛ فعلى هذا : يجب سترُ جميع جسدِها.

(وقيل : الثياب والوجه)^(١).

(١) سقط من أ، ج، د. ومثبت في ب، هـ، وهو قول في تفسير الآية كما في المحرر الوجيز (٦/٣٧٤).

وقيل: الثياب والوجه والكفان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة.

وزاد أبو حنيفة: القدمين.

﴿وَلْيَصْرِيحًا بِمُحْرَمَاتٍ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب: هي التي يقول لها العامة: أطواق.

وسببها: أن النساء كنَّ في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعة^(١) الجيوب يظهر منها صدورهنَّ، وكنَّ إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلتها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهنَّ الله بلبس الأخمرة على الجيوب؛ ليستر جميع ذلك.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ الآية؛ المراد بالزينة هنا: الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة؛ ذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذو المحارم^(٢) من الزينة الباطنة. وبدأ بالبُعولة - وهم الأزواج -؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنى بذوي المحارم، وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب.

والمراد بالآباء: كل من له ولادة من والدٍ وجَدٍّ، وبالأبناء: كل من عليه ولادة من ولدٍ وولد ولد.

(١) في ج: «واسعات».

(٢) في هـ: «المحرم».

ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمّ والخال:
ومذهب جمهور العلماء: جواز رؤيتهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي
المحارم.

وكره ذلك قوم.

وقال الشعبي^(١): إنما لم يذكر العمّ والخال؛ لثلا يصفًا زينة المرأة
لأولادهما.

﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعني^(٢): جميع المؤمنات؛ فكأنه قال: أو صنفهن،
ويخرج عن ذلك: نساء الكفار.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك: الإماء المسلمات والكتايبات.
وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال:

منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي.

والجواز، وهو قول ابن عباس وعائشة.

والجواز بشرط أن يكون العبد وغداً^(٣)، وهو مذهب مالك، وإنما أخذ
جوازه من قوله: ﴿أَوْ التَّيْبِعَاتِ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ﴾.

(١) في أ، ج: «الشافعي» وهو خطأ، الصواب أنه الشعبي، كما في تفسير الطبري
(١٧٣/١٩).

(٢) في ب: «يدخل».

(٣) المراد بالوغد: القبيح المنظر (شرح مختصر خليل للخرشي (٣/٢٢١)، وفي المدونة
(٥٢/٤) سأل ابن القاسم الإمام مالكا عن الوغد فقال: «الذي لا منظر له ولا خطب
فذلك الوغد».

واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا؟ على قولين .
﴿أَوِ التَّائِبِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم
شرطين :

أحدهما : أن يكونوا^(١) تابعين ، ومعناه : أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل
والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم : هو الذي يتبعك وهمته بطنه .
والآخر : أن لا يكون لهم إربة في النساء ، كالخصي والمخنث والشيخ
الهرم والأحمق .

فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين .

وقيل : بأحدهما .

ومعنى ﴿الْأَرْبَةِ﴾ : الحاجة إلى الوطء .

﴿أَوِ الطِّفْلِ الذَّيْبِ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ أراد به ﴿الطِّفْلِ﴾ :
الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال : طفل : ما لم يراهق الحلم .

و﴿يَطْهَرُوا﴾ معناه : يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه : الذين
لم يطؤوا النساء .

وقيل : الذي لا يدرون ما عورات النساء . وهذا أحسن .

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأة كان لها
خلخالان ، فكانت تضرب بهما ؛ فيسمعهما الرجال ، فنهاه الله ﷻ عن ذلك .

(١) في أ : «يكونا» !.

قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشدَّ تحريكًا للشهوة من إبدائها^(١).
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف؛
بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وفرائضها ثلاثة :

[١-] الندم على الذنب؛ من حيث عُصِي به ذو الجلال^(٢)، لا من حيث
أضرَّ بيدن أو مال.

[٢-] والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير تأخير
ولا توانٍ.

[٣-] والعزم أن لا يعود إليها أبدًا، ومهما قُضي عليه بالعود أحدث عزمًا
مجددًا.

وآدابها ثلاثة :

[١-] الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.

[٢-] والإكثار من التضرع والاستغفار.

[٣-] والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدّم من السيئات.

ومراتبها سبع :

[١-] فتوبة الكفار: من الكفر.

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٠).

(٢) في ب، د: «عصى به ذا الجلال».

[٢-] وتوبة المخلّطين^(١): من الذنوب الكبائر^(٢).

[٣-] وتوبة العدول: من الصغائر.

[٤-] وتوبة العابدين: من الفترات.

[٥-] وتوبة السالكين: من عِلل القلوب والآفات.

[٦-] وتوبة أهل الورع: من الشبهات.

[٧-] وتوبة أهل المشاهدة: من العَفَلات.

والبواعث على التوبة سبعة:

[١-] خوف العقاب.

[٢-] ورجاء الثواب.

[٣-] والخجل من الحساب.

[٤-] ومحبة الحبيب.

[٥-] ومراقبة الرقيب القريب.

[٦-] وتعظيم المقام.

[٧-] وشكر الإنعام.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ الأيامي: جمع أَيْمٍ، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالاً كانوا أو نساء، أبكاراً أو ثيبات.

(١) في ج، د: «المخلصين».

(٢) في أ، ب: «الكبار».

والخطاب هنا : للأولياء والحكام؛ أمرهم الله بتزويج الأيامي، فاقضى ذلك النهي عن عضلهنَّ من التزويج .

وفي الآية دليلٌ على عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي، خلافاً لأبي حنيفة .

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني : الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم .

وقال الزمخشري : ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ بمعنى : الصلاح في الدين، قال : وإنما خصهم الله بالذكر ؛ ليحفظ عليهم صلاحهم^(١) .

والمخاطبون هنا ساداتهم^(٢) .

ومذهب الشافعي : أن السيد يُجبر على تزويج عبيده ؛ لهذه الآية، خلافاً لمالك .

ومذهب مالك : أن السيد يُجبر عبده وأُمته على النكاح، خلافاً للشافعي .

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد الله بالغنَى للفقراء الذين يتزوّجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود : التمسوا الغنى في النكاح .

﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمرٌ بالاستغفار، وهو الاجتهاد في طلب العفّة من الحرام لمن لا يقدر على التزوّج .

(١) انظر : الكشف (١١/٧٣-٧٥) .

(٢) في ج، د، هـ : «سادتهم» .

فقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معناه:

لا يجدون استطاعة على التزوّج بأيّ وجهٍ تعذر التزوج.

وقيل: معناه: لا يجدون صداقاً للنكاح.

والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: مصدرٌ بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال مُنَجَّم، فإذا أذاه خرج حراً، وإن عجز بقي رقيقاً.

وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى، سأل^(١) مولاه أن يكاّته فأبى عليه.

وحكمها مع ذلك عامٌّ؛ فأمر الله سادات العبيد أن يكاّتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور.

وقال الظاهرية وغيرهم: هو على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة، فتلقأ أنس، فقال له عمر: لتكاّتبته أو لأوجعنك بالدرّة^(٢).

وإنما حمّله مالك على الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها.

(١) كذا وردت الكلمة في جميع النسخ الخطية!، والصواب: «سأله مولاه»، وحويطب من سادات قريش وليس من العبيد، ومولاه الذي سأل الكتابة اسمه صبيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/٦٥٦، ٥/٢١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٧٦).

واختلف هل يُجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب .

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا : القوة على أداء الكتابة بأيّ وجه كان .

وقيل : هو المال الذي يؤدّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس .

وقيل : هو الصلاح في الدين .

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ مِن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ هذا أمرٌ بإعانة المكاتب على كتابته ،

واختلف فيمن المخاطب بذلك؟

ف قيل : هو خطاب للناس أجمعين .

وقيل : للولاة .

والأمر على هذين القولين : للندب .

وقيل : هو خطاب لسادات المكاتبين ، وهو على هذا القول :

ندب عند مالك .

ووجوب عند الشافعي .

فإن كان الأمر للناس : فالمعنى : أن يعطوهم صدقات^(١) من أموالهم .

وإن كان للولاة : فيعطوهم من الزكوات^(٢) .

وإن كان للسادات^(٣) : فيحطّوا عنهم من كتابتهم .

(١) في د، هـ : «صدقة» .

(٢) في أ، د : «الزكاة» .

(٣) في أ، ب : «اللسادة» .

وقيل : يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة .

وعلى القول بالخط من الكتابة ؛ اختلف في مقدار ما يُحَطُّ ؟

فقيل : الربع ، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ .

وقيل : الثلث .

وقال مالك والشافعي : لا حد في ذلك ، بل أقل ما ينطلق عليه ^(١) شيء ،

إلا أن الشافعي يُجبره على ذلك ، ولا يُجبره مالك .

وزمان الخط عنه : في آخر الكتابة عند مالك .

وقيل : في أول نجم .

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ﴾ معنى ﴿الْإِغَاءِ﴾ : الزنا ، نهى الله المسلمين

أن يُجبروا مملوكاتهم على ذلك .

وسبب الآية : أن عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كان له جارتان ، فكان

يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا ذلك إلى

النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله .

﴿إِنْ أَرَدَنَ تَحْمُصًا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا ؛ إذ

لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن ، وهو التعفف .

وقيل : هو راجع إلى قوله : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ﴾ . وذلك بعيد .

﴿لَتَبْنَعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني : ما تكسبه الأمة بفرجها ، وما تلده من

الزنا .

(١) في زيادة : «اسم» .

وَيَتَعَلَّقُ ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ بقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾.

﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المعنى: غفورٌ لهم رحيمٌ بهم، لا يؤاخذهم بالزنا؛ لأنهم أُكْرِهوا عليه.

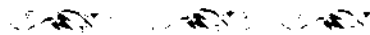
ويَحْتَمِلُ أن يكون المعنى: غفور رحيم للسيد الذي يُكْرِهْهُمْ إذا تاب من ذلك.

﴿ءَايَاتٍ مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء: أي يَبَيِّنُها الله.

وبالكسر: مَبَيَّنَاتٍ للأحكام والحلال والحرام.

﴿وَمَثَلًا﴾ يعني: ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حرامًا في كل ملة.

أو في براءة عائشة، كما برأ يوسف ومريم.



[﴿الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِثْلُ نُورِهِ، كَمِثْكَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿٢٥﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كُفْرًا يَفِيعُهُ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾ أَوْ كَظَلَمْتُمْ فِي بَحْرِ لَيْلِي بِغَشْنِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمْتُمْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٣٠﴾].

﴿الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقةً: على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازًا: على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء؛ فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض.

أو وصف نفسه بأنه نور، كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ: إذا أردت المبالغة في أنه كريم.

فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار: فمعنى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم.

أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به، كما تظهر الأشياء بالضوء.

ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»
بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو؛ أي: جعل فيهما النور.

وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب: فمعنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:
جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض، ولهذا قال ابن عباس:
معناه: هادي أهل السموات والأرض^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمته: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالابصار، ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب؛ إلخ، أقول: ما ذكره المصنف من أن النور نوعان حسي ومعنوي، هو صحيح ومعلوم، وهذا يقتضي أن معنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورهما بالنور الحسي، وهو ما خلقه فيهما من الأنوار، كالشمس والقمر، وبالنور المعنوي، وهو هداية الذي يجعله في قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته، وقد سَمَّى الله وحيه الذي بعث به رسله نورا وهدى، قال تعالى: ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾، وقال في الوحي: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، ونظائر هذا متعددة. وهذا معنى ما جاء عن ابن عباس، قال: «نور السموات والأرض، أي: هادي أهل السموات والأرض»، كما ذكره المصنف رحمته. وقد جاء في السنة نظير ما في آية النور، قال رحمته: «ولك الحمد أنت نور السموات والأرض»، وإذا كان الله منور السموات والأرض، والنور كمال فهو أحق أن يكون النور وصفه؛ إذ كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، ومعطي الكمال أحق به، ولم يثبت أن النور اسم من أسمائه تعالى؛ بل الاسم الذي نطق به الكتاب والسنة: نور السموات والأرض، فيُدعى بهذا الاسم كما دعا به الرسول صلوات الله عليه.
وأما قول المؤلف: «أو وصف نفسه بأنه نور»؛ فهذا لا يصح؛ لأن لفظ النور في الآية مقيد بالإضافة إلى السموات والأرض، فلم يقل تعالى: الله نور، بل قال: نور السموات والأرض، وتقدم معنى نور السموات والأرض، وهذا الاسم ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نظير: رب السموات والأرض، وقيوم السموات والأرض، لكن (قيوم) جاء في القرآن معرفا غير مضاف، وفي السنة جاء مضافا وغير مضاف. والله أعلم.

﴿مَثَلُ نُورٍ، كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة: هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة.

وقيل: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأسه.
والأول أصح وأشهر.

والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة.

وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه.

وقيل: الضمير في ﴿نُورٍ﴾ عائد على محمد ﷺ.

وقيل: على القرآن.

وقيل: على المؤمن.

وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورٍ﴾، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه؛ أي: الله ذو نور السموات والأرض.

أو كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ، ثم تقول: يَنْعَشُ النَّاسُ بِكَرَمِهِ^(١).

(١) أي: يرفعهم من الفقر إلى الغنى. انظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ٨٣).

﴿الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ المصباح: هو القليل بناره، والمعنى: أنه في قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاج في إنارتها بكوكب دري، وذلك يَحْتَمِلُ معنيين:

إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها.

وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء؛ لصفائها ورقة جواهرها، وهذا أبلغ؛ لاجتماع نورها مع نور المصباح.

والمراد بالكوكب الدرِّيُّ: أحد الدراري المضيئة؛ كالمشتري، والزُّهْرَةُ وسهيل، ونحوها.

وقيل: أراد الزهرة.

ولا دليل على هذا التخصيص.

وقرأ نافع ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وبشدة الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان:

إما أن ينسب الكوكب إلى الدرِّ لبياضه وصفائه.

أو يكون مسهلاً من الهمز.

وقرئ بالهمز وكسر الدال، وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرِّ بمعنى الدفع.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء، أو ﴿تَوْقَدُ﴾ بالفعل الماضي: فالفعل مسند إلى المصباح.

ومن قرأ ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجاة .

والمعنى : يوقد من زيت شجرة مباركة ، ووصفها بالبركة :

لكثرة منافعها .

أو لأنها تنبت في الأرض المباركة ، وهي الشام .

﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ قيل : يعني : أنها بالشام ، فليست من شرق الأرض

ولا من غربها ، وأجود الزيتون زيتون الشام .

وقيل : هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار ، فليست خالصة للشرق

فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمى غربية ، بل هي غربية شرقية ؛ لأن الشمس

تستدير عليها من الشرق والغرب .

وقيل : إنها في وسط دَوْحَةٍ ، فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في

جهة الغرب .

وقيل : إنها من شجر الجنة ، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقيةً أو غربية .

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحسنه .

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني : اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجاة وطيب

الزيت ، والمراد بذلك : كمال النور الممثل به .

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي : يوفق الله من يشاء لإصابة الحق .

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني : المساجد .

وقيل : بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن .

والأول أصح .

والجارُّ يتعلّق بما قبله ؛ أي : كمشكاة في بيوت ، أو تُوقَد في بيوت .

وقيل : بما بعده ، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾ ، وكرر الجارُّ بعد ذلك تأكيداً .

وقيل : بمحذوف ؛ أي : سَبَّحُوا في بيوت .

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ المراد بالإذن : الأمرُ .

ورفعها : بناؤها .

وقيل : تعظيمها .

﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ أي : غُدُوَّة وعَشِيَّة^(١) .

وقيل : أراد الصبح والعصر .

وقيل : صلاة الضحى والعصر .

﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ على القراءة بكسر الباء .

وأما على القراءة بالفتح : فهو مرفوع بفعل مضمر يدلُّ عليه الأول .

﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي : لا تشغلهم .

ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كلَّ

شغل وبادروا إليها .

والبيع من التجارة ، ولكنه خصّه بالذكر تجريداً ؛ كقوله : ﴿فَتَكْفُهُمْ وَتَحُلُّ

وَرِقَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

(١) في ج : «وعشيّة» .

أو أراد بالتجارة الشراء .

﴿لَنَقْلُبَ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي : تضطرب من شدة الهول والخوف .
وقيل : تَفْقَهُ القلوب وتُبْصِرُ الأبصار بعد العمى ؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ .

والأول أصح ؛ كقوله : ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾
[الأحزاب : ١٠] .

وفي قوله : ﴿لَنَقْلُبَ فِيهِ الْقُلُوبَ﴾ تجنيس .

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق : بما قبله ، أو بفعل من معنى ما قبله .

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ تقديره : جزاء أحسن ما عملوا .

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني : زيادةً على ثواب أعمالهم .

﴿يَغَيِّرُ حِسَابَ﴾ ذكر في «البقرة»^(١) .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمَّ لَهُمْ كِسَابٌ بِقِيَعَةٍ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين ؛ أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكفار :

الأول : يقتضي حال أعمالهم في الآخرة ، وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحلُّ ثوابها كما يضمحل السراب .

والثاني : يقتضي حال أعمالهم في الدنيا ، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض .

(١) انظر (١/ ٤٣٠) .

والسَّراب: هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهَجيرة حتى يظهر كأنه ماءٌ يجري على وجه الأرض.

والقَيْعة: جمع قاع، وهو المنبسط من الأرض.

وقيل: القِعة بمعنى القاع، وليس بجمع.

﴿يَحْسِبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً﴾ الظَّالِمَانُ: العطشان؛ أي: يظن العطشان أن السراب ماء، فيأتيه ليشربه، فإذا جاء خاب ما أمّل، وبطل ما ظنّ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ ضمير الفاعل: للظَّالِمَانِ، وضمير المفعول: للسراب، أو لموضع السراب.

أو يكون ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ أي: شيئًا يُنتفع به، أو شيئًا موجودًا على العموم؛ لأنه معدوم.

ويَحتمل أن يكون:

ضمير الفاعل: للظَّالِمَانِ، وضمير المفعول للسراب.

أو ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ ضمير الفاعل في ﴿وَجَدَ﴾ للكافر، والضمير في ﴿عِنْدَهُ﴾ لعمله.

والمعنى : وجد الله عنده بالجزاء ، أو وجد زبانية الله ^{(١)(٢)} .

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ هذا هو المثل الثاني ، وهو عطف على قوله : ﴿كَرَّابٍ﴾ .

والمشبه بالظلمات : أعمال الكفار ؛ أي : هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب .

﴿فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ﴾ منسوب إلى اللُّج ، وهو معظم الماء .

وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثل ^(٣) قوبلت به أجزاء الممثل به ؛ فالظلمات : أعمال الكافر ، والبحر اللجي : صدره ، والموج : جهله ، والسحاب : الغطاء الذي على قلبه .

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة .

وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة ، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة .

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَاهَا﴾ المعنى : مبالغة في وصف الظلمة ، والضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾ وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة .

(١) في أ ، ب : «زُبْنِيَّةُ الله» وهو مفرد الزبانية ، وفي ج : «زبانيته» .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷺ : «وجد الله عنده بالجزاء» أي : وجد جزاء عمله الذي أعده الله له ، أقول : هذا معنى صحيح ؛ ولا ينبغي أن يكون من معنى الآية أن الكافر يجد الله يوم القيامة ، أي : يلقاه ، فيوبخه على كفره ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْعَوْنَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْعَاقِبَةِ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾﴾ . والله أعلم .

(٣) في ج ، د : «المثل» .

واختلف في تأويل الكلام:

ف قيل : المعنى : إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفى الرؤية ومقاربتها .
وقيل : بل رآها بعد عسر وشدة ؛ لأنَّ كاد إذا نُفِيت تقتضي الإيجاب ، وإذا أُوجِبَت تقتضي النفي .

وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها ،
فأما إذا دخل حرف النفي على «كاد» كقوله : ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ فإنه يحتمل النفي والإيجاب^(١) .

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي : من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن الهدى والإيمان في الدنيا .

وقيل : أراد : في الآخرة ؛ أي : من لم يرحمه الله فلا رحمة له .
والأول أليق بما قبله .



(١) انظر : المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٥) .

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّعُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرَفُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُغَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ لُحُوقٌ بِآيَاتِهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّعُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى : العلم .

والتسبيح : التنزيه والتعظيم ، وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل :

فقال الجمهور : إنه حقيقي ، ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء .

وقيل : تسبيحه ظهور الحكمة فيه .

﴿صَفَاتٍ﴾ يَصِفُنَّ أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْهَوَاءِ .

﴿كُلِّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في ﴿عَلِمَ﴾ : لله ، أو لـ ﴿كُلِّ﴾ .

والضمير في ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ : لـ ﴿كُلِّ﴾ .

﴿يُزْجَى﴾ معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقليل، كالسحاب.

﴿رُكَّامًا﴾ متكاثفًا، بعضه فوق بعض.

﴿الْوَذَكِ﴾ المطر.

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خَلَلٍ، كجبل وجبال.

﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ قيل: إن الجبال هنا حقيقة، وإن الله جعل في السماء جبالاً من برد.

وقيل: إنه مجاز، كقولك: عند فلان جبالٌ من مالٍ أو علمٍ؛ أي: هي في الكثرة مثل الجبال.

و﴿مِنْ﴾:

في قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾: لا ابتداء الغاية.

وفي قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدلٌ من الأولى، أو تكون للتبعيض فتكون مفعول ﴿يُنَزَّلُ﴾.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿وَيُنَزَّلُ﴾.

وقال الأخفش: هي زائدة. وذلك ضعيف.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء.

﴿سَنَا بَرْقَةٍ﴾ السَّنا بالقصر: الضوء، وبالمَدِّ: المجد والشرف.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ الْآيِلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا.

﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني: بني آدم والبهائم والطيور؛ لأن ذلك كله يدب.

﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ يعني: المني.

وقيل: الماء الذي في الطين الذي خُلِقَ منه آدم وغيره.

﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والحوت.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين، وسببها: أن رجلاً من

المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف.

﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين؛ لقصد الوصول إلى حقوقهم.

﴿أَيُّ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده.

﴿أَنْ يَحِيفَ﴾ معناه: أن يجور، والحييف: الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن

الرسول إنما يحكم بأمر^(١) الله وشرعه.

~~~~~

(١) في أ: «بما أمر».

[إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾] وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أُمِّرْتُمْ لَيُخْرِجُنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تُفْسِدُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحِبَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾] .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ؛ معناها : إنما الواجب أن يقول المؤمنون : «سمعنا وأطعنا» إذا دعوا إلى الله ورسوله .

وجعل الدعاء إلى الله ؛ من حيث هو إلى شرعه .

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية ؛ قال ابن عباس : معناها : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ : في فرائضه ، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ : في سنته <sup>(١)</sup> ، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ : فيما مضى من ذنوبه ، ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ : فيما يُستقبل .

وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة ، فذكرت له هذه الآية .

وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم ، وقال : إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل .

(١) في ج ، د : «سنته» .

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين.

﴿جَهَدَ آمَنَهُمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكدوها.

﴿لِيَخْرُجُنَّ﴾ يعني: إلى الغزو.

﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل.

﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم.

أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يُشكُّ فيها. ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني: تبليغ الرسالة.

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني: السمع والطاعة واتباع الشريعة.

﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدٌ ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وقيل: إن المراد بالآية: خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»<sup>(١)</sup>، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة عليٍّ.

فإن قيل: أين القسم الذي جاء قوله: ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُ﴾ جواباً له؟  
فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم.  
أو جعل الوعد بمنزلة القسم؛ لتحقيقه.

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦).

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَزِدَّوْا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَزِدُّوْا كَمَا اسْتَزَدَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاحِمُهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾].

﴿لِيَسْتَزِدَّوْا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل : المراد بـ ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ : الرجال خاصة .

وقيل : النساء خاصة ؛ لأن الرجال يستأذنون في كل وقت .

وقيل : الرجال والنساء .

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني : الأطفال غير البالغين .

﴿تِلْكَ مَرْئِي﴾ نصب على الظرفية لأنهم أمروا<sup>(١)</sup> بالاستئذان في ثلاثة مواطن.

فمعنى الآية: أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم. وهذه الآية محكمة.

وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها.

وحملها بعضهم على الندب.

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ يعني: تتجردون.

﴿الظَهْرِ﴾ وسط النهار.

﴿تِلْكَ عَوْرَتِي﴾ جمع عورة؛ من الانكشاف، كقوله: ﴿يُوتِنَا عَوْرَةً﴾

[الأحزاب: ١٣].

وَمَنْ رَفَعَ ﴿تِلْكَ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي: تنكشفون فيها.

وَمَنْ نَصَبَهُ فهو بدلٌ مِنْ ﴿تِلْكَ مَرْئِي﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة؛ أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة.

(١) في ج: «لأنه أمر».

﴿طَوَّفُوكَ عَلَيْهِ﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم؛ فلاجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان<sup>(١)</sup> في كل وقت.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدلٌ من ﴿طَوَّفُوكَ﴾؛ أي: بعضهم يطوف على بعض.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ أي: بعضهم طائفٌ<sup>(٢)</sup> على بعض، أو فاعل بفعل مضمر<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها؛ أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ جمع قاعد، وهي العجوز:

ف قيل: هي التي قعدت عن الولد.

وقيل: التي قعدت عن التصرف.

وقيل: التي إذا رأيتها استقدرتها.

﴿فَلْيَسْكُنَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يُبح لغيرهن من وضع الثياب.

(١) في أ، ب، هـ: «فلاجل ذلك يؤمر بالاستئذان»، والمثبت هو الصواب الذي يستقيم به المعنى. انظر: المحرر الوجيز (٦/٤٠٧)، والكشاف (١١/١٤١).

(٢) في أ، ب، د: «يطوف»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٣) انظر: الكشاف (١١/١٤٥)، وتقدير الفعل المضمر: «يطوف».



قال ابن مسعود: إنما أبيع لهنّ وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء.

وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها.

﴿غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهنّ وضع الثياب، بشرط أن لا يقصِدْنَ إظهار زينة، والتبرُّج: هو الظهور.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى: أن استعفاهنّ عن وضع الثياب المذكورة خيرٌ لهنّ من وضعها، والأولى لهنّ أن يلتزم ما يلتزم شباب النساء من السّتر.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية؛ اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية:

ف قيل: هو في الغزو؛ أي: لا حرج عليهم في تأخيرهم<sup>(١)</sup> عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول؛ كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل.

وقيل: الآية كلّها في معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك:

ف قيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس؛ لئلا يتقدّروهم<sup>(٢)</sup> الناس، فنزلت الآية مبيحةً لهم الأكل مع الناس.

وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو، وخلفوا أهل هذه الأعذار

(١) في ب، ج، هـ: «تأخيرهم».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستقدروهم».

في بيوتهم؛ كانوا<sup>(١)</sup> يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك.  
 وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذراً، فنزلت الآية، وهذا  
 ضعيف؛ لأن رفع الحرج عن أهل الأعدار لا عن غيرهم.  
 وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم<sup>(٢)</sup> منه أعدارهم  
 من الجهاد وغيره.

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى الإنسان الأكل من  
 هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على  
 ترتيبهم.

ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن بيت ابن  
 الرجل بيته؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(٣)</sup>.

واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة:  
 فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه،  
 والناسخ قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله ﷺ:  
 «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: الآية محكمة، ومعناها: إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في  
 ذلك.

(١) في أ، هـ: «فكانوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «يمنعهم».

(٣) أخرجه أحمد (٦٩٠٢)، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩١).

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥).

وقيل : بإذن وبغير إذن .

﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ﴾ يعني : الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم ، فأبيح <sup>(١)</sup> لهم الأكل منها .

وقيل : المراد : ما ملك الإنسان من مفاتيح نفسه . وهذا ضعيف .

﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا : جمعٌ ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله : ﴿ءَابَائِكُمْ﴾ و﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وغير ذلك .

وقرن الله الصديق بالقرابة ؛ لقرب مودته ، وقال ابن عباس : الصديق أوكد من القرابة .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحةٌ للأكل في حال الاجتماع والانفراد ؛ لأنَّ بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلاً ؛ خيفةً من البخل ، فأباح لهم الله ذلك .

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي : إذا دخلتم بيوتاً مسكونةً فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال : ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بمعنى : صنفكم ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقيل : المعنى : إذا دخلتم بيوتاً خاليةً فسلموا على أنفسكم ؛ بأن يقول الرجل : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

(١) في ج : «فأباح الله» .

وقيل : يعني بالبيوت : المساجد، فأمر<sup>(١)</sup> بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحدٌ فليسلم على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين.



---

(١) في ج: «وأمر»، وفي د: «أمر»، وفي هـ: «والأمر».

[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَازِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لِيُؤْذِنُوا لِلَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾].

﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية؛ الأمر الجامع: هو الذي يجمع له الناس؛ للمشورة فيه، أو للتعاون عليه.

ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة؛ فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان.

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ في معناها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الدعاء هنا يراد به: دعاء النبي ﷺ إياهم؛ ليجتمعوا إليه في أمرٍ جامع، أو في قتال وشبه ذلك؛ فالمعنى: أن إجابتهم له إذا دعاكم<sup>(١)</sup> واجبة عليكم، بخلاف إذا دعا بعضكم بعضاً، فهو كقوله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(١) في ج، د: «إجابتهم له إذا دعاكم».

ويقوي هذا القول: مناسبتُهُ لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع.

**والقول الثاني:** أن المعنى: لا تدعوا الرسول ﷺ باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه؛ بل قولوا له: «يا رسول الله» أو «يا نبي الله»؛ تعظيمًا له ودعاءً بأشرف أسمائه.

**وقيل:** المعنى: لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض؛ أي: دعاؤه عليكم مجابٌ فاحذروه.

ولفظ الآية بعيدٌ من هذا المعنى على أن المعنى صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: الذي ينصرفون عن حفر الخندق.

**واللواذ:** الرِّوْغان والمخالفة.

**وقيل:** الانصراف في خُفية.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله أو <sup>(١)</sup> لرسوله ﷺ.

واختلف في ﴿عَنْ﴾ هنا:

**فقيل:** إنها زائدة، وذلك ضعيف.

وقال ابن عطية: معناه: يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح <sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٦٤/١١) ..

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤١٥/٦).

وقال الزمخشري: يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر: إذا صد الناس عنه؛ فمعنى ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: يصدون الناس عنه؛ فحذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف<sup>(١)</sup>.

﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة: في الدنيا؛ بالرزايا، أو بالفضيحة، أو القتل.

والعذاب: في الآخرة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت ﴿قَدْ﴾ للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد.

وقيل: معناها: التقليل على وجه التهكم.

والخطاب: لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني: المنافقين.

والعامل في الظرف: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾.



(١) انظر: الكشاف (١١/١٦١).

## ﴿سورة الفرقان﴾

[﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ١] الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا نَقِيرًا ٢ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ فَقَدْ جَاءَهُ ظُلْمًا وَرُؤُوسًا ٤ ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْبِتَرِّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَفْوَراً رَجِماً ٦ ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَنْوَاعِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ٧ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَافِرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ٨ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٩﴾].

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختص بالله تعالى لم يُنطق له بمضارع.

﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وذلك على وجه التَّشْرِيف له

والاختصاص.

﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير:

لمحمد ﷺ.



أو للفرقان.

والأول أظهر.

وقوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عمومٌ يشمل الإنس والجن ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

وتضمن صدرُ هذه الآية إثبات النبوة والتوحيد، والردُّ على من خالف في ذلك.

﴿فَقَدَرَهُ قَدِيرًا﴾ ﴿خَلَقَ﴾: عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير: عبارة عن إتقان الصُّنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصفته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله، وغير ذلك.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى.

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ﴾ يعنون: قومًا من العبيد، منهم: عداسٌ ويسارٌ وأبو فُكَيْهَةَ الرُّومِيُّ.

﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه، وكذبوا في ذلك عليه.

﴿وَقَالُوا أَسْطِطِعُ الْأُولَى﴾ أي: ما سطره الأولون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث.

﴿اَكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتبٌ، ثم صارت تملأ عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار.

وقال الحسن: إنه من قول الله على وجه الردِّ عليهم.

ولو كان ذلك لقال: «أَكْتَتَبَهَا» بفتح الهمزة لمعنى<sup>(١)</sup> الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا.

وينبغي على قول الحسن أن يوقف على ﴿أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾.  
﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ردُّ على الكفار في قولهم، ويعني<sup>(٢)</sup> بالسر: ما أسرَّه الكفار من أقوالهم.

أو يكون ذلك على معنى التنصّل والبراءة مما نسبته الكفار إليه من الافتراء؛ أي: أن الله يعلم سرّي؛ فهو العالم بأنّي ما افتريت عليه، بل هو أنزله عليّ.  
فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لما قبله؟

فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك؛ ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية، قال هذا الكلام قريش؛ طعنًا على النبي ﷺ، وقد ردّ<sup>(٣)</sup> الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].  
وقولهم: ﴿هَذَا الرَّسُولُ﴾:

على وجه التهكم، كقوله فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾

[الشعراء: ٢٧].

(١) في د: «بمعنى».

(٢) في أ، ب: «يعني» بدون واو.

(٣) في ج: «رده».

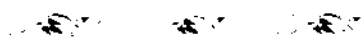
أو يعنون: الرسول بزعمه .

ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم .

وقد ذكرنا معنى ﴿مَسْخُورًا﴾ في «سبحان»<sup>(١)</sup> .

﴿صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال .

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يقدرّون على الوصول إلى الحق؛ لبعدهم عنه، وإفراط جهلهم .



(١) انظر (٢/ ٨١٠).

[بَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٦﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٨﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا تُمْرَيْنِ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٩﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿٢٠﴾ قُلْ أَدْرَاكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿٢١﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٢٤﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُدْفَعُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٢٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ لَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾].

﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكثر والجنة في الدنيا.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني: جنات الآخرة وقصورها.

وقيل: يعني: جنات وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِنْ شَاءَ﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يحتمل أن تكون:

حقيقة.

أو مجازًا؛ بمعنى: صارت منهم بقدر ما يرى على البعد.

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ التغيط لا يسمع، وإنما المسموع أصوات دالة

عليه، ففي لفظه تجوُّز.

والزفير: صوتٌ ممدودٌ كصوت الحمار.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةً فِي عَذَابِهِمْ.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾ أي مربوطٌ بعضهم إلى بعض، ورُوي أن ذلك بسلاسلٍ من نار.

﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور: الويل، وقيل: الهلاك.

ومعنى دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون: يا ثبوره!، كقول القائل: واحسرتى! وأأسفى!

﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثمَّ قول.

وإنما دعوا ثبورًا كثيرًا؛ لأن عذابهم دائمٌ، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن الكلام توقيفٌ وتوبيخٌ، وإنما يُمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا.

﴿وَعَدًا مَسْئُولًا﴾ أي سأله المؤمنون، أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾.

وقيل: معناه: وعدًا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتمه.

﴿فَيَقُولُ أَأَنْتَ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ القائل لذلك هو الله ﷻ.

والمخاطب<sup>(١)</sup> هم:

المعبودون مع الله على العموم.

وقيل: الأصنام خاصة.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُلَاءِ إِنَّا كَرَّمْنَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، وقوله: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا معادلة لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أنتم أظلمتم عبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تُضِلُّوهم أنتم؟، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله: ﴿هُمْ﴾؛ لِيُحَقِّقَ<sup>(٢)</sup> إسناد الضلال إليهم.

وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمر؛ ليوبِّخ الكفار الذين عبدوهم.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ القائل لهذا: هم المعبدون؛ قالوه على وجه التبري ممن عبدهم كقولهم: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: ٤١]، والمراد بذلك: توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب

(١) في ب، د: «والمخاطبون».

(٢) في أ، ب: «ليتحقق».

نسيانهم لذكر الله وعبادته .

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي : هالكين ، وهو من البوار بمعنى : الهلاك .

واختلف : هل هو جمع بائر؟ أو مصدرٌ وُصِفَ به ؛ ولذلك يقع على الواحد والجماعة ؟ .

﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطابٌ خاطب الله به المشركين يوم القيامة ؛ أي : قد كذَّبكم<sup>(١)</sup> آلهتكم التي عبدتم من دون الله ، وتبرؤوا منكم .  
وقيل : هو خطاب للمعبودين ؛ أي : كَذَّبكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا .

وقيل : هو خطاب للمسلمين ؛ أي : قد كذَّبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشرعة .

وقرئ ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء من أسفل .

والياء في قوله : ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ :

على القراءة بالتاء : بدلٌ من الضمير في ﴿كَذَّبَكُمْ﴾ .

وعلى القراءة بالياء كقولك : كتبتُ بالقلم ؛ أي : كَذَّبكم بقولهم .

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء من فوق ، ويحتمل على هذا :

أن يكون الخطاب : للمشركين أو للمعبودين ، والصَّرف على هذين

(١) في د : «كذبوكم» .

الوجهين: صرّف العذاب عنهم.

أو يكون الخطاب: للمسلمين، والصرف على هذا: ردُّ التكذيب.

وقرئ بالياء، وهو مسندٌ إلى المعبودين أو المشركين، والصرف: صرف العذاب.

﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ﴾ خطاب للكفار.

وقيل: للمؤمنين.

وقيل: على العموم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلاً أو رجالاً قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ اللَّعْلَمَ﴾.

وهذه الآية ردُّ على الكفار في استبعادهم بعث رسولٍ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطابٌ لجميع الناس؛ لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنةٌ للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لنتظر<sup>(١)</sup> هل تصبرون.

\*\*\*

(١) في ب، هـ: «لينظر».



[﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِيْٓ أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (١١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (١٢) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (١٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (١٤) وَيَوْمَ تَشَقَقُ السَّمَاءُ بِالسَّيْمِ وَنَزَلَ الْمَلٰٓئِكَةُ نَزِيرًا﴾ (١٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا﴾ (١٦) وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ بَلِّغْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (١٧) يَوَلَّيْتَنِي لَمَّا لَمْ أَخُذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ (١٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِلْإِنسٰنِ خَدُوْلًا﴾ (١٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يٰرَبِّ إِنِّي قَوْمِي أَخَذُوا هٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (٢٠) وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٢١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٢٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِشَيْءٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٢٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوْهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢٤)].

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل : معناه لا يخافون .

والصحيح : أنه على بابه ؛ لأن لقاء الله يُرجى ويُخاف .

﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله ، وحينئذ يؤمنون<sup>(١)</sup> ، فردّ الله عليهم بقوله : ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية ؛ أي : طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه .

وقوله : ﴿فِيْٓ أَنْفُسِهِمْ﴾ :

كما تقول : فلان عظيم في نفسه ، أي : عند نفسه .

(١) في أ ، ب ، هـ : «يؤمنوا» .

أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر<sup>(١)</sup> في أنفسهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى ﴿لَا بُشْرَى﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾:

إن كان للملائكة: فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين: حجراً محجوراً؛ أي: حراماً عليكم الجنة أو البشـرى.

وإن كان الضمير للمجرمين: فالمعنى أنهم يقولون: حجراً؛ بمعنى عَوْذاً؛ لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره<sup>(٢)</sup>. وانتصابه بفعل متروك إظهاره؛ نحو: معاذ الله.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ أي: قَصَدْنَا إلى أعمالهم؛ فلفظ القـدوم مجازٌ.

وقيل: هو قدوم الملائكة، أسنده الله إلى نفسه؛ لأنه عن أمره<sup>(٣)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «الكبر»، وعـبارة الكشاف (٢٠٨/١١): «معناه: أضمروا الاستكبار عن الحق؛ وهو الكفر والعناد في قلوبهم».

(٢) في ج، د: «تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «قَصَدْنَا إلى أعمالهم»، فلفظ القـدوم مجازٌ أقول: قوله: «قَدِمْنَا أي: قَصَدْنَا»، هو معنى ما جاء عن السلف؛ إذ قالوا في تفسير الآية: قَدِمْنَا أي: عَمَدْنَا، والمقتضي لهذا التفسير هو تعدية الفعل بالي؛ فقَدِمَ مَضْمُونٌ معنى قَصَدَ أو عَمَدَ، والفعل المضمَّن لمعنى فعل آخر يفيد معنى الفعلين، كما هو معلوم، وعليه: فقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ يفيد معنى (قَدِمَ) الذي فيه معنى أتى أو جاء، ومعنى عَمَدَ وقَصَدَ، وعلى هذا فليس في الآية مجاز، بل في الآية تضمين =

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات، كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال.

والهباء: هي الأجرام الدقيقة<sup>(١)</sup> من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوّة.  
والمنثور: المتفرق<sup>(٢)</sup>.

﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقرٌ وهذا مستقرٌ.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مَفْعِلٌ من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة.

= الفعل معنى فعل آخر، كما تقدم. وعلم مما تقدم أنه يمكن أن يستدل بالآية على إثبات المجيء لله، لكن إضافة الفعل إلى صيغة الجمع تفيد مجيء الملائكة أيضا، كما جاء الخبر عن الأمرين - مجيء الله ومجيء ملائكته - في غير موضع، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، ولهذا يشير قول المؤلف: «وقيل: هو قدوم الملائكة»، أي: مجيئهم، والقائل بذلك الأشبه أنه من نفاة الصفات الفعلية عن الله، كالمجيء والإتيان، والحق أنه تعالى يجيء كما يشاء، كما أخبر عن نفسه في عدد من الآيات، والأظهر أن منها هذه الآية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) في ج، د، هـ: «المفترق».

وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيَقِيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِأَلْفَنِمٍ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء: انفطارها.  
ومعنى ﴿بِأَلْفَنِمٍ﴾: أي: يخرج منها الغمام، وهو سحبٌ رقيق أبيض،  
وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض.

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عضُّ اليدين: كناية عن الندم والحسرة.  
والظالم هنا: عقبة بن أبي معيط.  
وقيل: كل ظالم.

والظلم هنا: بمعنى الكفر.

﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ، أو اسم جنس على العموم.  
﴿لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ روي: أن عقبة جَنَحَ إلى الإسلام فنهاه أبي بن  
خلف، أو أمية بن خلف؛ فهو فلان.

وقيل: إن عقبة نهى أبي بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا: أبي،  
وفلان: عقبة.

وإن كان الظالم على العموم: ف﴿فلانا﴾ على العموم؛ أي: خليل كل  
كافر.

﴿وَكَاكَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يَحْتَمَلُ أن يكون هذا:

من قول الظالم.

أو ابتداء إخبار؛ من قول الله تعالى.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِالشَّيْطَانِ: إبليس، أو الخليل المذكور.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا.

وقيل: في الآخرة.

﴿مَهْجُورًا﴾ من الهجر؛ بمعنى: البُعد والترك.

وقيل: من الهُجر - بضم الهاء -؛ أي: قالوا فيه الهُجر حين قالوا: إنه شعر

وسحر.

والأول أظهر.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع، والمراد: تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعدٌ لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش؛ لأنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل.

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جوابٌ لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقًا؛ لنُثَبِّتَ به فؤاد محمد ﷺ؛ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه؛ لأنه أُمِّيٌّ لا يقرأ، فحفظ المفروق عليه أسهل.

وأيضًا؛ فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كلُّ جزءٍ منه عند<sup>(١)</sup> حدوث سببه.

(١) في أ، ب، هـ: «على».

وأيضاً؛ منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملةً واحدةً.

﴿وَرَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: فرّقناه تفريقاً، فإنه نزل بطول عشرين سنة.

وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدّر الذي يتعلّق به ﴿كَذَلِكَ﴾، وبه يتعلّق ﴿لَنُنَزِّلَ﴾.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآية؛ معناها: لا يوردون عليك سؤالاً أو اعتراضاً إلاّ أتيناك في جوابه بالحقّ والتفسير الحسن الذي يُذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: الكفار، وحشُرهم على وجوههم حقيقة؛ لأنه جاء في الحديث: قيل يا رسول الله: كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجله قادراً على أن يُمشيه في الآخرة على وجهه؟!»<sup>(١)</sup>.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يحتمل أن يريد بالمكان:

المنزلة والشرف.

أو الدار والمسكن في الآخرة.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَهُمْ نَدِيمًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا نَسِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمُطِرَتْ مَطَرِ السَّوَاءِ أَقْلَمُ يَكُونُوا يَكُونُوا بِرُؤُسِهِمْ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَرَبْنَا عَلَيْهِمْ وَسُوفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾].

﴿وَزِيرًا﴾ أي: معينًا.

﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾ يعني: فرعون وقومه.

وفي الكلام حذف تقديره: فذهب إليهم فكذبوهم فدمرناهم.

﴿كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ تأويله كما ذكر في قوله في «هود»: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود: ٥٩] (١).

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالظالمين:

من تقدم، ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمرة؛ لقصد وصفهم بالظلم.

أو يريد الظالمين على العموم .

﴿وَأَصْحَابَ الرِّسِّ﴾ معنى الرِّسِّ في اللغة : البشر ، واختلف في أصحاب الرس :

ف قيل : هم من بقية ثمود .

وقيل : من أهل اليمامة .

وقيل : من أهل أنطاكية ، وهم أصحاب ياسين .

واختلف في قصتهم :

ف قيل : بُعث إليهم نبيٌّ ، فرموه في بئر فأهلكهم الله .

وقيل : كانوا حول بئر لهم ، فانهارت بهم فهلكوا .

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي الكثير والإبهام ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى المذكور قبل من الأمم .

﴿لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ أي : يَبْتَئِلُهُ .

﴿تَبَرَّنَا﴾ أي : أهلكنا .

﴿وَلَقَدْ أَنَوَا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ الضمير في ﴿أَنَوَا﴾ لقريش وغيرهم من الكفار .

والقرية : قرية قوم لوط .

﴿وَمَطَرَ السَّوْءَ﴾ : الحجارة .

ثم وقفهم على رؤيتهم لها ؛ لأنها في طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كُفْرهم بالنُّشُور .



و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله: ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقد ذكر<sup>(١)</sup>.

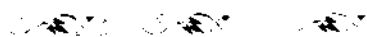
﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع معمول<sup>(٢)</sup> لقول محذوف يدل عليه ﴿هَؤُلَاءِ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ استئناف جملة أخرى، وتم كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية؛ على وجه التهديد لهم.

﴿اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار<sup>(٣)</sup> كأنه إله.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيعوها.

أو لأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب.



(١) انظر صفحة ٣٣٢.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٣) في زيادة: «له».

[أَلَمْ نَرِ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْفُسًا وَأَنَاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَثِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾].

﴿أَلَمْ نَرِ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته.

﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ قيل: مَدَّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها.

واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال «ظِلٌّ» بالليل، واختار أن مَدَّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/٤٤٢).

وقيل: <sup>(١)</sup> ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾: أي: جعله يمتدُّ وينبسط.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتًا غيرَ زائل لكنه جعله يزول بالشمس.

وقيل: معنى ساكن: غير منبسط على الأرض، بل يلتصق <sup>(٢)</sup> بأصل الحائط أو الشجرة ونحوها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلسهم فيه.

وقيل: معناه: لولا الشمس لم يُعرف أن الظل شيء؛ لأن الأشياء إنما تُعرف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ <sup>(٣)</sup> قَبْضُهُ: نَسْخُهُ وزواله بالشمس.

ومعنى ﴿يَسِيرًا﴾: شيئًا بعد شيء، لا دفعة واحدة.

فإن قيل: ما معنى «ثم» في هذه المواضع الثلاثة؟

فالجواب: أنه يحتمل:

أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالًا بعد حال.

أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وأن <sup>(٣)</sup> الثاني أعظم من

(١) في ج، د زيادة: «معنى».

(٢) في ج، د: «ملتصق».

(٣) في ج، د: «بأن كان».

الأول، والثالث أعظم من الثاني.

﴿الْبَلَّ لِبَاسًا﴾ شبه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس.

﴿وَالْتَوَمَّ سُبَانًا﴾ قيل: راحة.

وقيل: موتًا؛ لقوله: ﴿يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدلُّ عليه مقابله بالنشور.

﴿الرَّيْحَ نُشْرًا﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿مَاءً طَهُورًا﴾ مبالغة في طاهر.

وقيل: معناه: مطهر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهور؛ أي: مطهر، وكل مطهر طاهر، وليس كل طاهر مطهرًا.

﴿وَأَناسِيَّ﴾ قيل: جمع إنسي.

وقيل: جمع إنسان.

والأول أصح.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن.

وقيل: للمطر، وهو بعيد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعْثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: لو شئنا لخففنا عنك أثقال

الرسالة ببعث جماعة من الرسل، ولكننا خصصناك بها كرامة لك؛ فاصبر عليها.

(١) انظر (٣٥٣/٢).

﴿وَجَنِّهْتُمْ بِهِ﴾ الضمير : للقرآن، أو لما دلَّ عليه الكلام المتقدم<sup>(١)</sup>.  
 ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعْلَم في الدنيا بحرٌ  
 مِلْحٌ وبحرٌ عَذْبٌ، وإنما البحار المعروفة ماؤها مِلْحٌ:

فقال ابن عباس: أراد بالبحر المِلْحِ الأجاج: بحر الأرض، وبالبحر  
 العذبِ الفرات: بحر السحاب.

وقيل: البحر المِلْح: البحر المعروف، والبحر العذب: مياه الأرض.  
 (وقيل: البحر المِلْح: جميع الماء المِلْح من الآبار وغيرها، والبحر  
 العذب: هو مياه الأرض)<sup>(٢)</sup> من الأنهار والعيون.

ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج:  
 نقيضه.

واختلف في معنى مَرَجَهما:

فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين.

وقيل: أسال أحدهما في الآخر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَّخْجُورًا﴾ أي: فاصلاً يفصل بينهما، وهو ما بينهما  
 من الأرض بحيث لا يختلطان.

وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله، ولا يراه البشر.

(١) أي: جاهدهم بسبب كونك نذير كافة القُرَى. الكشاف (١١/٢٦٢).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم: فالمراد بالماء: الماء الذي خُلِطَ مع التراب فصار طينًا .

وإن أراد بالبشر بني آدم: فالمراد بالماء: المنى الذي يُخْلَقُونَ منه .  
﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يُعْمَانُ كل قريب؛ فالنسب: أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم، قُرْبُ ذلك أو بَعْدُ، والصهر: هو الاختلاط بالتناكح .

وقيل: أراد بالنسب: الذكور؛ أي: ذوي<sup>(١)</sup> نسب يُنْتَسَبُ إليهم، وأراد بالصهر: الإناث؛ أي ذوات صهر يُصَاهَرُ بهنَّ، فهو كقوله: ﴿يُفْعَلُ بِهِ الزَّوَاجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٩] .

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ الكافر هنا: الجنس .

وقيل: المراد أبو جهل .

والظهير: المعين؛ أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك .  
ولفظه يقع للواحد والجماعة، كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] .

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة لنفسي .

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا بالتقرب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع .

(١) في ب، د: «ذو» .

وقيل : المعنى : إلا أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالصدقة ، فالاستثناء على هذا متصل .

والأول أظهر .

وفي الكلام محذوف تقديره : إلا سؤال من شاء ، أو ما أشبه ذلك .  
﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال : لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ؛ فإنه يموت .  
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي قل : «سبحان الله وبحمده» ، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به .

ومعنى ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي : بحمده أقول ذلك .  
ويحتمل أن يكون المعنى : سَبِّحْهُ مُلْتَبِسًا<sup>(١)</sup> بحمده ، فهو أمرٌ بأن يجمع بين التسبيح والحمد .

﴿وَكَفَى بِهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا : بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم .  
أو يكون المراد : تهديد العباد ؛ لعلم<sup>(٢)</sup> الله بذنوبهم .  
﴿ثُمَّ أَسْوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٣)</sup> .

(١) في أ، ب، د : «ملتبسًا» .

(٢) في د : «بعلم» .

(٣) انظر (٣٤٨/٢) .

﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر ابتداء مضمرة، أو بدلٌ من الضمير في ﴿أَسْتَوَى﴾.

﴿فَسَلَّ بِهِ، خَيْرًا﴾ فيه معنيان:

أحدهما - وهو الأظهر - : أن المراد: أسأل عنه من هو خيرٌ عارفٌ به،  
فانتصب ﴿خَيْرًا﴾ على المفعولية، وهذا الخير المسؤول: هو جبريل عليه السلام<sup>(١)</sup> والعلماء، وأهل الكتاب.

والباء في قوله: ﴿بِهِ﴾ يحتمل:

أن تتعلق بـ ﴿خَيْرًا﴾.

أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى «عن».

والمعنى الثاني: أن المراد: أسأل بسؤاله خيرًا؛ أي: إن سأله تعالى  
تجده خيرًا بكل شيء، فانتصب ﴿خَيْرًا﴾ على الحال، وهو كقولك:  
«لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا» أي: رأيت برؤيته أسدًا.

﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا:  
لا نعرف الرحمن، وكان مُسَيْلِمَةُ الكذاب قد تسمّى بالرحمن، فقالوا على  
وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة.

﴿أَنَسَجْدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له.

﴿وَرَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير الفاعل<sup>(٢)</sup> في زادهم يعود على المقول وهو  
﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾.

(١) في ج، د: «أو».

(٢) في أ، ب، هـ: «المفعول».



[تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لُفُوفًا مُنْقَرِفَةً ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَلِلْقَوْتِ فِيهَا نَبِيَّةٌ وَسَلَامًا ﴿٢٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٢٧﴾] .

﴿بُرُوجًا﴾ يعني : المنازل الاثني عشر .

وقيل : الكواكب العظام .

﴿سِرَاجًا﴾ يعني : الشمس .

وَقُرَى بضم السين والراء على الجمع ، يعني : جميع الأنوار ، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفًا .

﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا.

وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة<sup>(١)</sup>، كالركبة والجلسة، والأصل: جعلهما ذَوِي خِلْفَةٍ.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ قيل: معناه: يعتبر في المصنوعات.

وقيل: يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه<sup>(٢)</sup> بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي: عباده المرضيئون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة.

و﴿عِبَادٌ﴾ مبتدأ، وخبره:

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾.

أو قوله في آخر السورة: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك:

وصف مشيهم على الأرض.

أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم.

(١) في ج، د: «الهيئة».

(٢) في أ: «فيستدكره».

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قالوا قولاً سديداً؛ ليدفع الجاهل برفق.

وقيل: معناه: قالوا للجاهل: «سلاماً»؛ أي: هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم.

قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف.

وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والجلم عنهم فمستحسن غير منسوخ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده: يحتمل أن يكون: من كلامهم، أو من كلام الله ﷻ.

﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكاً وخسراناً.

وقيل: ملازماً.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإقتار: هو التضييق في النفقة والشح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قلَّ.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقاباً.

وقيل: الأثام: الإثم؛ فمعناه: يلق جزاء أثام.

وقيل: الأثام: واد في جهنم.

والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ قيل : نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع ، فكأنه قال : الذين يجمعون بين الشرك<sup>(١)</sup> والقتل والزنا .

وقيل : نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون .

فأما على مذهب المعتزلة : فالخلود على بابه .

وأما على مذهب أهل السنة : فالخلود عبارة عن طول المدة .

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ إن قلنا : الآية في الكفار فلا إشكال فيها ؛ لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا .

وإن قلنا : إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف : هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا ؟

﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل : يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلًا مما<sup>(٢)</sup> علموا من السيئات .

وقيل : إن هذا التبديل في الآخرة ، أي : يبدل عقاب السيئات بشواب الحسنات .

﴿يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي : متابًا مقبولًا مرضيًا عند الله ، كما تقول : لقد قلت يا فلان قولًا ، أي : قولًا حسنًا .

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي : لا يشهدون بالزور ، وهو الكذب ؛ فهو من الشهادة .

(١) في ج ، د : «الإشراك» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «عما» .

وقيل : معناه : لا يحضرون مجالس الزور واللغو ، فهو على هذا من المشاهدة والحضور .

والأول أظهر .

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اللغو : هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه .

ومعنى ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أعرضوا عنه واستحيوا ، ولم يدخلوا مع أهله ؛ تنزيها لأنفسهم عن ذلك .

﴿لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي : لم يُعرضوا عن آيات الله ، بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفي للصَّم والعَمى ، لا للخروج عليها .

﴿فُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل : معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لله .

وقيل : أدخلهم معنا الجنة .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي : قدوةً يُقتدي بنا المتقون ، فـ «إمام» : مفرد يراد به الجنس .

وقيل : هو جمعُ آم ؛ أي : متَّبِع .

﴿الْفُرَّةُ﴾ يعني : غرفة الجنة ؛ فهي اسم الجنس .

﴿قُلْ مَا يَعْبَرُ بِكُمْ رَيْبٌ لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافية أو

استفهامية .

وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال :

**الأول:** أن المعنى : لا ييالي الله بكم لولا عبادتكم له ، فالدعاء بمعنى العبادة ، وهذا قريب من معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات : ٥٦] .

**الثاني:** أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى : لا ييالي الله بكم ، ولكنه <sup>(١)</sup> يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه .

ويكون على هذين القولين :

خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين ؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه .

أو خطاباً للمؤمنين خاصة ؛ لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ .

**الثالث:** أنه خطاب للكفار خاصة ، والمعنى على هذا : ما يعبا بكم ربي لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى : الأمر بالدخول في الدين ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول .

وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل .

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين .

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لزماً (أي : لازماً) <sup>(٢)</sup>

ثابتاً .

(١) في أ، ب، هـ : «ولكن» .

(٢) لم ترد في أ، ب، هـ .

وأضمر العذاب وهو اسم كان؛ لأنه جزاء التكذيب المتقدم.  
واختلف: هل يُراد بالعذاب هنا: القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟



## ﴿ سورة الشعراء ﴾

[﴿طسّر﴾ ١] تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْنُنَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾].

﴿طسّر﴾ ١ ﴿﴾ تكلّمنا على حروف الهجاء في أول «البقرة»<sup>(١)</sup>.

ويختص<sup>(٢)</sup> هذا: أنه قيل: الطاء من «ذي الطول»، والسين من «السميع» أو «السلام»، والميم من «الرحيم» أو «المنعم».

﴿بنيع﴾ ذكر في «الكهف»<sup>(٣)</sup>.

﴿ظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الأعناق: جمع عُنُق، وهي الجارحة المعروفة.

وإنما جمع ﴿خَاضِعِينَ﴾ جمع العقلاء:

لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء.

(١) انظر (١/٢٦١).

(٢) في أ، ب، هـ: «ويخص».

(٣) انظر صفحة ٧.



أو<sup>(١)</sup> لأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء.

وقيل: الأعناق: الرؤساء من الناس شَبَّهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوسٌ وصدور.

وقيل: هم الجماعات من الناس.

فلا يحتاج جمع ﴿خَاضِعِينَ﴾ إلى تأويل.

﴿مُحَدَّثٌ﴾ يعني به: محدث الإتيان<sup>(٢)</sup>.

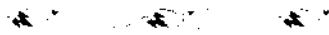
﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآية؛ تهديد.

﴿مِنْ كُلِّ نَوْعٍ﴾ أي: من كل صنف من النبات، فيعمُّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى.

ووصفه بالكرم؛ لما فيه من الحسن والمنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد؛ لأنه أراد: إن في كل واحد آية.

أو أشار إلى مصدر قوله: ﴿أَنْبَتْنَا﴾.



(١) في ج، د: «و».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك (٣/١٣١٩).

[وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْغَلَامُ الْغَلِيلُ ١٠ قَوْمٌ فِرْعَوْنُ ١١] قَالَ رَبِّ  
 إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ١٣  
 وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا شَابَيْنَا ١٥ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٦  
 فَآتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٨ قَالَ أَلَمْ  
 تُرَبِّنَا فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئِشْتَ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكَ سِنَّينَ ١٩ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبِئْسَ الْفَاعِلَ وَأَنْتَ مِنَ  
 الْكَافِرِينَ ٢٠ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ٢١ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي  
 حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٢ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبْدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٣ قَالَ فِرْعَوْنُ  
 وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٤ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٥ قَالَ  
 لِمَنْ حَوْلُهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٦ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٧ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي  
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٨ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٩ قَالَ لَيْنَ  
 اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ٣٠ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ٣١ قَالَ  
 فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ٣٣ وَنَزَعَ  
 يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ٣٤].

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بالرفع :

عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾ .

أو استئناف .

وقرئ بالنصب ؛ عطفاً على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ .

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي : اجعله معي رسولاً أستعين به .

﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ يعني : قتلُه للقبطي .

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي : لا تخف أن يقتلوك .

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ خطابٌ لموسى وأخيه ومن كان معهما .

أو على جعل الاثنين جماعةً .

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمعٌ ، وورد مورد تعظيم الله تعالى .

ويَحتمل أن تكون الملائكة هي التي تستمع بأمر الله ؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع<sup>(١)</sup> .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف رحمته : «(مستمعون) لفظه جمعٌ ، وورد مورد تعظيم الله تعالى» إلخ ، أقول : قوله : «ورد مورد تعظيم الله» معناه : أن الله ذكر نفسه بصيغة الجمع وهو واحد للدلالة على عظمته تعالى ، وهذا معنى صحيح ؛ فإنه تعالى يذكر نفسه بصيغة المفرد مظهرًا أو مضمرًا ، للدلالة على التوحيد ، ويذكر نفسه بصيغة الجمع مظهرًا أو مضمرًا للدلالة على عظمته لكثرة أسمائه وصفاته ، وكثرة عبيده وجنوده ، وشواهدُ هذا في القرآن كثيرة ؛ كما في هذه الآية : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمُؤْمِنُونَ﴾ ، وقوله : ﴿فَتَنِمَ الشَّاهِدُونَ﴾ ، وقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تبارك اسمه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، وقوله : ﴿وَمَا عَمِلْتَ آيَةً﴾ ، وقد يراد بهذه الصيغة الملائكة كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْبَرْ فَؤَادَكَ﴾ ، فالمراد قراءة جبريل ، وقوله سبحانه : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ، والمراد قرب الملائكة الحافظين الكاتبين لعمل العبد ، وقد تدل هذه الصيغة على الأمرين معا ؛ على التعظيم وعلى إرادة الملائكة ، ومن ذلك هذه الآية : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ، فالله يستمع ، والملائكة يستمعون ، كما قال : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرْوِي﴾ ، وقال سبحانه : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ، وقول المصنف : «إن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع» ، هذا غلطٌ منه رحمته منشؤه نفي الأفعال الاختيارية عن الله ، وهي التي تكون بمشيئته تعالى ، وهو المعروف من مذهب الأشاعرة ، كيف وقد أخبر تعالى عن نفسه في هذه الآية بصيغة الجمع بأنه مستمع ؟! ويشهد لذلك ما جاء في السنة ، وهو قوله ﷺ : «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن ، بجهر به» ، وقوله : (ما أذن) أي : ما استمع ، والأذن - بالتحريك - الاستماع =

والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناء واهتماماً بالأمر ليست في صيغة «سامعون».

والخطاب في قوله: ﴿مَعَكُمْ﴾ لموسى وهارون وفرعون وقومه.  
وقيل: لموسى وهارون خاصة؛ على معاملة الاثنين معاملة الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولٌ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟  
فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن التقدير: كل واحد منّا رسول.

الثاني: أنهما جُعِلَا كشخص واحد؛ لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان؛ فكانهما واحد.

الثالث: أن ﴿رَسُولٌ﴾ هنا مصدرٌ وُصِفَ به، فلذلك يُطْلَقُ<sup>(١)</sup> على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسولٌ بمعنى رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولًا﴾ [طه: ٤٧]؛ فإنه بمعنى: المرسل.

﴿أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أطلقهم.

﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المنّ على موسى، والاحتقار له.

= فالاستماع فعل من الله يكون بمشيئته، فهو تعالى يسمع جميع الأصوات، ويستمع لما شاء منها، ومن ذلك ما جاء في الآية والحديث، فالاستماع أخص من السماع، فكل استماع متضمن للسماع دون العكس. والله أعلم.

(١) في ج، د: «أطلق».

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْإِنِّي فَعَلْتُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام .

ويعني بالفعللة : قتلته للقبطي .

والواو في قوله : ﴿وَأَنْتَ﴾ :

إن كانت للحال فقوله : ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ معناه : كافرٌ بهذا الدين الذي جئتُ به ؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمناً ، ولم يعلم بذلك فرعون .

وقيل : معناه من الكافرين بنعمتي .

وإن كانت الواو للاستئناف : فيَحْتَمِلُ أن يريد :

من الكافرين بديني .

أو من الكافرين بنعمتي .

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٢٩) القائل هنا : هو موسى عليه السلام ، والضمير في قوله : ﴿فَعَلْنَاهَا﴾ لقتله القبطي .

واختلف في معنى قوله : ﴿مِنَ الصَّالِينَ﴾ :

ف قيل : معناه : من الجاهلين بأن وكُزِنِي تَقْتُلُهُ .

وقيل : معناه : من الناسين ، فهو كقوله : ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقوله : ﴿إِذَا﴾ صلةٌ في الكلام ، وكأنها بمعنى حينئذٍ . قال ذلك ابن عطية (١) .

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥) .

﴿فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفردته في قوله: ﴿تَنْتَهَا عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْتَهَا عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ معنى ﴿عَبَّدْتُ﴾: ذَلَّلْتُ واتخذتهم عبيداً، فمعنى هذا الكلام: أنك عددت نعمة عليّ تبيد بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة، إنما كانت نقمة؛ لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلتُ أنا إليك فرييتني.

فالإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى التربية.

و﴿أَنْ عَبَّدْتُ﴾:

في موضع رفع عطفتُ بيان على ﴿تِلْكَ﴾.

أو في موضع نصبٍ على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معنى الكلام: تربيتك نعمة عليّ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل وتركتني.

فهي في المعنى الأول: إنكارٌ لنعمته.

وفي الثاني: اعترافٌ بها.

﴿قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ أجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾؟ تعجباً من جوابه، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهرُ

(١) هذه الآية ﴿تَنْتَهَا عَلَى﴾ بعد ﴿فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ﴾ وليست قبلها، فلو قال: «جمع ضمير الخطاب مع إفراده في قوله...» لاستقامت العبارة، كما هي عبارة الكشاف (١١/٣٣٩)

الأدلة<sup>(١)</sup> عند العقلاء وأعظم البراهين؛ فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون<sup>(٢)</sup> بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه، وأبدى الازدراء والتهكم في قوله: ﴿رَسُولُكُمْ الَّذِي أُزِيلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدّها، ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهده بالسنن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطّف؛ طمعاً في إيمانه، فقال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟.

وقد تقدّم في «الأعراف»<sup>(٣)</sup> ذكر العصا واليد، و﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ و﴿أَرْجَمَ﴾ و﴿حَشِرِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال أولاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، ثم قال آخرًا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾؟

فالجواب: أنه لا يَرَى أولاً طمعاً في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبخهم بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُزِيلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

(١) في ب، ج، د، هـ: «دلالة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستدلون».

(٣) انظر (٢/ ٣٧١، ٣٧٣).

[﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ  
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الدَّيْنِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ  
سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَنِعُونَ  
﴿٣٩﴾ لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُونَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَٰلِغِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا  
لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَٰلِغِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا  
مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْفَٰلِغُونَ ﴿٤٤﴾  
فَأَلْفَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْفَىٰ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا  
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامِنْتُمْ لَمْ قَبُلْ أَنَّ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَاِبِرُكُمْ  
الَّذِي عَلَّمَكُمَ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قِطْعَنَ إِلَيْكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَلْصَقْتُكُمْ أَجْمَعِينَ  
﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾].

﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة.

﴿تَتَّبِعُونَ السَّحَرَةَ﴾ أي: نتبعهم في نصرة ديننا، لا في عمل السحر.

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسم أقسموا به.

وقد تقدّم في «الأعراف»<sup>(١)</sup> تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما بعد ذلك.

﴿لَا ضَرَرَ﴾ أي: لا يضرنا ذلك؛ لأننا نقلب إلى الله.





[ ﴿٥٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْغَمَامَ يُخْرِجُ مِنْهُ نَارًا ﴿٥٧﴾ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ فَمِنْ هَٰؤُلَاءِ شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦١﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٣﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٢﴾ ] .

﴿أَنْضِرْ بِعَصَاكَ﴾ يعني : بني إسرائيل .

﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ إخباراً باتباع فرعون .

﴿الشَّرْذِمَةُ قَلِيلُونَ﴾ الشَّرْذِمَةُ : الطائفة من الناس ، وفي هذا احتقارٌ لهم على أنه رُوي أنهم كانوا ستّ مئة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير .

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٧﴾ يعني : التي بمصر .

والعيون : الخُلجان الخارجة من النيل ، و<sup>(١)</sup> كانت ثمّ عيون في ذلك الزمان .

وقيل : يعني الذهب والفضة وهو بعيد .

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكام .

وقيل : المنابر .

(١) في أ ، ب ، د : «أو» .

وقيل : المساكن الحسنان .

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع خفضٍ ؛ صفةٌ لـ ﴿وَمَقَامٍ﴾ .

أو في موضع نصبٍ ، على تقدير : أخرجناهم مثل ذلك الإخراج .

أو في موضع رفعٍ ، أنه خبر ابتداء تقديره : الأمر كذلك .

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي : أورثهم الله مواضع فرعون بمصر .

على أن التواريخ لم يذكر فيها مُلك بني إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام ، فتأويله على هذا : أورثهم مثل ذلك بالشام .

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ أي : لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبني إسرائيل .

﴿مُشْرِقِينَ﴾ معناه : داخلين في وقت الشروق ، وهو طلوع الشمس .

وقيل : معناه : نحو المشرق .

وانتصابه على الحال .

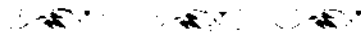
﴿تَرْتَأَى الْجَمْعَانِ﴾ وزن ﴿تَرْتَأَى﴾ تفاعل ، وهو مشتقٌّ من الرؤية ، والجمعان : جمع موسى وجمع فرعون ، أي : رأى بعضهم بعضًا .

﴿فَانْفَلَقَ﴾ تقدير الكلام : فضرب موسى البحر فانفلق .

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي : كل جزء منه ، والطود : الجبل .

وروي : أنه صار في البحر اثنا عشر طريقًا ، لكل سبط من بني إسرائيل طريقٌ .

﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾ يعني به ﴿الْآخِرِينَ﴾ : فرعون وقومه ، ومعنى :  
﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ : قَرَّبْنَاهُمْ مِنَ الْبَحْرِ لِيُغْرَقُوا .  
و﴿ثُمَّ﴾ ظرفٌ يراد به هنا : حيث انفلق البحر ، وهو بحر القلزم .



[وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ٧٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٧٥ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَزِيمَةً ٧٦ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٧ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٨ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٩ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٨٠ أَنتُمْ وَمَا بَاؤُكُمْ أَفْقَدُمُونَ ٨١ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٨٢ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٨٣ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٨٤ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٥ وَالَّذِي يُمْسِكُنِي إِذَا مَاتَ ٨٦ وَالَّذِي يُبَسِّطُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٨٧ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ٨٨ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ٨٩ وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِ ٩٠ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ٩١ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ٩٢ وَأَغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ٩٣ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٩٤ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٩٥ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٩٦ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ٩٧ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩٨ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْزِلُوا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٩ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَضُرُّونَكُمْ أَوْ يَنْفَعُونَ ١٠٠ فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَائِلُونَ ١٠١ وَخُذُوا إِلَيْهِمْ أَجْمَعُونَ ١٠٢ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ١٠٣ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٠٤ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٥ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ١٠٦ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ١٠٧ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ١٠٨ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُخَرِّقُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ ١٠٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ١١٠ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١١١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ عَرِيدٌ ١١٢].

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ لبيان لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، وقيم عليهم الحجة.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرّحوا بقولهم ﴿نَعْبُدُ﴾، مع أن السؤال - وهو قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ - يغني عن التصريح بذلك، وقياسٌ مثل هذا: الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرًا﴾ [النحل: ٣٠]؟.

فالجواب: أنهم صرّحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة

الأصنام، ثم زادوا قولهم: ﴿فَنَظَّلْهُمَا عَنْكَيْنِ﴾ مبالغة في ذلك.

﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعترافاً بالتقليد المحض.

﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع.

وقيل: متصل؛ لأن في آبائهم من عبد الله تعالى.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٩) أسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله؛ تأدباً مع الله.

﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ قيل: أراد كذباته<sup>(١)</sup> الثلاثة الواردة في الحديث<sup>(٢)</sup>، وهي قوله في سارة زوجته: «هي أختي»، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاثة من المعارض فلا إثم فيها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلاً.

﴿لَا يَنْفَعُ﴾ وما بعده: منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٩٠) قيل: سليم من الشرك والمعاصي.

وقيل: الذي يلقي ربه وليس في قلبه شيء غيره.

(١) في ج، د: «كلماته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

وقيل : بقلب لديغ من خشية الله ، والسَّليم : هو اللديغ لغة .  
وقال الزمخشري : هذا من بدع<sup>(١)</sup> التفاسير<sup>(٢)</sup> .  
وهذا الاستثناء :

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا ، فَيَكُونُ : ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ مفعولًا ، بقوله : ﴿لَا يَنْفَعُ﴾  
والمعنى على هذا : أن المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله ، وأن البنيين  
لا ينفعون إلا من علّمهم الدين وأوصاهم بالحق .

وَيَحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ بدلًا من  
قوله : ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره : إلا مالٌ من أتى الله وبنوه .  
ويحتمل أن يكون منقطعًا بمعنى : «لكن» .  
﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾ أي : قُرِبَتْ .

﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾<sup>(٣)</sup> يعني : المشركين ؛ بدلالة ما بعده .  
﴿فَنُكِّبُوا فِيهَا﴾ كُتِبُوا : مضاعف من «كَبَّ»<sup>(٣)</sup> كُرِّرَتْ حروفه ؛ دلالة على  
تكرير معناه ، أي : كَبَّهْمُ الله في النار مرة بعد مرة .  
والضمير للأصنام ، و﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم المشركون .  
وقيل : الضمير للمشركين ، و﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم الشياطين .  
﴿تُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي : نجعلكم سواءً معه .

(١) في أ ، ب ، د ، هـ : «بديع» ، والمثبت موافق لعبارة الكشف .

(٢) الكشف (١١/٣٨١) .

(٣) في ب ، ج : «مضاعف مركب» ! .

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٩٩) يعني: كبراءهم، وأهل الجُرم والجُرأة منهم.

﴿حَمِيمٌ﴾ أي: خالص الودّ.

قال الزمخشري: جمع الشفعاء ووحد الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء<sup>(١)</sup>.



(١) الكشف (٣٨٦/١١).

[كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِوَنَ ﴿١٥٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٠﴾ قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١٦١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٦٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٦٧﴾ فَأَفْنِ بَنِي وَبَنِيهِمْ فَتَمَاجِي وَبَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٢﴾].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ أسند الفعل إلى القوم وفيه علامة التأنيث؛ لأن القوم في معنى الجماعة والأمة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بالجمع وإنما كذبوا نوحًا وحده؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقولك: «فلان يركب الخيل» وإنما لم يركب إلا فرسًا واحدًا.

والآخر: أن من كذب نبيًا واحدًا فقد كذب جميع الأنبياء ﷺ؛ لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء.

وكذلك الجواب في: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ وغيره.

﴿وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ جمع أرذل، وقد تقدّم الكلام عليه في قوله: ﴿أَرَادُوا نِسَاءً﴾ [هود: ٢٧] في «هود»<sup>(١)</sup>.



﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٤) يعني: الذين سمّوهم أردلّين، فإنّ الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم، كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبًا وبلاّلاً وأشباههم من الضعفاء.

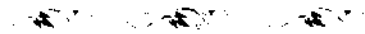
﴿الْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريد الرجم:

بالحجارة.

أو بالقول، وهو الشتم.

﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: احكم بيننا.

﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوء.



[ كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَنْتَبِهُنَّ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَبْشُرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَسْخِذُونَ مَصَافِحَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٣١﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتْ وَعَمِيُونَ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ]

﴿بِكُلِّ رِيحٍ﴾ الرِّيحُ : المكان المرتفع .

وقيل : الطريق .

﴿ءَايَةً﴾ يعني : المباني الطَّوَال .

وقيل : أبراج الحمام .

﴿مَصَافِحَ﴾ جمع مَصْنَع ، وهو ما أُتْقِنَ صُنْعُهُ من المباني .

وقيل : مآخذ الماء .

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الآية ؛ تفسير لقوله : ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأبْهَمَ أَوَّلًا ، ثم فَسَّرَهُ .

﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام : أي : عاداتهم ، والمعنى : أنهم قالوا : ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا <sup>(١)</sup> إِلَّا عادة الناس الأولين .

(١) سقطت هذه الكلمة من أ ، ب ، هـ

وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويَحتمل على هذا وجهين :  
أحدهما : أنه بمعنى الخُلقة، والمعنى : ما هذه الخلقة التي نحن عليها  
إلا خُلقة الأولين .  
والآخر : أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى : ما هذا الذي جئت  
به إلا كذب الأولين .



[ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا ههنا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجِشُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـذِهِ نَافَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَقْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَسْهَوْا بِسُوءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَمَقَرُّهَا فَأَصْبَحُوا نَادِئِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ]

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ تخويفٌ لهم، معناه: أطمعون أن تُتركوا في النعم على كفركم.

﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلَع: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكِمْ، والهَضِيم: اللين الرطْب، فالمعنى: أن طَلْعَهَا يَتَمُّ وَيَرْتَب.

وقيل: هو الرُّخْص<sup>(١)</sup> أول ما يخرج.

وقيل: الذي ليس فيه نوى.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي على النخل؟

فالجواب: أن ذلك تجريدٌ، كقوله: ﴿فَنَكِهُهُ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ويَحْتَمِلُ أنه أراد: الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عطف عليها النخل.

(١) الرُّخْص: الشيء الناعم. كما في القاموس المحيط.

﴿وَنَنْجُوْنَ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿فَرِهَيْنَ﴾ قرئ بـألف وبغير ألف، وهو منصوب على الحال من الفاعل في ﴿نَنْجُوْنَ﴾.

وهو مشتق من الفَراهة وهي النشاط والكَيْس.

وقيل: معناه: أقوياء.

وقيل: أشيرين بطرين.

﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السَّحَر - بكسر السين -.

وقيل: من السَّحَر - بفتح السين - وهي الرُّثَّة، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر.

﴿لَمَّا شَرِبْ﴾ أي: حظَّ من الماء.

﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.

[كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١١٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١١٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايَةِ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٥﴾].

﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبيغضين.

وفي قوله: ﴿قَالَ﴾، و﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجني من عقوبة عملهم.

أو اعصمني من عملهم.

والأول أرجح.

﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأة لوط.

﴿فِي الْغَايَةِ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>، وكذلك ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.

[﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَتُوفُّوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَنْتُمْ الَّذِينَ خَلَقْتُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾].

﴿أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء، مثل الذي في «الحجر» و«ق»، ومعناه: الغيضة من الشجر.

وقرئ هنا وفي «ص» بفتح اللام والتاء:

ف قيل: إنه مسهلٌ من الهمز.

وقيل: إنه اسم بلد، ويقوي هذا القول بأنه - على هذه القراءة بفتح التاء - غير منصرف، فدل<sup>(١)</sup> ذلك على أنه اسم علم.

وضعف ذلك الزمخشري، وقال: إن «لَيْكَةَ» اسم لا يُعرف<sup>(٢)</sup>.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا «أخوهم» كما قال في قصة نوح وغيره!

ف قيل: إن شعيباً بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال: ﴿وَإِلَى

(١) في ج، د: «يدل».

(٢) الكشاف (١١/٤١١).

مَذِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴿٨٥﴾، وبعث أيضًا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل «أخوهم»، فكان شعيبٌ على هذا مبعوثًا إلى قبيلتين<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل<sup>(٢)</sup> «أخوهم» حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل «أخوهم» حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهاً<sup>(٣)</sup> لشعيب عن النسبة إليها.

﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن.

﴿بِالْقُسْطِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿وَالْجِلَّةِ﴾ يعني: القرون والأمم المتقدمة.

﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة<sup>(٤)</sup> من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة.

فإن قيل: لم كرّر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟

فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشدّ تنبيهًا للقلوب، وأيضًا فإن كل قصة منها كأنها كلامٌ قائم مستقل بنفسه، فحُتّمت بما حُتّمت به صاحبها.



(١) في أ، ب: «القبيلتين».

(٢) في د: «قال».

(٣) في ج: «تشریفًا».

(٤) في ج، د: «سحابة».



[وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعَدَّائِنَا لِنَسْتَعْمِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَلْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَحْتِ الْقَوْمِ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاقٍ ثَائِرٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾].

﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ الضمير للقرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه؛ لأن القلب هو الذي يحفظ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يعني: كلام العرب، وهو متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾، أو ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى : أن القرآن مذكورٌ في كتب المتقدمين ، ففي ذلك دليلٌ على صحته ، ثم أقام الحجة على قريش بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوهُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٧٧) والمعنى : أنَّ عِلْمَ بني إسرائيل بأنه من عند الله آيةٌ لكم وبرهان ، والمراد : مَنْ أسلم مِنْ بني إسرائيل ، كعبد الله بن سلام .

وقيل : الذين كانوا يبشرون بمبعثه ﷺ .

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (١٧٨) الآية ؛ ﴿الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم ، وهو الذي لا يتكلم ، سواء كان إنساناً أو بهيمةً أو جماداً .

والأعجميُّ : المنسوب إلى العَجَم ، وقيل : هو بمعنى الأعجم .

ومعنى الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا ؛ لإفراط عنادهم ، ففي الآية (١) تسليةٌ للنبي ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه .

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧٩) معنى ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ : أدخلناه .

والضمير :

للتكذيب الذي دلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام .

أو للقرآن ، أي : سلكناه في قلوبهم مكذباً به .

وتقدير قوله : ﴿كَذَلِكَ﴾ : مثل هذا السِّلْك سلكناه .

(١) في ج ، د ، هـ : «ذلك» .

و﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد به : قريشاً ، أو الكفار المتقدمين .  
و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : تفسيرٌ للسَّلَك الذي سَلَكَ <sup>(١)</sup> في قلوبهم .  
﴿يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ تمنوا أن يؤخروا حين لم ينفعهم التمني .  
﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٧﴾ توبيخٌ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم : ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال : ٣٢] وشبه ذلك .  
﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ المعنى : أن مدة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها ، وإن طالت مدة سنين ؛ لأن كل ما هو آتٍ قريبٌ .  
قال بعضهم : ﴿سِنِينَ﴾ يراد <sup>(٢)</sup> به عمر الدنيا .  
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذِرُون﴾ ﴿٢٠٩﴾ المعنى : أن الله لم يهلك قوماً إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولاً فأنذرهم فكذبوه .  
﴿ذِكْرَى﴾ منصوبٌ :  
على المصدر من معنى الإنذار .  
أو على الحال من الضمير من ﴿مُنْذِرُونَ﴾ .  
أو على المفعول من أجله .  
أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة .  
﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٢١٠﴾ الضمير للقرآن ، وهذا ردُّ على من قال : إنه

(١) في ج : «سلكه» .

(٢) في ج ، د : «يريد» .

كهانة نزلت<sup>(١)</sup> بها الشياطين على محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرُونَ عليه .  
ولفظ «ما ينبغي» تارةً يستعمل بمعنى: لا يمكن، و<sup>(٢)</sup>بمعنى: لا يليق.  
﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ تعليلُ لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة؛  
لأنهم مُنعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان  
كثيراً منتشرًا قبل ذلك.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل: هم قرابته الأدنون، ولما  
نزلت هذه الآية أُنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من  
النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار»، ثم نادى كذلك ابنته  
فاطمة وعمته صفية<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: في معناها قولان:

أحدهما: أنه أمر بأن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس.  
والآخر: أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه،  
ولا يُحاييهم بالإنذار<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَخْفِضْ جَانْحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.  
﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم في الصلاة.

(١) في ج: «تنزلت».

(٢) في د: «وتارة».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

(٤) الكشف (٤٣٠/١١).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: سَائِرَ التَّصَرُّفَاتِ .

﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ (١٦٩) معطوفٌ على الضمير المفعول في قوله :  
﴿بِرَبِّكَ﴾ ، والمعنى : أنه يراك حين تقوم وحين تسجد .

وقيل : معناه : يرى صلاتك مع المصلين ، ففي ذلك إشارةٌ إلى الصلاة في (١) الجماعة .

وقيل : يرى تقلُّبَ بصرِكَ في المصلين خلفك ؛ لأنه ﷺ كان يراهم من وراء ظهره .

﴿نَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٣٣٣) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله : ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ ، والأفَّاك : الكذاب ، والأثيم : الفاعل للأثم ، يعني بذلك الكهان .

وفي هذا ردٌّ على من قال : إن الشياطين نزلت على محمد ﷺ بالكهانة ؛ لأنها لا تنزل إلا على أفَّاكٍ أثيم ، وكان ﷺ في غاية الصدق والبرِّ .

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه : يستمعون ، والضمير يحتمل :

أن يكون للشياطين ؛ بمعنى : أنهم يستمعون إلى الملائكة .

أو يكون للكهان ؛ بمعنى : أنهم يستمعون إلى الشياطين .

وقيل : ﴿يُلْقُونَ﴾ بمعنى : يلقون المسموع ، والضمير يحتمل أيضًا على هذا :

أن يكون للشياطين ؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان .

(١) في ج ، د : «مع» .

أو يكون للكهان ؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس .

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يعني :

الشياطين .

أو الكهان ؛ لأنهم يَكْذِبُونَ فيما يخبرون به عن الشياطين .

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾ لما ذُكر الكهان ذكر الشعراء ؛ لبيان أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة .

وأراد : الشعراء الذين يُلْقُونَ من الشعر ما لا ينبغي ، كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك .

وقيل : أراد شعراء الجاهلية .

وقيل : شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم .

و﴿الْغَاوُونَ﴾ قيل : هم رواة الشعر .

وقيل : هم سفهاء الناس الذي تعجبهم الأشعار ؛ لما فيها من اللغو والباطل .

وقيل : هم الشياطين .

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل ؛ أي : يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل ، ويُفْرِطُونَ في التجوُّز حتى يَخْرُجُونَ<sup>(١)</sup> إلى الكذب .

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية ؛ استثناء من الشعراء يعني به : شعراء المسلمين ؛ كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف .

(١) في أ ، ب ، د ، هـ : «يخرجوا» .

وقيل : إن هذه الآية مدنية .

﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل : معناه : ذكروا الله في أشعارهم .

وقيل : يعني الذكر على الإطلاق .

﴿وَأَنصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعر في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين .

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وعيدٌ للذين ظلموا ، والظلم هنا : بمعنى الاعتداء على الناس ؛ لقوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ .

وَعَمِلَ ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَيَّ﴾ لتأخره .

وقيل : إن العامل في ﴿أَيَّ﴾ : ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ .

## ﴿ سورة النمل ﴾

[﴿ طَسَّ تِلْكَ مَآبِثُ الْفَرَمَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ① هُدًى وَنُذْرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ⑤ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ⑥ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ⑦ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑧ يَمْوَسَّى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑨ وَالْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ⑩ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ⑪ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَبْعِ مَآبِثٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ⑫ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَابَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑬ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ⑭ ﴾].

﴿ تِلْكَ مَآبِثُ الْفَرَمَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ، وإن كان الموصوف واحدًا .

﴿ هُدًى وَنُذْرٍ ﴾ في موضع نصبٍ على المصدر .

أو في موضع رفعٍ على أنه خبر ابتداء مضمرة .

﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ تحتمل هذه الجملة :



أن تكون معطوفة، فتكون بقية صلة ﴿الَّذِينَ﴾ .  
أو تكون مستأنفة وتتمت الصلاة قبلها . ورجَّح الزمخشري هذا<sup>(١)</sup> .  
﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون .  
﴿سُوِّءَ الْكَذَابِ﴾ يعني : في الدنيا وهو القتل يوم بدر .  
ويَحْتَمِلُ أن يريد عذاب الآخرة .  
والأول أرجح ؛ لأنه ذكر الآية بعد ذلك .  
﴿لَنُلْقِيَ الْقُرْآنَ﴾ أي : نُعْطَاهُ .  
﴿ءَأَفْسَتْ﴾ ذكر في «طه»<sup>(٢)</sup> ، وكذلك ﴿قَبَسَ﴾ .  
والشهاب : النجم ، شبه القبس به .  
وقرئ :  
بإضافة ﴿بِشِهَابٍ﴾ إلى ﴿قَبَسَ﴾ .  
وبالتنوين ، على البدل أو الصفة .  
فإن قيل : كيف قال هنا : ﴿سَنَائِكُمْ﴾ وفي الموضع الآخر : ﴿لَعَلِّيْ ءَانِيَكُمْ﴾  
[طه : ١٠] ؛ والفرق بين الترجي والتسوية : أن التسوية متيقن الوقوع بخلاف  
الترجي ؟  
فالجواب : أنه قد يقول الراجي : «سيكون كذا» إذا قوي رجاؤه .

(١) الكشف (١١/٤٥٤) .

(٢) انظر صفحة ٩٢ .

﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعلون، وهو مشتقٌ من صَلَّى بالنار، والطاء بدل من التاء.

﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسرة، و﴿بُورِكَ﴾ من البركة، و﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾: يعني مَنْ في مكان النار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مَنْ حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام.

وقال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام<sup>(١)</sup>.

﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون:

مما قيل في النداء لموسى عليه السلام.

أو يكون مستأنفاً.

وعلى كلا الوجهين قصد به: تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، و<sup>(٢)</sup> في قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) الكشف (١١/٤٦٤).

(٢) في أ، ج: «أو».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام، إلخ، أقول: الأظهر أن ذلك من جملة ما قيل لموسى عليه السلام في النداء، وهو مع ذلك دالٌّ على تنزيه الله عن كل نقص، والتنزيه هو مدلول الكلمة في كل موارد، وفي هذا تعليم لموسى ما يستحقه الرب من التنزيه، كما علّمه تعالى ما يستحقه من الإلهية والربوبية والتنزيه عن الشرك في قوله: ﴿فَاسْتَجِبْ لِمَا يَدْعُونَ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك؛ فكلاهما تفسير للنداء.

﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ الجان: الحية.

وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تُفْبَنُ﴾ [الأعراف: ١٠٧]!

والجواب: أنها ثعبان في جرْمها، جانٌّ في سرعة حركتها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، أو لم يلتفت.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن من ظلم من سائر

= وأما قول المصنف «أو يكون مستأنفاً، وعلى كلا الوجهين: فُصِّدَ به تنزيه الله» هذا القدر من عبارته صحيح، ولا إشكال فيه، ولكنه - عفا الله عنه - قيّد التنزيه بقوله: «مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء» إلخ، وقد أجمل وأبهم ما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، وكذا لم يوضح ما قاله بعض الناس في الآية مما يجب تنزيه الله عنه، ولهذا صار كلامه غامضاً لا يفيد السامع معنى محدداً، ولا يفهم مراده إلا من يعرف مذهبه في كلام الله، وإذ قد عُلم مما تقدم أن المؤلف على طريقة الأشاعرة، ومذهب الأشاعرة في كلام الله أنه معنى نفسي قديم، ليس بصوت ولا حرف، ولا يكون بمشيئته، فالذي يحذره المؤلف أن يفهم من لفظ النداء أن كلامه تعالى بصوت؛ لأن النداء هو الخطاب بصوت رفيع مسموع، ومذهب أهل السنة أن كلام الله يكون بصوت، مناداةً ومناجاةً، فالله نادى موسى وناجاه، وأما قوله: «قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه»، فلعله يريد قول من قال: المراد بمن في النار هو الله، وهذا القول يستعظمه من لم يعرف مراد من قال ذلك من السلف، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنَّ بُورِكَ﴾ أن قدّس، وأن النار هي نور، وبمعرفة ذلك يزول الإشكال.

الناس، لا من المرسلين.

وقيل: إنه متصل؛ على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء، وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضاً فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم.

﴿بَدَلْ حُسْنًا﴾ أي: عمل عملاً صالحاً.

﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>.

﴿فِي نِيعٍ مَّائِنٍ﴾ متصل بقوله: ﴿أَلْقَى﴾ و﴿أَدْخَلَ﴾، تقديره: نيسر لك ذلك في جملة تسع آيات.

وقد ذكرت الآيات التسع في «الإسراء»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.

﴿مُبِينَةً﴾ أي: ظاهرة واضحة الدلالة، أسند الإبصار لها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأملها.

﴿وَأَسْتَبَقَّتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: أنهم جحدوا بها مع أنهم يتقنوا أنها الحق، فكفروهم عناداً، ولذلك قال فيه: ﴿ظَلَمْنَا﴾، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها «قد».

﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني: تكبراً.

(١) انظر صفحة ٩٦، ولم يذكر هناك معنى الجيب هناك، وإنما ذكر تفسير بقية الآية، وذكر تفسير الجيب في سورة القصص.

(٢) انظر (٢/٨٣٥).

[وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عِلْمَنَّا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَنَازِكَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَمَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ، وَحِشْتُكَ مِنْ سَبِّ ابْنِ بَيْتٍ يُقِينُ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنُنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَٰذَا قَائِلُهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَوَّلَ عَنْهُمْ فَاَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَتَىٰهَا الْمَلَأُوا إِيَّيَ الْفَىٰ إِلَيَّ كَيْتٌ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوهُ مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك.

﴿عِلْمَنَّا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: فُهِمْنَا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها.

﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير

كقولك: فلان يقصده كل أحد.

وقوله: ﴿عُلِمْنَا﴾ ﴿وَأُوتِينَا﴾ يحتمل أن يريد:

نفسه وأباه.

أو نفسه خاصة على وجه التعظيم؛ لأنه كان ملكاً.

﴿وَحِثِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافاً شديداً، تركنا ذكره؛ لعدم صحته.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُكْفَوْنَ ويردُّ أولهم إلى آخرهم، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وَزَعَةٍ يدفعون الناس.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ ظاهر هذا: أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركباناً، حتى خافت منهم النملة.

ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسَّت النملة بنزولهم في وادي النمل.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل حيوان فِطْنٌ، قويُّ الحس، يدَّخر قُوَّتَه، ويقسم الحبة بقسمين؛ لثلاث تنبت، ويقسم حبة الكزُّبر بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قمست على اثنين، ولا فراط إدراكها قالت هذا القول، ورُوي أن سليمان سمعه، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال، وذلك لا يسمعه البشر إلا من خصَّه الله بذلك.

﴿أَنذَلُوهُ﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء.

﴿لَا يَخْطِبَنَّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون:

جواباً للأمر.

أو نهياً بدلاً من الأمر؛ لتقارب المعنى.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى: اعتذار عنهم لو حَطَمُوا النمل؛ أي: لو شعروا بهم لم يَحْطِمُوهم.

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ تَبَسَّمَ لأحد أمرين:

أحدهما: سروره بما أعطاه الله.

والآخر: ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان.

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير؟

ف قيل: ذلك عناية بأمور ملكه.

وقيل: لأن الطير كانت تُظِلُّه، فغاب الهدد فدخلت الشمس عليه من موضعه.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَايِسِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فإنه نظر إلى مكان الهدد فلم يبصره، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ﴾ أي: لا أراه ولعله حاضراً وستره ساتراً، ثم علم أنه غائب فأخبر بذلك.

﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ﴾ روي أن تعذيبه للطير كان بتنف ريشه.

﴿يَسْطَلْنَ بُيُوتَهُنَّ﴾ أي حجة بيته.

﴿فَمَكَّتْ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم.

والفعل يَحْتَمِلُ أن يكون مسندًا :

إلى سليمان عليه السلام .

أو إلى الهدهد، وهو أظهر .

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني : زمانًا قريبًا .

﴿أَحْطْتُ﴾ أي : أحطت علمًا بما لم تعلمه .

﴿مِنْ سَبَأٍ﴾ هي <sup>(١)</sup> قبيلة من العرب، وجدُّهم الذي يُعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وَمَنْ صَرَفَهُ أَرَادَ الْحَيَّ أَوِ الْأَبَ، ومن لم يصرفه أَرَادَ الْقَبِيلَةَ أَوِ الْبَلَدَةَ .

وَقَرَأَ بِالتَّسْكِينِ ؛ لِتَوَالِي الْحَرَكَاتِ .

وعلى القراءة بالتثنية يكون في قوله : ﴿مِنْ سَبَأٍ بَنِيًّا﴾ ضربٌ من أدوات البيان، وهو التسجيع <sup>(٢)</sup> .

﴿وَعَدْتُ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ﴾ المرأة : بلقيس بنت شراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك .

والضمير في ﴿تَلِيكَهُمْ﴾ يعود على سبأ، وهم قومها .

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجه المَلِكُ .

﴿وَلَمَّا عَرَّشُ عَظِيمٌ﴾ يعني : سرير ملكها .

(١) في ج، د : «يعني» .

(٢) في أ، ب، هـ : «التجسيع»، وانظر الباب العاشر من المقدمة الأولى (١/١١٢) .



ووقف بعضهم على ﴿عَرْشٌ﴾، ثم ابتداء ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وَجَدْتُهَا على تقدير: عظيمٌ أَنْ وجدتها وقومها يسجدون للشمس. وهذا خطأ، وإنما حمّله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدد، أو من كلام الله.

وقراه الجمهور بالتشديد، و«أَنْ»:

في موضع نصبٍ على البدل من ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾.

أو في موضع خفض على البدل من ﴿السَّيْلِ﴾.

أو يكون التقدير: «لا يهتدون لأن يسجدوا» فحذف اللام، وزاد «لا».

وقرئ بالتخفيف على أن تكون «أَلَّا» حرف تنبيه، وأن تكون الياء للنداء<sup>(١)</sup>، فيوقف عليها بالالف على تقدير: «يا قوم» ثم يبتدئ: «اسجدوا».

﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ الخبء في اللغة: الخفي:

فقل: معناه هنا: الغيب.

وقيل: يخرج النبات من الأرض.

واللفظ يعُم كل خفي، وبه فسر ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ إلى مكان قريب؛ لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة.

(١) في ج، د: «تكون ياء النداء».

وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، فهو من المقلوب.  
والمعنى الأول أحسن.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سأ: ٣١].  
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ قبل هذا الكلام محذوف، تقديره: فألقى الهدى إليها  
الكتاب فقرأته، ثم جمعت<sup>(١)</sup> أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ.  
﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم:

لأنه من عند سليمان.

أو لأن فيه اسم الله.

أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: «كرم الكتاب ختمه»<sup>(٢)</sup>.

﴿مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ يحتمل أن يكون هذا:

نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان.

وأن يكون من كلامها؛ أخبرتهم أن الكتاب من سليمان.

﴿وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

من الانقياد؛ بمعنى: مستسلمين.

أو يكون من الدخول في الإسلام.

• • •

(١) في أ، ب، هـ: «فجمعت».

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٠٦/٧)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٨/١).

[قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٢٣١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٢٣٢﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٣٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِيتُوهنَّ يَمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنَهُنَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَيْتَهُنَّ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢٣٥﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِثْلِ مَا نَفَعْتُهُمْ وَلَتُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٣٦﴾ قَالِ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ أَيْتِي بِأَيِّ عَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٣٧﴾ قَالِ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَائِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٣٨﴾ قَالِ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَائِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٢٣٩﴾ قَالِ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٢٤١﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٢٤٢﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالِ إِنَّهُمْ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤٣﴾].

﴿أُولُوا قُوَّةً﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ :

قوة الأجساد .

أو قوة الملك والعُدَد والعَدَد<sup>(١)</sup> .

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى ؛ تصديقاً لقولها ، فيوقف على ما

قبله .

(١) هذه الكلمة سقطت من أ ، ج ، د .

أو من كلام بلقيس :

تأكيداً للمعنى الذي أرادته .

أو تعني : كذلك يفعل هؤلاء بنا .

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها : إني أجرب<sup>(١)</sup> هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً دنياوياً : أرضاه المال ، وإن كان نبياً لم يرضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا في دينه ، فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس ، واختصرنا وصفها ؛ لعدم صحته .

﴿أَتُحَدِّثُونَنِي بِمَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِهِ بَصِيرَةٌ﴾ إنكاراً للهدية ؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه .

﴿بَلْ أَنْتُمْ مَكِيدُونَ﴾ أي : أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها ، وأنا لست كذلك .

﴿أَنْزِجْ إِلَيْهِمْ﴾ خطابٌ للرسول .

وقيل : للهدد .

والأول أرجح ؛ لأن قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ مسندٌ إلى الرسول .

﴿لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهَا﴾ أي : لا طاقة لهم بها .

﴿قَالَ بَنَاتِي الْمَلَأُوا أَكْفَأَكُمْ يَأْتِيَنَّيَ عَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل : سليمان ، والملا : جمعه من الجن والإنس .

وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ؛ لأنه وُصف له بعظمة ، فأراد أخذه

(١) في أ ، ب ، هـ : «مجرية» .

قبل أن يُسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: من الدخول في دين الإسلام.

وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه؛ ليُظهر لهم قوته، ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: بمعنى منقادين.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن. ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غُدُوَّةٍ<sup>(١)</sup> إلى الظهر.

وقيل: معناه: قبل أن تستوي من جلوسك قائماً.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصف، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم.

وقيل: هو الحَضِر.

وقيل: هو جبريل.

والأول أشهر.

وقيل: هو سليمان، وهذا بعيد.

﴿إِلَيْكَ بِهِ﴾ في الموضعين: يَحْتَمِلُ أن يكون: فعلاً مستقلاً، أو اسم فاعل.

﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطَّرْف: العين، فالمعنى على هذا: قبل أن

(١) في د: «من الصبح».

تُغْمِضُ بَصْرَكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ .

وقيل : الطرف : تحريك الأجفان إذا نظرت .

﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ ، تقديره : فجاء الذي عنده علمٌ من الكتاب بعرشها .

ومعنى ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ : حاصلًا عنده ، وليس هذا بـ «مستقرٌّ» الذي يقدر النحويون تعلُّقَ المجرورات به ، خلافاً لمن فهم ذلك .

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي : منفعةُ الشكر لنفسه .

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره : تغيير وصفه وستر بعضه .

وقيل : الزيادة فيه والنقص منه .

وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها .

﴿أَنَّهُدَى﴾ يحتمل أن يريد تهتدي :

لمعرفة عرشها .

أو للجواب عنه إذا سئلت .

أو للإيمان .

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان قبلها ، فأمر بتنكيره ، وأن يقال لها : ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ أي : أمثل<sup>(١)</sup> هذا عرشك ؟ (ولم

(١) في ب ، ج : «مثل» .

يقول لها : «أهذا عرشك؟»<sup>(١)</sup> ؛ لثلاث تَفْظُن أنه هو ، فأجابت بقولها : ﴿كَانَهُ مُوًى﴾ جواباً على نحو السؤال ، ولم تقل : «هو هو» ؛ تحرُّزاً من الكذب ، أو من التَّحْقِيق في محل الاحتمال .

﴿وَأَوْتَيْنَا آلِإِسْرَءِيلَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه ، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك ؛ اعترافاً بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس ، وهداهم للإسلام قبلها .

والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره : قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها .

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون :

من كلام سليمان وقومه .

أو من كلام الله تعالى .

ويحتمل أن يكون ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ : فاعلاً ، أو مفعولاً .

فإن كان فاعلاً : فالمعنى : صَدَّهَا ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت .

وإن كان مفعولاً : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى : صَدَّهَا الله أو سليمان عما كانت تعبد من دون الله ، فدخلت في الإسلام .

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ الصَّرْح في اللغة : القصر .

(١) سقط من ب ، هـ

وقيل : صحن الدار .

وروي أن سليمان أمر قبل قدومها ، فُبني<sup>(١)</sup> له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيض ، وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دوابَّ البحر من السمك وغيره ، ووضع سريره في صدره فجلس عليه ، فلما رآته حسبته لجةً ، واللجة : الماء المجتمع كالبحر ، فكشفت عن ساقها ؛ لتدخله لما أمرت بدخوله .

وروي أن الجن كرهوا تزوّج سليمان لها ، فقالوا له : إن عقلها مخبولٌ ، وإن رجلها كحافر الحمار ، فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدتها عاقلة ، واختبر ساقها بالصرح ، فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقاً ، فتزوجها وأقرّها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة في كل شهر .

وقيل : أسكنها معه بالشام .

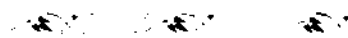
﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنّت أن الصرح لجة ماء فكشفت<sup>(٢)</sup> عن ساقها لتدخل الماء ؛ قال لها سليمان : إنه صرخٌ .

والممرّد : الأملس ، وقيل : الطويل .

والقوارير : جمع قارورة ، وهي الزجاجاة .

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني : بكفرتها فيما تقدّم .

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ هذا ضربٌ من ضروب التجنيس .



(١) في د : «أن يبني» .

(٢) في ج ، د : «وكشفت» .



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْسِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٣﴾ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّكَ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَنقُوَنَّ لَوْلِيَهُ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ ﴿٤٦﴾ أَنَا دَرَسْتُكُمْ وَقَوْمَهُمْ أَتَمِّعِينَ ﴿٤٧﴾ فَبِئْسَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٤٨﴾ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٠﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٢﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَخْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ فَدَرَسْنَاهَا مِنَ الْغَيْبِ ﴿٥٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٥﴾].

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان: من آمن ومن كفر، واختصامهم: اختلافهم وجدالهم في الدين.

﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لم تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة.

﴿قَالُوا أَطِيعْنَا بِكَ﴾ أي: نشاء منا بك، وكانوا قد أصابهم القحط.

﴿قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم هو عند الله، وهو قضاؤه وقدره، وذلك رد عليهم في تطيبرهم، ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح ﴿صالح﴾.

﴿وَكَاكَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني : مدينة ثمود .

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل : إنهم كانوا يُقرضون الدنانير والدراهم .

ولفظ الفساد أعمُّ من ذلك .

﴿نَقَّاسُمُوا بِاللَّهِ﴾ أي : احلفوا <sup>(١)</sup> به .

وقيل : إنه فعل ماضٍ ، وذلك ضعيف ، والصحيح : أنه فعل أمرٍ ، قاله بعضهم لبعض ، وتعاقدوا عليه .

﴿لَنَبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي : لنقتلنه وأهله بالليل ، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه .

﴿لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي : نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه .

﴿وَمَهْلِكَ﴾ يحتمل أن يكون : اسم مصدرٍ ، أو زمانٍ ، أو مكانٍ .

فإن قيل : إن قولهم : ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ يقتضي التبري من دم أهله ، دون التبري من دمه .

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أنهم أرادوا : ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه ؛ لدلالة قولهم : ﴿لَنَبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ .

والثاني : أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم ؛ لقوله : ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني : فرعون وقومه .

(١) في أ ، ب ، هـ : «حلفوا» .

الثالث: أنهم قالوا: ﴿مُهْلِكٌ أَهْلُهُ﴾ خاصة؛ ليكونوا صادقين، فإنهم<sup>(١)</sup> شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وأرادوا التعريض في كلامهم؛ لئلا يكذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يحتمل أن يكون قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:

مغالطة، مع اعتقادهم أنهم كاذبون.

ويحتمل أنهم قصدوا وجهًا من التعريض؛ ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن ﴿مُهْلِكٌ أَهْلُهُ﴾، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولون: ما شهدنا مهلك أهله وحدهم، وإننا لصادقون في ذلك،<sup>(٢)</sup> يعنون: لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وعلى ذلك حملة الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلاً في غار قريباً من داره؛ ليخرجوا منه<sup>(٤)</sup> إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرة أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به.

﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية.

(١) في أ، ب، هـ: «بأنهم».

(٢) في أ، ب، ج زيادة: «بل»!

(٣) الكشف (١١/٥٤٣).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

وقيل : تبصرون بأبصاركم ؛ لأنهم كانوا ينكشفون بفعل<sup>(١)</sup> ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض .

وقيل : تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب .  
﴿يَنْظُرُونَ﴾ و﴿الْفَارِينَ﴾ و﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ قد ذُكر<sup>(٢)</sup> .



(١) في ج ، د : «لفعل» .

(٢) انظر (٢/٣٦٣) .

[قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَكَائُوا يُرْهَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾] .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا ؛ لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من عباده ، كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك ، تيمناً بذكر الله .

قال ابن عباس : يعني بـ ﴿عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ : الصحابة .

واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين .

﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الرد على المشركين ، فدخلت ﴿خَيْرٌ﴾ التي يراد بها التفضيل ؛ لتبكيهم وتعنيفهم ، مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوه أصلاً ، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات

والأرض، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ على وجه التقرير لهم، على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضًا نِعَمٌ يجب شكرها، فقامت (الحجة عليهم)<sup>(١)</sup> بذلك أيضًا.

و«أم» في قوله: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ متصلة عاطفة، و«أم» في المواضع التي بعده منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب.

أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عديلاً ومثيلاً.

﴿رُؤَسَى﴾ يعني: الجبال.

﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»<sup>(٢)</sup>.

﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود.

وقيل: الذي لا حول له ولا قوة.

واللفظ مشتقٌ:

من الضَّرُّ؛ أي: الذي أصابه الضَّرُّ.

أو من الضرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء.

﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها يتوارثون<sup>(٣)</sup> سكنها.

(١) سقطت من أ، ب.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) في د: «تتوارثون».

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يعني: الهداية بالنجوم والطرق.

﴿نُشْرًا﴾ دُكِرَ في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات.

﴿هَآتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد

الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله»، ثم قرأت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته.

فالجواب: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إني لا أعلم»<sup>(٣)</sup> إلا ما علمني الله»<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكُفَّان والمنجِّمين، وأشباههم بالأمور المغيبة؟

فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظنٍّ ضعيفٍ أو عن وهمٍ لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفْي العلم.

وقد قيل: إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة؛ لأن سبب

(١) انظر (٢/٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) في أ، ب زيادة: «الغيب»، ولم ترد في الحديث.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٣٢).

نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فعلى هذا: يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمها إلا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلًا، ويكون ما بعد «إلا» من جنس ما قبلها؟، والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما؛ فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟  
فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل؛ وإن كان منقطعًا، كقولهم: «ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ» بالرفع، والحمار ليس من الأحدين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز، لا بلغة بني تميم.

والثاني: أن الله في السموات والأرض بعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقعت فيه لفظة «في» الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).



استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين .

**الجواب الثالث:** أن قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يراد به: كل موجود، فكأنه قال: «من في الوجود»، فيكون الاستثناء على هذا متصلًا، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جريًا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه .

**الجواب الرابع:** أن يكون الاستثناء متصلًا، على أن يُتَأَوَّلَ ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ في حق الله كما يتأول قوله: ﴿وَمَنْ آمَنُوا مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] وحديث السوداء<sup>(١)</sup> وشبه ذلك<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه أحمد (٧٩٠٦) من حديث أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها»، وأخرجه مسلم (٥٣٧) في ضمن حديث طويل من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق» إلخ، أقول: بنى المؤلف على قوله: (إن الله ليس ممن في السماوات باتفاق) أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ منقطع، وهو يقتضي نصب الاسم الشريف، والقراءة بالرفع، وذكر عن هذا الإشكال أربعة أجوبة، وليس مقصودنا في هذه التعليقات التعقبات اللغوية، بل التعقبات العقيدية، لكن قوله في الجواب الأول من الأجوبة الأربعة: «إن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم» لا يسلم له على الإطلاق، بل هذا باعتبار الأغلب، ومما جاء في القرآن على لغة تميم إدغام المضعف المجزوم في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾، كما نقله السيوطي في الإتقان عن ابن مالك، وعلى لغة تميم أيضًا قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ثَمَلٌ عَلَيْهِ﴾، من أملى لا من أملل، كما في التفسير البسيط للواحدي وغيره .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعر من في السموات والأرض متى يبعثون؛ لأنَّ عِلْمَ الساعة مما انفرد به الله.

وروي أن سبب نزول الآية أن قريشاً سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟  
﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وزن ﴿أَدْرَاكَ﴾: تفاعل، ثم سُكِّنَت التاء وأدغمت الدال واجتلبت ألف الوصل.

والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها.  
أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها.

= والذي يهمننا هنا قوله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق»، يريد باتفاق المثبتين للعلو والنافين له، وهم من عبَّر عنهم بالمثبتين للجهة والنافين؛ فإنهم جميعاً يقولون: إنه تعالى ليس داخل العالم، فالمثبتون للعلو يقولون: إنه تعالى فوق العالم على العرش، ونفاة العلو يقولون: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم، وهم من عبَّر عنهم بنفاة الجهة، يقول: «والقائلون بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخل فيهما، ولا خارجاً عنهما»، فعلى كلا القولين: فالله ليس في السماء ولا في الأرض، وهذا معنى قوله «باتفاق». والحق أنه تعالى فوق سماواته على عرشه، وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة، ويقابل ذلك قولان باطلان:

أحدهما: أنه تعالى داخل في المخلوقات، أي: إنه تعالى حالٌّ فيها، فهو في كل مكان. الثاني: أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، وكلا القولين باطل، والثاني أبطل؛ فإنه مع مناقضته للسمع مناقضٌ للعقل أظهر مناقضة؛ فإن من الممتنع أن يكون موجودٌ لا داخل العالم ولا خارجه، فإن ذلك من سلب النقيضين الذي لا يصح إلا في المعدوم، فإذا أضيف إلى ذلك أنه موجود تضمن أنه موجودٌ معدومٌ، وهذا جمعٌ بين النقيضين، الذي هو أحد الممتنعات، والقول بنفي الجهة وما تفرع عنه هو المشهور من مذهب الأشاعرة.

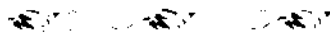
وقرئ ﴿أَذْرَكَ﴾ بهمزة قطع على وزن: أَفْعَلَ، والمعنى على هذا: يُذْرِكُ علمُهم في الآخرة؛ أي: يعلمون فيها الحق؛ لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق.

فقوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾:

على هذا: ظرفٌ.

وعلى القراءة الأولى: بمعنى الباء.

﴿عَمُونَ﴾ جمع عَمٍ، وهو من عمى القلوب.



[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا ابْنًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُتَمَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِنَّ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٩٢﴾].

﴿رَدِفٌ لَّكُمْ﴾ أي: تَبَعَكُمْ، واللام زائدة.

أو ضَمَّنَ معنى «قَرَّبَ»؛ فتعدَّى باللام.

ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتلهم يوم بدر.

﴿غَائِبَةٍ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيء في غاية الخفاء، إلا وهو عند الله في كتاب.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَ﴾ شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى؛ في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصَّم وبالعُمى؛ وإن كانوا صِحاح الحواس، وأكد عدم سماعهم بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ لأن الأصم إذا أدبر وبعُد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا حان وقت عذابهم الذي تضمَّنه القول الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه<sup>(١)</sup>، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «إذا حان وقت عذابهم» إلخ، أقول: في تفسير وقوع القول بقرب وقت العذاب نظر؛ والأظهر أن قوله: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق القول عليهم، وهو حكم الله بأنهم لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧)، ولا ريب أن ما حق عليهم من القول بأنهم لا يؤمنون هي كلمته تعالى القدريّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْذِّبْنَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ (١٢) إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنصُورُونَ (١٣) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَكُمُ الْفَائِزُونَ (١٤)، فمعنى وقع القول عليهم، أي: وقع عليهم موجب كلمته تعالى السابقة في الحكم بأنهم لا يؤمنون، فهذه كلماته الكونية سبقت لقوم في الشقاوة ولقوم بالسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْذِّبْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٥)، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ مَكَانٍ رَّبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَيِّنٍ يَنصُرُهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ (١٦) الآية. وقول المؤلف «القول الأزلي من الله» الأزلي هو الذي لا بداية له، وهذا يجري على قول الأشاعرة إن كلام الله قديم بقدمه سبحانه؛ لأن كلام الله عندهم لا تتعلق به المشيئة، ولا ريب أن كلماته القدريّة صادرة عن إرادته تعالى، وما كان بإرادة يمتنع أن يكون أزلياً، وكلماته تعالى التي أخبر أنها سبقت يحتمل أن تكون عند كتابة المقادير في أم الكتاب، والله أعلم.

وخروج الدابة من أشراط الساعة، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا.

وأن طولها ستون ذراعاً.

وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث<sup>(١)</sup>.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام.

وقيل: تقول: «ألا لعنة الله على الظالمين».

وروي أنها تسم<sup>(٢)</sup> الكافر وتخطم<sup>(٣)</sup> أنفه وتسود وجهه، وتبيض وجه المؤمن.

﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة: فهو ابتداء كلام.

ومن قرأ بالفتح:

فهو معمول ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام.

(١) حديث الجساسة أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) في ج، د: «تسمن».

(٣) تخطم أنف الكافر: أي: تسمه، من خطمت البعير، إذا كويته خطاً من الأنف إلى أحد خدييه، وتسمى تلك السمة الخطام. النهاية لابن الأثير (١٢٠٨/٣).

وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾:

(أي: لا يوقنون)<sup>(١)</sup> بخروج الدابة.

أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر.

❦ ❦ ❦

---

(١) سقطت من أ، ب، ج، هـ

[وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآدًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٩٠﴾ وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَائِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَنْ نَرَىٰ شَيْءًا إِلَّا فِي سَعَةٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةُ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٥﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْبِحُكُمْ ءَابِيَهُمْ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف.

﴿أَمَآدًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «أم» استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل<sup>(١)</sup> لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فها توها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق العذاب عليهم، أو قامت الحجة عليهم.

﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم.

وهذا في بعض مواطن القيامة<sup>(٢)</sup>، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن أخر<sup>(٣)</sup>.

(١) في د: «قال».

(٢) في هـ زيادة: «دون بعض».

(٣) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، هـ.



﴿لَيْسَ كُنُوزًا فِيهِ﴾ ذُكِرَ فِي «يُونُس»<sup>(١)</sup> .  
 ﴿يُفْتَحُ فِي الصُّورِ﴾ ذُكِرَ فِي «الْكَهْف»<sup>(٢)</sup> .  
 ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قِيلَ : هُمُ الشَّهَدَاءُ .  
 وَقِيلَ : جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلِكُ الْمَوْتِ .  
 ﴿دَٰخِرِينَ﴾ صَاغِرِينَ مُتَذَلِّلِينَ .  
 ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ أَيِ : قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ .  
 ﴿وَهِيَ تَمُوتُ﴾ يَكُونُ مَرُورُهَا فِي أَوَّلِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَنْسِفُهَا اللَّهُ فِي  
 خِلَالِ ذَلِكَ فَتَكُونُ كَالْعِهْنِ ، ثُمَّ تَصِيرُ هَبَاءً مُنْبَثًا .  
 ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مُصَدَّرٌ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَحْذُوفٌ .  
 وَقِيلَ : هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ : أَيِ : انْظُرُوا صَنِعَ اللَّهِ .  
 ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قِيلَ : إِنْ الْحَسَنَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .  
 وَاللَّفْظُ عَامٌ .  
 وَمَعْنَى : ﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾ : أَنْ لَهُ بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرًا .  
 ﴿مَنْ قَرَعَ يَوْمَئِذٍ﴾ مَنْ نَوَّنَ ﴿قَرَعَ﴾ : فَتَحَ الْمِيمَ مِنْ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ .  
 وَمَنْ أَسْقَطَ التَّنْوِينَ لِلإِضَافَةِ قَرَأَ :  
 بِفَتْحِ الْمِيمِ عَلَى الْبِنَاءِ .

(١) انظر (٢/٥٨٨) .

(٢) انظر صفحة ٥٥ .

أو بكسرهما على الإعراب .

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ السيئة هنا : الكفر ، والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها .

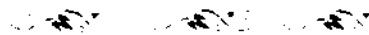
﴿هَذِهِ الْبَلَدَةَ﴾ يعني : مكة .

﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي : جعلها حرماً آمناً ، لا يُقاتِلها أحدٌ ، ولا تُنتهك حرمتها .

ونسب تحريمها هنا إلى الله ؛ لأنه بقضائه وأمره ، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله : «إن إبراهيم حرّم مكة»<sup>(١)</sup> ؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الآية والحديث تعارض ، وقد جاء في حديث آخر : «إن مكة حرّمها الله يوم خلق السموات والأرض»<sup>(٢)</sup> .

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي : إنما عليّ الإنذار والتبليغ .

﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ وعيدٌ بالعذاب الذي يضطرّهم إلى معرفة آيات الله ، إما في الدنيا أو في الآخرة .



(١) أخرجه البخاري (٢١٢٩) ، ومسلم (١٣٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤) ، ومسلم (١٣٥٤) .

## ﴿سورة القصص﴾

[طسـ ١] تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٣ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٤ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ٥ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَاكْلُيهِ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٦ فَالْفَقْطَةُ ٧ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ٨ وَقَالَتْ أُمُّرَاتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٩ وَأَصْبَحَ قُودًا أُمُّ مُوسَىٰ قَرْعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١١ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣].

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبر وطغا.

﴿شِيْعًا﴾ أي: فرقا مختلفين، فجعل فرعون القبط ملوكا وبني إسرائيل

خُدَّامًا لَهُمْ، وَهُمْ الطَّاغُوتُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفَهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ  
وَيَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً؛ أَي: وَلَاةً فِي الْأَرْضِ، وَيُورِثَهُمْ أَرْضَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.  
﴿وَهَمَّنَنَّا﴾ هُوَ وَزِيرُ فِرْعَوْنَ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى﴾ اخْتَلَفَ هَلْ كَانَ هَذَا الْوَحْيُ:

بِالْهَامِ؟

أَوْ مَنَامٍ؟

أَوْ كَلَامٍ بِوَسْطَةِ مَلَكٍ؟، وَهَذَا أَظْهَرُ؛ لِثَقَاتِهَا بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهَا وَامْتِثَالِهَا مَا  
أَمَرَ بِهِ.

﴿فَإِذَا خِيفَ عَلَيْهِ﴾ أَي: إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَهُ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ  
أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا أَخْبَرَهُ الْكَهَانُ أَنْ هَلَكَ عَلَى يَدَيْ غَلَامٍ مِنْهُمْ.

﴿فَالْقَظَّةُ﴾ مَالٌ فِرْعَوْنُ ﴿الْإِلْتِقَاطُ﴾: الْإِلْقَاءُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، رُوي أَنَّ آسِيَةَ  
امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ رَأَتْ التَّابُوتَ فِي الْبَحْرِ، وَهُوَ النَّيْلُ، فَأَمَرَتْ أَنْ يُسَاقَ لَهَا،  
فَفَتَحَتْهُ فَوَجَدَتْ فِيهِ صَبِيًّا فَأَحَبَّتْهُ، وَقَالَتْ لِفِرْعَوْنَ: هَذَا قَرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللَّامُ الْعَاقِبَةُ، وَتُسَمَّى أَيْضًا لَامَ الصَّيْرُورَةِ.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ رُوي: أَنَّ فِرْعَوْنَ هَمَّ بِذْبَحِهِ؛ إِذْ تَوَسَّسَ<sup>(١)</sup> أَنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: لَا تَقْتُلُوهُ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ هَلَكَتْهُمُ عَلَى يَدَيْهِ.

(١) فِي ج، د: «تَوَسَّسَ».

والضمير الفاعل لفرعون وقومه .

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَىٰ فَزَعًا﴾ أي : ذاهلاً لا عقل معها .

وقيل : فارغاً من الصبر .

وقيل : فارغاً من كل شيء إلا من هم موسى .

وقيل : فارغاً من وعد الله ؛ أي : نسيته ما أوحى إليها .

وقيل : فارغاً من الحزن ؛ إذ لم يغرق ، وهذا بعيد ؛ لما بعده .

وقرئ «فَزَعًا»<sup>(١)</sup> - بالزاي - ، من الفَزَع .

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي : تظهر أمره ، وفي الحديث : «كادت

أم موسى أن تقول : «وَا ابْنَاهُ!» ، وتخرج صائحة على وجهها»<sup>(٢)</sup> .

﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي : رزقناها الصبر .

﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله .

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي : اتبعيه ، والقَصُّ : طلب الأثر ، فخرجت

أخته تبحث عنه في خفية .

﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ أي : رآته من بعيد ، لم تقرب منه ؛ لئلا يعلموا أنها

أخته .

وقيل : معنى ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ : عن شوق إليه .

(١) في ج ، د : «فازعاً» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وابن أبي حاتم (٢٩٤٧ / ٩) والثعلبي في تفسيره

(٢٣٨ / ٧) موقوفاً على ابن عباس ، وليس فيه : «وتخرج صائحة على وجهها» .

وقيل : معناه : أنها نظرت إليه ، كأنها لا تريده .

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي : لا يشعرون أنها أخته .

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي : مُنِعَ منها ؛ بأن بَعْضَها الله له .

و﴿الْمَرَاضِعَ﴾ :

جمع مُرْضِع ، وهي المرأة التي تُرْضِع .

أو جمع مَرَضِع -بفتح الميم والضاد- ، وهو موضع الرَضاع ، يعني : الثدي .

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من أول مرة .

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة : أخته تخاطب آل فرعون .

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآية ، جاءت بأمه ، فقبلَ ثديها ، فقال لها فرعون : ومن أنت منه ؛

فما قبلَ ثدي امرأة إلا ثديك؟ (فقالت : إني)<sup>(١)</sup> امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به

إلى بيتها ، وقرَّت عينها بذلك ، وعلمت أن وعد الله حقٌّ في قوله : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ

إِلَيْكَ﴾ .



(١) في ج : «أنت» .

[﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وَأَسْتَوَىٰ ءَابَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٧﴾ وَدَخَلَ  
 الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا مِنْ  
 عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّتِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ  
 عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ  
 إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ  
 ﴿١٠﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ  
 إِنَّكَ لَمَعُوذٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ بِمُوسَىٰ أُتِرِدُ أَنْ  
 تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ  
 الْمَصْلُوحِينَ ﴿١٢﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ بِمُوسَىٰ إِنَّكَ الْأَمْلَأُ بِاتِّمُرُونَ بِكَ  
 لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٣﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ  
 الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾].

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في «يوسف»<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر.

وقيل: قرية حولها.

والأول أشهر.

﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ قيل: في القائلة.

وقيل: بين العشاءين.

وقيل : يوم عيد .

وقيل : كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفياً متخوفاً .

﴿هَذَا مِنْ شِيعِهِ﴾ الذي من شيعته : من بني إسرائيل ، والذي من عدوه : من القبط .

﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ أي : ضربه ، والوَكَز : الدفع بأطراف الأصابع .

وقيل : بجمع <sup>(١)</sup> الكف .

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي : قتله ، ولم يرد أن يقتله ، ولكن وافقت وكثرته الأجل ، فندم وقال : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي : إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له .

فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟

فالجواب : أنه لم يؤذن له في قتله ، ولذلك يقول يوم القيامة : «إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها» .

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ٧ ﴿الظَّهِير : المعين ، والباء سببية ، والمعنى : بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه .

وقيل : الباء باء القسم ، وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿فَلَن أَكُونَ﴾ لا يصلح <sup>(٢)</sup> لجواب القسم .

(١) في ج ، د ، هـ : «بجميع» ، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٢ / ٢٤) .

(٢) في ب ، ج : «لا يصح» .



وقيل : جواب القسم محذوف ، تقديره : وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

وقيل : الباء للتحليف ؛ أي : اعصمني بحق نعمتك علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

ويُحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور .

﴿بَرَقَبُ﴾ في الموضعين : أي : يتحسس هل يطلبه أحد .

﴿يَسْتَصْرِحُهُ﴾ أي : يستغيث به ، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط ، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس ، فعظم ذلك على موسى وقال له : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ وفي ﴿يَبْطِشَ﴾ : لموسى ، وفي ﴿قَالَ﴾ : للإسرائيلي .

والمعنى : لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به ؛ إذ قال له : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ، فقال الإسرائيلي لموسى : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ؟

وقيل : الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ للإسرائيلي ، والمعنى : فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ، ولم يفعل موسى ذلك ؛ لندامته على قتله للآخر بالأمس = فضحه الإسرائيلي ؛ فقال له : أتريد أن تقتلني ؟ ، فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون .

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قيل : إنه مؤمن آل فرعون .

وقيل : غيره .

﴿يَسْعَى﴾ أي : يسرع في مشيه ؛ لِيُدرِكَ موسى فينصحه .

﴿إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون .

وقيل : يأمر بعضهم بعضًا بقتلك ، كما قتلت القبطي .



[وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنُ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ اسْتِفْجَارُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنْ اسْتَنْجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصد بوجهه ناحية مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام.

﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق، يعني: طريق مدين؛ إذ كان قد خرج فاراً بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام.

وقيل: أراد: سبيل الهدى.

وهذا أظهر.

ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئراً.

﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيهم.

﴿أَمْرَاتَيْنِ﴾ روي: أن اسمهما: ليا وصَفُورِيا.

وقيل: صفراء وصُفَّيراء.

﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنهما.

وقيل: تذودان غنهما عن الماء حتى يسقي<sup>(١)</sup> الناس، وهذا أظهر؛ لقولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: كانت عادتهما أن لا يسقيا غنهما إلا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم<sup>(٢)</sup> مع الناس.

﴿يُصْدِرُ﴾ بضم الياء وكسر الدال: فعل متعدّد، والمفعول محذوف، تقديره: حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ مواشيهم.

وقرئ بفتح الياء وضم الدال، أي: ينصرفون عن الماء.

﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ: هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور.

وقيل: ابن أخيه.

وقيل: رجل صالح ليس من شعيب بنسب.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أدركته شفقةٌ عليهما فسقى غنهما.

وروي أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلاً، فرفعها وحده.

(١) في أ، ب، هـ: «يسقوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «للتزاحم».

﴿نَوَلَّكَ إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظلَّ سَمُرَةٍ.  
 ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتدَّ عليه الجوع.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ قَبْلَ هَذَا الْكَلَامِ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَذَهَبْنَا إِلَى أَبِيهِمَا سَرِيعَتَيْنِ، وَكَانَتْ عَادَتُهُمَا الْإِبْطَاءُ فِي السَّقْيِ، فَأَخْبَرَتْهُمَا بِمَا كَانَ مِنْ سَقْيِ الرَّجُلِ لَهُمَا، فَأَمَرَ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَدْعُوهُ لَهُ فَجَاءَتْهُ، وَاخْتَلَفَ هَلِ الَّتِي جَاءَتْهُ الصَّغْرَى أَوِ الْكُبْرَى؟

﴿عَلَى أَسْتَحْيَا﴾ رُوي: أَنَّهَا سَتَرَتْ وَجْهَهَا بِكُمِّ دِرْعِهَا.

وَالْمَجْرُورُ يَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهُ.

وَقِيلَ: بِمَا بَعْدَهُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذَكَرَ لَهُ قِصَّتَهُ.

﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قَدْ نَجَّوْتَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ لِأَنَّ بَلَدَ مَدْيَنَ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَلِكِ فِرْعَوْنَ.

﴿أَسْتَجِرُّكَ﴾ أي: اجْعَلْهُ أَجِيرًا لَكَ.

﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هَذَا الْكَلَامُ حِكْمَةٌ جَامِعَةٌ بَلِغَةٌ، وَرُوي أَنَّ أَبَاهَا قَالَ لَهَا: مَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ قُوَّتَهُ وَأَمَانَتَهُ؟، قَالَتْ: أَمَا قُوَّتُهُ: فَفِي رَفْعِهِ الْحَجَرِ مِنْ فَمِ الْبُئْرِ، وَأَمَا أَمَانَتُهُ: فَإِنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْمَلَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زَوْجَهُ الَّتِي دَعَتْهُ، وَاخْتَلَفَ هَلِ زَوْجُهُ الْكُبْرَى أَوِ الصَّغْرَى؟

واسم التي زوجه صفورة، وقيل: صفوريا.

ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: «أنكحه إياها» أكثر من أن يقال: «أنكحها إياه».

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجًا﴾ أي: أزوجه بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام.

قال مكِّي: في هذه الآية خصائص في النكاح، منها: أنه لم يعين الزوجة، ولا حد أول الأمد، وجعل المهر إجارة<sup>(١)</sup>.

قلت: فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المرافضة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة<sup>(٢)</sup>.

وأما ذكر أول الأمد؛ فالظاهر أنه من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة؛ فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتكها على ما معك من القرآن»<sup>(٣)</sup>؛ أي: على أن تعلمها ما عندك<sup>(٤)</sup> من القرآن.

وقد أجاز النكاح بالإجارة: الشافعي، وابن حنبل، وابن حبيب؛ للآية والحديث.

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (٥٥٢٢/٨).

(٢) الكشف (٤٠/١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).

(٤) في أ، ب: «معك».

ومنع مالك .

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطاً ، ووكل العامنين إلى مروءة موسى ، فوقى له العشر .

وقيل : وقى العشر وعشراً بعدها ، وهذا ضعيف ؛ لقوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ أي : الأجل المذكور .

[فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۖ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٢١﴾ أَسْلَفَ بِدَلِكِ فِي جَبِّكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَاثِمَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَلِكَ بُرْهَانُ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِآيَاتِهَا أَلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمُنُّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغِيرُ الْحَقَّ وَطَنُوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُذَكِّرُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٣١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٣٢﴾].

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ الأهل هنا : الزوجة ، مشى بها إلى مصر .

﴿جَذْوَةٍ﴾ أي : قطعة ، ويجوز كسر الجيم وفتحها وضمها .



وقد ذُكر ﴿ءَأَنسَ﴾، و﴿أَطْوَرَ﴾، و﴿تَصْطَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿شَطِطِي الْوَادِ﴾ جانبه، و﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفةٌ للشاطئ، وهو جانبه اليمين.

ويَحتمل أن يكون من اليُمْن؛ فيكون صفةً للوادي.

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عَوْسجة.

﴿جَانٌّ﴾ ذُكر في «النمل»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: أدخلها فيه، والجيب: هو فتح الجُبة من حيث يُخرج الإنسان رأسه.

﴿وَأَضْمْتُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح: اليد، أو الإبط و<sup>(٣)</sup> العَضْد.

أمره الله لما خاف من الحية أن يضمَّه إلى جنبه ليخفَّ بذلك خوفه؛ فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعِه أن يخفَّ خوفه.

وقيل: ذلك على وجه المجاز، وأن المعنى: أنه أمر بالعزم على ما أمر به؛ كقولهم: «اشدُّ حيازِمَكَ، واربطْ جَأَشَكَ».

﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ أي: من أجل الرَّهْب؛ وهو الخوف.

وفيه ثلاثة لغات: فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء.

﴿فَلَا يَنُوكَ بُرْهَنَانِ﴾ أي: حُجَّتَانِ، والإشارة إلى العصا واليد.

(١) انظر الصفحات ٧٦، ٩٢، ٣٨٩.

(٢) انظر صفحة ٣٩٠.

(٣) في د: «و».

﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ﴾ يتعلّق بفعل محذوف يقتضيه الكلام.

﴿رَدًّا﴾ أي: مُعِينًا، وقرئ:

بالحمز.

وبغير همز:

على التسهيل من المهموز.

أو يكون من: أَرَدَيْتُ؛ أي: زدْتُ.

﴿سَنُذِّعْضِدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة.

﴿بِأَيِّدِنَا﴾ يحتمل أن يتعلّق:

بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ﴾.

أو بـ ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾.

أو بـ ﴿الْفَالِغُونَ﴾.

﴿فَأَوْفِدَ لِي بُنْهَمْنَ عَلَى الْطَّلِينِ﴾ أي: اصنع الآجُرَّ؛ لبنيان الصرح الذي رام

أن يصعد منه إلى السماء.

وروي أنه أول من عمل الآجُرَّ، وكان هامان وزير فرعون.

وانظر<sup>(١)</sup> ضعف عقولهما وعقول قومهما، وجهلهم بالله تعالى في كونهم

طمعوا أن يصلوا إلى السماء بينان الصرح.

(١) في ج زيادة: «كيف».

وقد روي أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع إليه<sup>(١)</sup> مخضوباً<sup>(٢)</sup> بدم، وذلك فتنة له ولقومه وتهكُّم بهم.

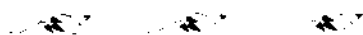
ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني: في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل: أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين.

﴿أَيُّمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار.

﴿مِنَ الْمُقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين.

وقيل: قُبِحَتْ وجوههم.

وقيل: قُبِحَ ما يفعل بهم وما يقال لهم.



(١) في أ، ب، هـ: «السهم».

(٢) في ج: «مخضَّباً».

[وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّنَ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْل مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّكَاظِمُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكِتَابِ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾] .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والمراد به : إقامة حجة؛ لإخباره بحال موسى، وهو لم يحضره.

و﴿الْغَرْبِيِّ﴾ : المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلم الله فيه موسى.

والأمر المقضي إلى موسى هو النبوة.

و﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ معناه : من الحاضرين هنالك .

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ المعنى : لم تحضريا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك .

وقيل : المعنى : لكننا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر ، وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل .

﴿ثَاوِيًا﴾ أي : مقيمًا .

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني : تكليم موسى ، والمراد بذلك : إقامة حجة محمد ﷺ ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ .

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً﴾ انتصب :

على المصدر .

أو على أنه مفعول من أجله ، والتقدير : ولكن أرسلناك رحمةً منا لك <sup>(١)</sup> و <sup>(٢)</sup> رحمةً للخلق بك .

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ «لولا» هنا : حرف امتناع ، و«لولا» الثانية : عَرْضٌ وتحضيضٌ .

والمعنى : لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لثلا يقولوا : ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني : القرآن ونبوة محمد ﷺ .

﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أُوفِيَٰ مُوسَىٰ﴾ يعنون : إنزال الكتاب عليه من السماء جملةً واحدة ، وقلَّب العصا حية ، وقلَّق البحر ، وشبه ذلك .

(١) في أ ، ب ، هـ : «بك» .

(٢) في د : «أو» .

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ هذا ردُّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى : أنهم كفروا بما أُوتِيَ موسى ؛ فلو آتينا محمداً مثل ذلك لكفروا به ، و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ على هذا يتعلّق بقوله : ﴿أُوتِيَ مُوسَى﴾ .

ويَحتمل أن يتعلّق بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل .  
والأول أحسن .

﴿قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ نَازِلٌ﴾ يعنون : موسى وهارون ، أو موسى ومحمداً ﷺ .

والضمير في ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾ : لكفار قريش .

وقيل : لأبائهم .

وقيل : لليهود .

والأول أصح ؛ لأنهم المقصودون بالردِّ عليهم .

﴿فَأَتَوْا بِكِتَابٍ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز لهم .

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ .

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ قد علّم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبداً ، ولكنه ذكره بحرف «إِنْ» مبالغةً في إقامة الحجة عليهم ، كقوله : ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة : ٢٤] .

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ المعنى : إن لم يأتوا بكتابٍ فاعلم أن كفرهم عنادٌ واتباعٌ لأهوائهم ، لا بحجة ولا برهان .

[ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥١) الَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢) وَإِذَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا بِنَعْيِ الْجَنَّةِ الْغَابِغِينَ ﴾ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ أَهْلَدَى مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُشْكِنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (٥٩) وَمَا أُوْتِشِرَ مِنْ شَيْءٍ فَسَمِعَ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٠) ] .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ الضمير لكفار قريش .

وقيل : لليهود .

والأول أظهر ؛ لأن الكلام من أوله معهم .

و ﴿ الْقَوْلَ ﴾ هنا : القرآن ، و ﴿ وَصَّلْنَا لَهُمُ ﴾ :

أبلغناه<sup>(١)</sup> لهم ؛ ليتذكروا به .

أو جعلناه موصولاً ببعضه ببعض .

﴿ الَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ يعني : مَنْ أسلم من اليهود .

(١) في أ، ب، هـ : «بلغناه» .

وقيل : النجاشي وقومه .

وقيل : نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة ، وهم  
عشرون رجلاً ، فأمنوا به .

والضمير في ﴿ قَبْلَهُ ﴾ للقرآن .

وقولهم : ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ ﴾ تعليل لإيمانهم .

وقولهم : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ بيان لأن إسلامهم قديم ؛ لأنهم وجدوا  
ذكر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يُبعث .

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة يُؤتون أجرهم  
مرتين : رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ ، ورجلٌ مملوكٌ  
أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ كانت له أمةٌ فأعتقها وتزوّجها»<sup>(١)</sup> .

﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ يعني : صَبَرَهُمْ على إذاية قومهم لهم لما أسلموا ، أو غير  
ذلك من أنواع الصبر .

﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ ﴾ أي : يدفعون .

ويَحْتَمَلُ أن يريد بالسيئة : ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة : ما  
يجابون به من الكلام الحسن .

أو يريد : سيئات أعمالهم وحسناتها<sup>(٢)</sup> ، كقوله : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
السَّيِّئَاتِ ﴾ [مرد : ١١٤] .

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «وحسناتهم» .



﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني : ساقط الكلام .

﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ هذا على وجه التبرّي والبعد من القائلين للغو .

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا : المتاركة والمباعدة ، لا التحية .

أو كأنه سلام الانصراف والبعد .

﴿لَا تَنْبَغِي الْجَنِّهِلِينَ﴾ أي : لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام .

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب ؛ إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته : « لا إله إلا الله » ، فقال : « لولا أن يعيّرني بها قريش لأقررتُ بها عينك »<sup>(١)</sup> ، ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه .

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لفظ عام .

وقيل : أراد به : العباس بن عبد المطلب .

﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ القائلون لذلك : قريش ، وروى أن الذي قالها منهم : الحارث بن عامر بن نوفل .

﴿وَالْهُدَى﴾ هو الإسلام ، ومعناه : الهدى على زعمك .

وقيل : إنهم قالوا : قد عَلِمْنَا أَنَّ الذي تقول حقٌّ ، ولكن إن اتبعناك تخطفتنا<sup>(٢)</sup> العرب ؛ أي : أهلكونا بالقتال ؛ لمخالفة دينهم .

﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما اعتذروا به مِنْ تخطفِ الناس لهم ، والمعنى : أن الحرم لا تعرّض له العرب بقتال ، ولا يمكّن الله

(١) أخرجه مسلم (٢٥) .

(٢) في ب ، ج ، د : «تخطفنا» .

أحدًا من إهلاك<sup>(١)</sup> أهله، فقد كانت العرب يُغيّر بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك.

﴿تُجِبْنِي إِلَيْهِ ثَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تُجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غير ذي زرع.

﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى ﴿بَطَرْتُ﴾: طغت وسفّيت.

و﴿مَعِيشَتَهَا﴾: نصب:

على التفسير، مثل: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

أو على إسقاط حرف الجرّ، تقديره: بطرت في معيشتها.

أو يتضمّن ﴿بَطَرْتُ﴾ معنى: كفرت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: قليلًا من السُّكنى، أو قليلًا من السّاكنين، أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلا ما<sup>(٢)</sup> على الطريق ساعة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّ الْقُرَى: مكة؛ لأنها أول ما خُلِق من الأرض، ولأن فيها بيت الله.

والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى؛ بأن بعث محمدًا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَا أَوْتِنَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية؛ تحقيرًا للعالم، وتزهيد فيها، وترغيب في الآخرة.

(١) في أ، ب: «هلاك».

(٢) في ب، ج «ما را».

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ الآية؛ إيضاح لما قبلها من البون<sup>(١)</sup> بين الدنيا والآخرة.

وقيل : محمد ﷺ وأبو جهل .

وقيل : حمزة وأبو جهل .

والعموم أحسن لفظاً ومعنى .

﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي : من المحضرين في العذاب .

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمر ، وفاعل ينادي : الله تعالى .

ويحتمل أن يكون نداؤه : بواسطة ، أو بغير واسطة<sup>(١)</sup> .

والمفعول به : المشركون .

﴿أَيْنَ شُرَكَائِكَ﴾ توبيخ للمشركين ، ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ؛ ولذلك قال : ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ، فحذف المفعول ، تقديره : تزعمون أنهم شركاء لي ، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم .

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ : وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم .

والإشارة بقولهم : ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ إلى أتباعهم من الضعفاء .

فإن قيل : كيف الجمع بين قولهم : ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ وبين قولهم : ﴿تَبَرَّأْنَا

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله : قول المصنف رحمه الله : + ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة .

أقول : في هذا التردد نظر ، والصواب أنه ناداهم بغير واسطة ، وذلك لوجهين :

١- أنه إذا كان بغير واسطة كان حقيقة ، وإذا كان بواسطة كان مجازاً ، والأصل الحقيقة .  
٢- أن تكليمه تعالى أو ندائه لمن شاء بلا واسطة ممكن ، ليس بممتنع ؛ بدليل أن الله تعالى كلم موسى بلا واسطة ، فقال : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَخْلِيلًا﴾ فأخذ الفعل بالمصدر للدلالة على الحقيقة . وأيضا : لو أراد أنه كلمه بواسطة لقيد ذلك ، مثل : كلمه بأن أرسل رسولا . ويؤيد ذلك ، أن تكليم موسى بواسطة ينافي اختصاص موسى بالتكليم ، فكل الرسل كلمهم الله بواسطة الرسول من الملائكة . والله أعلم .

إِلَيْكَ؟ فَإِنَّهُمْ اعْتَرَفُوا بِإِغْوَائِهِمْ، وَتَبَرَّؤُوا مَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ؟

فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك.

والمعنى: أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا، إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، ف تبرأنا إليك من عبادتهم لنا.

فتحصّل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا<sup>(١)</sup> الضعفاء، وتبرأوا من أن يكونوا هم آلهم، فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلف بعيد.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

الأول: أن المعنى: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام.

والثاني: لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا.

والثالث: لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوها.

ف﴿لَوْ﴾ على هذه الأقوال حرف امتناع، وجوابها محذوف.

والرابع: أن يكون ﴿لَوْ﴾ للتمني، أي: تمنّوا لو كانوا مهتدين.

﴿مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ أي: هل صدّقتكم المرسلين أو كذّبتموهم؟

﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿عَمِيَّتْ﴾ عبارة عن حيرتهم.

(١) في د: «أغروا».

﴿الْأَنْبَاءُ﴾ : الأخبار، أي : أظلمت عليهم الأمور؛ فلم يعرفوا ما يقولون.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي : لا يسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل : إن سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى : أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته من يشاء من عباده.

ولفظها<sup>(١)</sup> أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومته؛ أي : يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق، ويفعل ما يريد.

﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى : ما كان للعباد اختيار؛ إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله : ﴿وَيَخْتَارُ﴾.

وقيل : إن ﴿مَا﴾ مفعولة بـ ﴿وَيَخْتَارُ﴾، ومعنى ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على هذا : الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة.

وذلك ضعيف؛ لرفع ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، ولو كانت ﴿مَا﴾ مفعولة لكان اسم ﴿كَانَ﴾ مضمراً يعود على ﴿مَا﴾، وكانت ﴿الْخِيَرَةُ﴾ منصوبة على أنها خبر ﴿كَانَ﴾.

وقد اعتذر عن هذا من قال : إن ﴿مَا﴾ مفعولة؛ بأن قال : تقدير الكلام :

(١) في أ، ب : «واللفظ».

يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ﴿مَا﴾ مفعولة إذا قدرنا ﴿كَانَ﴾ تامة،  
ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ الْخَيْرُ﴾  
جملة مستأنفة<sup>(٢)</sup>. وهذا بعيد جدًا.

﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبر عن القلب  
بالصدر؛ لأنه يحتوي عليه.

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة: قولهم:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُومُ﴾ [الزمر: ٧٤]، و<sup>(٣)</sup> قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وفي ذكر ﴿الْأُولَى﴾ مع ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ مطابقة.  
﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائماً.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف **كَلَفَ**: «(ما) نافية، والمعنى: ما كان للعباد  
اختيار» إلخ، أقول: أصاب المؤلف في ترجيح أن (ما) نافية، وتضعيف القول بأنها  
موصولة، وما أورده على القول الثاني من جهة إعراب (ما كان لهم الخيرة) صحيح،  
وكذا ما يرد عليه من جهة المعنى، وهو أنه يلزم أن يكون المعنى: يختار ما فيه الخيرة  
للعباد، وبهذا تمسك بعض المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله، كما أشار  
إليه المؤلف، وقد اختار القول الأول كثير من المفسرين، وهو الصواب، وقد رجحه ابن  
القيم من وجوه، فانظرها في زاد المعاد. والله أعلم.

(٢) المحرر الوجيز (٦/٦٠٦)، وقال: «معناها: تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى  
لهم، لو قبلوا وفهموا».

(٣) في ج، د: «أو».

والمراد بهذه الآيات : إثبات الوحداية وإبطال الشرك .

فإن قيل : كيف قال : ﴿يَأْتِيَكُم بِضْيَاءٌ﴾ ، وهلا قال : «يأتيكم بنهار» في مقابلة قوله : ﴿يَأْتِيَكُم لَيْلٌ﴾ ؟

فالجواب : أنه ذكر الضياء ؛ لكثرة ما فيه من المنافع والعبر .

﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي : في الليل ، ﴿وَلَتَسْتَبْعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار ، ففي الآية لفٌّ ونشْرٌ .

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي : أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم ، وهو نبيهم ؛ لأن كل نبي يشهد على أمته .

﴿هَآؤُنَا بُرْهَانُنَا﴾ أي : هاتوا حججتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعداؤ لهم وتوبيخ وتعجيز .





[﴿إِنْ قَدَرُونَ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ وَعَائِنَهُ مِنْ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَسَنُورًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَانْبَغَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدَرُونَ إِنَّهُمْ لَدُنْوَ حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾].

﴿إِنْ قَدَرُونَ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم

موسى.

وقيل: ابن عمته.

وقيل: ابن خالته.

﴿فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام.

﴿وَعَائِنَهُ مِنْ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَسَنُورًا بِالْعُصْبَةِ﴾ المفاتيح: هي التي يفتح

بها.

وقيل : هي الخزائن .

والأول أظهر .

والعصبة : جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين .

﴿لَنَنْوَأُ﴾ : معناه : تثقل ؛ يقال : ناء به الحِمل : إذا أثقله .

وقيل : معنى ﴿لَنَنْوَأُ﴾ : تنهض بتحامل وتكُلف ، والوجه على هذا أن يقال : إن العصبة تنوء بالمفاتح ، لكنه قُلب ؛ كما جاء قُلبُ الكلام عن العرب كثيراً .

ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول .

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا : الذي يقود إلى الإعجاب والطُغيان ؛ ولذلك قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ .

وقيل : إنه السُرور بالدنيا ؛ لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ، ويدلُّ على هذا قوله : ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [الحديد : ٢٣] .

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي : اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات .

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي : لا تضيّع حظك من دنياك ، وتمتّع بها مع عملك للآخرة .

وقيل : معناه : لا تضيّع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو ما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا : وعظ .

وعلى الأول : إباحة للتمتع بالدنيا ؛ لثلا ينفر عن قبول الموعظة .

﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا الجواب على وجه الرد عليهم ، والروغان عما ألزموه من الموعظة .

والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له ؛ بسبب علم عندي استوجبته به .

واختلف في هذا العلم :

ف قيل : إنه علم الكيمياء .

وقيل : التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب .

وقيل : حفظه التوراة ، وهذا بعيد ؛ لأنه كان كافراً .

وقيل : المعنى : إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به ، ثم جعل قوله : ﴿عِنْدِي﴾ كما تقول : في ظني واعتقادي .

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا .

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني : جمعاً للمال .

أو جمعاً للخدام .

والأول أظهر .

﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه متصل بما قبله ، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمْ﴾ يعود على القرون

المتقدمة، و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: مَنْ بعدهم؛ أي: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب مَنْ تقدّمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحدٍ إنما يُسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبارٌ عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يُسألون عن ذنوبهم؛ لكونهم يدخلون النار من غير حساب.

والصحيح: أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويُسألون عنها لقوله: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٦) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الحجر: ٩٢ - ٩٣]؛ وإنما هذا السؤال المنفي: السؤال على وجه الاستخبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه؛ لكن يُسألون على وجه التوبيخ.

وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة: فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه: فهو على وجه الاستخبار والتعريف؛ ومنه قوله: ﴿فَوَمِمَّا زَكَرْنَا أَن يُسْتَلَّ عَنْ ذُنُوبِهِ إِشْرٌ وَلَا جُنَاحُ﴾ (٣٩) [الرحمن: ٣٩].

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قيل: في ثياب حُمْرٍ.

وقيل: في عييده وحاشيته.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَلْبِسَكُمْ﴾ زجرٌ للذين تمنوا مثل حال قارون.

﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الضمير عائذ:

على الخصال التي دلّ عليها الكلام المتقدم، وهي الإيمان والعمل الصالح.

وقيل : على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم ؛ أي : لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين .

والصبر هنا : هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها .

﴿ فَحَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهٖ الْأَرْضَ ﴾ روي أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وأذى موسى دعا موسى ﷺ عليه ، فأوحى الله إليه : قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه ، فقال موسى : « يا أرض خذهم » ، فأخذتهم إلى الرُّكْب فاستغاثوا بموسى فقال : « يا أرض خذهم » حتى تمَّ بهم الخسف .  
﴿ مَكَانُهُ ﴾ أي : منزلته في المال والعزَّة .

﴿ بِالْأَمْسِ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ :

اليوم الذي قبل ذلك اليوم .

أو ما تقدَّم من الزمان القريب .

﴿ وَيَكَاذِبُ ﴾ مذهب سيبويه أن « وَيَ » حرفُ تنبيه ، ثم ذكرت بعدها « كَأَنَّ » والمعنى على هذا : أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم : ﴿ يَنْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُورِفُ فَتُرُونُ ﴾ ، ثم قالوا : « كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » ؛ أي : ما أشبه الحال بهذا .

وقال الكوفيون : « ويك » هي : « ويلك » ، حذفت منها اللام ؛ لكثرة الاستعمال ، ثم ذكرت بعدها « أَنَّ » ، والمعنى : ألم تعلم أن الله .

وقيل : ﴿ وَيَكَاذِبُ ﴾ كلمة واحدة معناها : ألم تعلم .

﴿ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : تكبروا وطغياناً ، لا رفعة المنزلة ؛ فإن إرادتها جائرة .

[مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٩﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٩٠﴾].

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبتته.

وقيل: معناه: أعطاك القرآن.

والمعنى متقارب.

وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف.

﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ المعاد: الموضع الذي يعاد إليه:

ف قيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها.

وقيل: يعني الآخرة؛ فمعناها: إعلام بالحشر.

وقيل: يعني الجنة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تنال النبوة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوتك.

والاستثناء بمعنى: «لكن»؛ فهو منقطع.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا ؛ وَالْمَعْنَى : مَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَكَ أَوْ لِلنَّاسِ .

و﴿رَحْمَةً﴾ عَلَى هَذَا : مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ ، أَوْ حَالٌ .

وعلى الأول : منصوب على الاستثناء .

﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

من الدعاء بمعنى الرغبة .

أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ؛ فالمفعول محذوفٌ على هذا ، تقديره : ادع الناس .

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أَي : لَا تَعْبُدْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الْآيَةُ ؛ أَي : إِلَّا إِيَّاهُ ، وَالْوَجْهَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الذَّاتِ <sup>(١)</sup> .



(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في (١/٣٥٢) .

## ﴿ سورة العنكبوت ﴾

[الْم ١] أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ ٢ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ ٣ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ ٤ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٦ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ٨ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ٩ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ١٠ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١١ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٢ ]

﴿الْم ١﴾ ذِكْرٌ فِي «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة



مستضعفين، منهم عمار بن ياسر وغيره، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فأنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبار؛ ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، وأعلمهم تعالى أن تلك سيرته في عباده، يُسلط الكفار على المؤمنين؛ ليمحصهم<sup>(١)</sup> بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب.

ولفظها مع ذلك عام، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنه؛ من مصيبة أو مضرّة في النفس والمال وغير ذلك.

ومعنى ﴿حَسِبَ﴾ : ظَنَّ، و﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ مفعولها، والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ : في موضع الحال من الضمير في ﴿يُتْرَكُوا﴾ تقديره: غير مفتونين.

و﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ : تعليل في موضع المفعول من أجله.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: يعلم صدقهم علماً ظاهراً في الوجود، وقد كان علمه في الأزل.

والصدق والكذب في الآية يعني بهما: صحة الإيمان والثبوت عليه، أو ضد ذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا﴾ ﴿أَمْ﴾ معادلة لقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾.

(١) في د: «ليمتحنهم».

والمراد بـ ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ : الكفار الذي يعذبون المؤمنين .

ولفظها مع ذلك عامٌ في كل كافر وعاصٍ .

ومعنى ﴿يَسْقُونَهُمْ﴾ : يَفُوتُونَ عقابنا ويُعْجِزُونَا .

فمعنى الكلام : نفى سبقهم ، كما أن معنى الآية قبلها : نفى ترك المؤمنين بغير فتنة .

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الآية ؛ تسليّة للمؤمنين ، ووعدهم بالخير في الآخرة .

والرجاء هنا : على بابه .

وقيل : هو بمعنى الخوف .

و﴿أَجَلَ اللَّهِ﴾ الموت ، ومعنى ﴿لَاتٍ﴾ قريب الإتيان ؛ فإن كل ما هو آتٍ قريب .

ومعنى الآية : من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقي الله فيُجَازِيَهُ ؛ فإن لقاء الله قريب .

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي : منفعة جهاده إنما هي لنفسه ؛ فإن الله لا تنفعه طاعة العباد .

والجهاد هنا يَحْتَمِلُ أن يراد به :

القتال .

أو جهاد النفس .

﴿حُسْنًا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: وصينا الإنسان يفعل<sup>(١)</sup> بوالديه حسناً.

أو مصدرٌ من معنى ﴿وَصَيْنَا﴾ أي: وصيةً حسنةً.

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية؛ نزلت في سعد بن أبي وقاص؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر.

وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وأن لا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر. وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغةً.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المسلمين قالوا: إنا كنا معكم.

فمعنى ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أُوذِيَ بسبب إيمانه بالله.

﴿وَفِتْنَةَ النَّاسِ﴾: تعذيبهم.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه.

﴿أَنبِئُوا سَيِّئَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان.

وروي: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. حكاه المهدوي<sup>(٢)</sup>.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، لأبي العباس المهدوي (١٨١/٥).

وقولهم: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ﴾: جزاء قولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر؛ للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صَحَّ تكذيبهم فيه، فأخبر الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ هَبْنَا دَاوُدَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَمْرًا مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَنشَأَ مِنْ جَنَّاتٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُونَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ حَرْفٌ فَأَجْبَدُهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ فَتَأْمَنَ لَّهُمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾].

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر : أنه لبث هذه المدة بعد

بعثه .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَلادته .

وروي أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عُمِّرَ بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة.

فإن قيل: لم قال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ثم قال: ﴿خَمْسِينَ عَامًا﴾؛ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟

فالجواب: أن ذلك كراهةٌ لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه<sup>(١)</sup> إلا إذا قُصِدَ به تفخيمٌ أو تهويلٌ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ يحتمل أن يعود الضمير:

على السفينة.

أو على النجاة.

أو على القصة بكمالها.

﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ هو من الخِلْقَةِ؛ يريد به: نَحَتَ الأصنام، فسماه خِلْقَةً على وجه التجوُّز.

وقيل: هو من اختلاق الكذب.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية؛ احتجاجٌ على الوحدانية ونفي الشركاء.

فإن قيل: لم نكّر الرزق أو لا، ثم عرّفه في قوله: ﴿فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾؟

فالجواب: أنه نكّره في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرّفه بعد ذلك لقصد

(١) في أ، ب، هـ: «يكروه».

العموم في طلب الرزق كله من الله ؛ لأنه لا يُقتَضَى العموم في سياق الإثبات إلا مع التعريف ؛ فكأنه قال : ابتغوا الرزق كله عند الله .

﴿وَلَا تَكْذِبُوا﴾ الآية ؛ يحتمل أن تكون :

من كلام إبراهيم .

أو من كلام الله تعالى .

ويحتمل مع ذلك أن يراد به :

وعيد الكفار وتهديدهم .

أو يراد به تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له ؛ بالتأسي بغيره من الأنبياء ، الذين كذبهم قومهم .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يقال : بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد ، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة .

والمعنى : أولم ير الكفار أن الله خلق الخلق ؛ فيستدلون بالخلق الأولى على الإعادة في الحشر؟ .

فقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾ ؛ لأن المعنى فيهما مختلف ؛ لأن رؤية البداية بالمشاهدة ، بخلاف الإعادة ؛ فإنها تعلم بالنظر والاستدلال ، وإنما هو معطوف على الجملة كلها .

وقد قيل : إنه يريد إعادة النبات وإبدائه ، وعلى هذا يكون ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ عطفاً على ﴿يُبْدِئُ﴾ ؛ لاتفاق المعنى .

والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام .

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني : إعادة الخلق ، وهي حشرهم .  
ثم أمرهم بالسير في الأرض ؛ ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته  
على حشرهم ، ولذلك ختمها بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .  
﴿وَالَّذِينَ تَقُولُونَ﴾ أي : ترجعون .  
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي : لا تقوتون من عذاب الله ، وليس لكم مهرب  
في الأرض ولا في السماء .  
﴿أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ يحتمل :  
أن يأسوا في الآخرة .  
أو يكون وصفًا لحالهم في الدنيا ؛ لأن الكافر يائس<sup>(١)</sup> من رحمة الله ،  
والمؤمن راجٍ خائف .  
وهذا الكلام من قوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى هنا :  
يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم .  
ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم ، وبعد ذلك ذكر جواب قومه له .  
﴿مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾ نصبُ المودة على أنها :  
مفعولٌ من أجله .  
أو مفعول ثانٍ لـ ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ .

(١) في أ ، ب ، هـ : «يش» .



ورفعها على أنها :

خبر ابتداء مضمّر .

أو خبر «إنَّ»، وتكون «ما» موصولة .

ونصبُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ : على الظرفية .

وخفضه : بالإضافة .

﴿فَتَأْمَنَ لَمْ لُوطٌ﴾ تضمّن ﴿ءَأَمَنَ﴾ معنى : انقاد، ولذلك تعدّى باللام .

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ القائل لذلك : إبراهيم .

وقيل : لوط .

وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام .

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أكثرُ الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى

ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزيور والفرقان .



[﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٨] أَيُّكُمْ لَأَنْتُونَ الرِّجَالُ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِتًّا بِهِمْ وَضَافَكَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾].

﴿وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطرق<sup>(١)</sup> للسلب والقتل.

وقيل: أراد قطع سبيل النسل؛ بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ النادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس.

والمنكر: فعلهم بالرجال.

وقيل: إذايتهم للناس.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ الرسل هنا: الملائكة.

(١) في ج، د: «الطريق».

والبشرى:

بشارة إبراهيم بالولد، وهو وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].  
أو بشارته بنصر<sup>(١)</sup> لوط.

والأول أظهر.

﴿أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ هي<sup>(٢)</sup> قرية لوط.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا بأنه فيها، وإنما قصد نجاة لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية، وبراءته من الظلم الذي وُصفوا به، فكانه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيهم<sup>(٣)</sup> لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟

﴿مِنَ الْغَافِرِينَ﴾ قد ذكر<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ﴿سَيَاءَ يَوْمٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿رَجَزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذابًا.

(١) في ج، هـ: «بنصرة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يعني».

(٣) في أ، ب، هـ: «وفيها».

(٤) انظر (٣٦٣/٢).

(٥) انظر (٦٠٢/٢).

[وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ وَأَرْجُوا يَوْمَ الْآخِرِ  
وَلَا تَغْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جُثَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَرَبِّكَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فصدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُتِرَتْ وِرْعَوٌ  
وَهَمَّكَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَلَسَّكَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ  
﴿٣٩﴾ فَنَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ  
وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ  
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ  
الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾  
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ  
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾].

﴿وَأَرْجُوا يَوْمَ الْآخِرِ﴾ قيل: الرجاء هنا: بمعنى الخوف.

وقيل: هو على بابه.

﴿وَلَا تَغْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يعني: نفّسهم المكيال والميزان.

﴿الرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة.

﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ أي: أن آثار مساكنهم باقية، تدلّ على

ما أصابهم.

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قيل: معناه: لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به.

وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا.

وقيل : معنى : ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ، ولكنهم لم يفعلوا .

﴿وَمَا كَانُوا سَافِكِينَ﴾ أي : لم يَفُوتُوا .

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب : الحجارة .

والحاصب أيضًا : الريح الشديدة .

فَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْمَعْنِيِّينَ ؛ لِأَنَّ قَوْمَ لُوطٍ أَهْلَكُوا بِالْحِجَارَةِ ، وَعَادًا أَهْلَكُوا بِالرِّيحِ ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ نَقَصَ ذِكْرَ الْآخَرِ ، وَقَدْ أَجَازَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ فِي مَعْنِيَيْنِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الاحزاب : ٥٦] ، وَيَقْوَى ذَلِكَ هُنَا ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ ذِكْرُ عَمُومِ أَخْذِ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني : ثمود ومدين .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني : قارون .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني : قوم نوح ، وفرعون وقومه .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾  
شَبَّهَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ بِالْعَنَكَبُوتِ فِي بَنَائِهَا بَيْتًا ضَعِيفًا ، فَكَمَا أَنَّ مَا اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ الْعَنَكَبُوتُ مِنْ بَيْتِهَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ كَذَلِكَ مَا اعْتَمَدَ<sup>(١)</sup>  
عَلَيْهِ الْكُفَّارُ مِنْ آلِهَتِهِمْ لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ .

﴿أَوْهَكَ الْبُيُوتَ﴾ أي : أضعفها .

(١) في ب ، د : «اعتمدت» .

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي : لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم .  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى :  
 «الذي» ، مفعولة للفعل الذي قبلها .  
 وقيل : هي نافية ، والفعل معلق عنها ، والمعنى على هذا : لستم تدعون  
 من دون الله شيئاً له بال فيصلح أن يسمى شيئاً .  
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي : بالواجب ، لا على وجه العبث واللعب .



[﴿أَنْزَلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٢٥) ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢٦) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٢٧) وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَبْتَ الْمُبْطِلُونَ (٢٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٢٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٣٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣١)].

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعاً في صلاته، متذكراً لعظمة من وقف بين يديه: حمّله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر؛ فكان الصلاة ناهيةً عن ذلك.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ:

**الأول:** أن المعنى: إن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهياها عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

**الثاني:** أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبر أجرًا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟» قالوا: بلى قال: «ذكر الله»<sup>(١)</sup>.  
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال.

وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نُسِخ بالسيف.  
ومعنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الذين ظلموكم، أو<sup>(٢)</sup> صرّحوا بإذابة نبيكم ﷺ.  
وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدّثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على هذا: من بقي منهم على كفره.  
والمعنى الأول أظهر.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ هذا وما بعده: يقتضي موادةً ومسالمة، وهي ومنسوخة بالسيف.

ويقتضي أيضًا: الأعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلاً لم تصدّقوهم، وإن كان حقاً لم تكذبوهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩١).

(٢) في ب، هـ: «و».

(٣) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤)، وأخرجه البخاري (٤٤٨٥) بلفظ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية».



﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك.

﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ يعني: عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله: ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ كفار قريش.

وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب: المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المعاصرين لمحمد ﷺ منهم، كعبد الله بن سلام.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْلُوكُمْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن.

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿يَسْمِينَكُمْ﴾؟

فالجواب: أن ذلك تأكيد للكلام، وتصوير للمعنى المراد.

﴿إِذَا لَزَبْتَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار، فكانوا<sup>(١)</sup> يقولون: لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه.

وقيل: وجه الاحتجاج: أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفاً للصفة التي وصفه الله بها عندهم.

والمذهب الصحيح: أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب.

(١) في ج، د: «وكانوا».

وقال الباجي<sup>(١)</sup> وغيره: إنه كتب؛ لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ ﴿بَلْ﴾ عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حَسِبَ المبطلون والظالمون.

﴿أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أُنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المعنى: كيف يطلبون آيةً والقرآن الكريم أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة؛ فهلاً اكتفوا به عن طلب الآيات!.



(١) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ)، وله رسالة في هذه المسألة أسماها «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ قد كتب»، وجرت له في ذلك قصة، انظرها في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٥٤٠)، الديباج المذهب لابن فرحون (١/٣٨٠).

[﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ  
وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ  
وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ  
وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ يَعْجِدُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ  
﴿٦٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ  
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٣﴾ وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَاشِفُونَ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾] .

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ ذكر معناه في «الرعد»<sup>(١)</sup>، وفي «الأنعام»<sup>(٢)</sup> .

﴿يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني: قولهم: ﴿أَتَيْنَا بِمَا نَعُدُّنَا﴾  
[الأعراف: ٧٧]، وقولهم: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٢٢] وشبه  
ذلك .

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدّر لعذابهم أجلاً مسمى  
لعاجلهم<sup>(٣)</sup> به حين طلبوه .

(١) انظر (٢/ ٦٩٠) .

(٢) انظر (٢/ ٢٤٩) .

(٣) في أ، ب: «لفاجأهم» .

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ:

الْقَتْلَ الَّذِي أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرَ.

أَوْ الْجُوعَ الَّذِي أَصَابَهُمْ بِتَوَالِي الْقَحْطِ.

أَوْ يَرِيدُ عَذَابَ الْآخِرَةِ، وَهَذَا أَظْهَرَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ أَي: يَحِيطُ بِهِمْ.

وَالْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ: مَحْذُوفٌ، أَوْ ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾.

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تَحْرِيطٌ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ؛ إِذْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَلْقَوْنَ فِيهَا أَذَى الْكُفَّارِ، وَتَرْغِيبٌ فِي غَيْرِهَا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ، فَحِينَئِذٍ هَاجَرُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ.

﴿لَتُبَوَّئِنَّهُمْ﴾ أَي: نَنْزِلُهُمْ.

وَقُرِئَ: ﴿تُبَوَّئِنَّهُمْ﴾ بِالثَّاءِ الْمَثْلُثَةِ مِنَ الثَّوَاءِ<sup>(١)</sup> وَهُوَ الْإِقَامَةُ فِي الْمَنْزِلِ.

﴿وَكَاْنِ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أَي: كَمْ مِنْ دَابَّةٍ ضَعِيفَةٍ لَا تَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ رِزْقِهَا، وَلَكِنْ اللَّهُ يَرْزُقُهَا مَعَ ضَعْفِهَا.

وَالْقَصْدُ بِالْآيَةِ: تَقْوِيَةُ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِذْ خَافُوا الْجُوعَ وَالْفَقْرَ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى بِلَادِ النَّاسِ، أَي: كَمَا يَرْزُقُ اللَّهُ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةَ كَذَلِكَ يَرْزُقُكُمْ إِذَا هَاجَرْتُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ<sup>(٢)</sup>.

(١) فِي ج، د: «الثوى».

(٢) فِي د، هـ: «بِلَادِكُمْ».

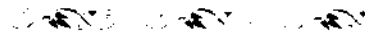
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾ في الموضوعين : إقامة حجة عليهم .

﴿فَأَن يُّفَكُّونَ﴾ أي : كيف يُصَرِّفُونَ عن الحق .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله على ظهور الحجة .

أو يكون المعنى : إلزامهم أن يحمدا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضرابٌ عن كلام محذوف تقديره : يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ؛ ولكنهم لا يعقلون .



[وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَنَحْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لَنُطِيلَ يَوْمُهُمْ وَيَنْعِمَهُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾].

﴿لَهِىَ الْحَيَوانِ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ ﴿الْحَيَوانِ﴾ مصدر، كالحياة.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ الآية؛ إقامة حجة عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمرٌ:

على وجه التهديد.

أو على وجه الخذلان والتخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: «اعمل ما شئت».

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة؛ لأنها كانت لا تُغَيَّرُ عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا يَنْتَهَكُ أحد حرمتها.

﴿وَنَحْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني : جهاد الأنفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك .

وقيل يعني : القتال ، وذلك ضعيف ؛ لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية .

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي : لنوفقنهم لسُبل<sup>(١)</sup> الخير .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى : إنه معهم بإعانتة ونصره .

\*\*\*

---

(١) في أ : «السبل» .

## ﴿سورة الروم﴾

[﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢﴾ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣﴾  
 فِي بَضْعِ سِنِينَ ٤﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٥﴾ يَنْصُرُ  
 اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٧﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ  
 ٨﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ  
 مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ ٩﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا  
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمْ وَلَكِنْ  
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوَى السَّوَآتَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ  
 اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ١١﴾].

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ١﴾ أي: هُزِمَ كَسْرَى ملكُ الفرس جيشَ ملكِ الروم.

وُسُمِّيَتِ الروم باسمِ جدِّهم، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿فِي أَذْنَى الْأَرْضِ ٢﴾ قيل: هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى  
 أرض الروم إلى فارس.

وقيل: في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام.



﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ إخبارٌ بأن الروم سيغلبون الفرس (بعد أن غلبهم الفرس)<sup>(١)</sup>.

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ رُوي: أن غَلَبَ الروم لفارس<sup>(٢)</sup> وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش. وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهل كتاب، فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش.

وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مئة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف؛ إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: «تصدق بها»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدرٌ مؤكَّد، كقولك: «له علي ألف درهم عُرفاً»؛ لأن

(١) سقط من أ، ب.

(٢) في د: «للفرس».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥١/١٨).

معناه: اعترفت<sup>(١)</sup> له بها اعترافاً .

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل: معناه: يعلمون ما يُدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم .

وقيل: الظاهر: ما يُعلم بأوائل العقول، والباطن: ما يُعلم بالدليل والنظر .

وقيل: هو من<sup>(٢)</sup> الظهور بمعنى: العلو في الدنيا .

وقيل: ظاهرٌ بمعنى: زائلٌ ذاهبٌ .

والأظهر أنه أراد بالظاهر: المعرفة بأموال الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها .

وانظر كيف نفى العلم عنهم أولاً، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة .

وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة؛ لاجتماع النفي والإثبات .

وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم؛ لقلّة منفعته، فهو على هذا بيانٌ للنفي .

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يحتمل معنيين :

أحدهما: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السموات والأرض؛

كأنه قال: أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق .

(١) في د، هـ: «أعترف» .

(٢) في أ، ب: «بمعنى» .

والثاني : أن يكون المعنى : أولم يتفكروا في ذواتهم وخلقهم ؛ ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله : ﴿ مَا خَلَقَ ﴾ الآية استئناف كلام .

والمعنى الأول أظهر .

﴿ وَأَنَارُوا الْأَرْضَ ﴾ أي : حرثوها .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَ ﴾ معنى ﴿ السُّوْءَ ﴾ : هلاك الكفار .

ولفظ ﴿ السُّوْءَ ﴾ تأنيث الأسوأ ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن .

وقرئ ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ :

بالرفع على أنه اسم ﴿ كَانَ ﴾ ، و﴿ السُّوْءَ ﴾ خبرها .

وقرئ بنصب ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ على أنها خبر ﴿ كَانَ ﴾ ، و﴿ السُّوْءَ ﴾ اسمها .

و﴿ أَن كَذَّبُوا ﴾ مفعول من أجله .

ويحتمل أن تكون ﴿ السُّوْءَ ﴾ مصدر : ﴿ اسْتَوُوا ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿ وَأَنَارُوا الْأَرْضَ ﴾

(١) في أ ، ب ، هـ : « أساء » .

[اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٦﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٩﴾].

﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: الإبلاس: الكون في شرٍّ مع اليأس من الخير.

﴿يُنْفِرُونَ﴾: معناه: في المنازل والجزاء.

﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُنْعَمُونَ<sup>(١)</sup>؛ من الحبور، وهو السرور والنعيم.

وقيل: يكرمون.

﴿فَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾: هذا تعليلٌ للعباد؛ أي: قولوا «سبحان الله» حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تُظْهِرون؛ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهو وسط النهار.

وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اعتراضٌ بين المعطوفات.

وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس، فـ ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر.

(١) في أ، ب، هـ: «بتنعمون».

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ ذُكِرَ فِي «آلِ عِمْرَانَ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ أَي: يُنْبِتُ فِيهَا النَّبَاتَ.

﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾ أَي: كَمَا يَخْرِجُ اللَّهُ النَّبَاتَ مِنَ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ  
يَخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



(١) انظر (١/٥٢٧).

[وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْشُرْكُمْ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوُيُوتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْشُرْكُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ قَنُونٌ ﴿٢١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾].

﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ أي: تتصرفون<sup>(١)</sup> في الدنيا.

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم.

وقيل: أراد خَلْقَ حواء من ضِلَعِ آدم، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم.

﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة: الجماع، والرحمة: الولد.

والعموم أحسن وأبلغ.

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم.

﴿وَالْوُيُوتِ﴾ يعني: البياض والسواد.

(١) في د: «تصرفون».

وقيل : يعني : أصنافكم .

والأول أظهر .

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذُكِرَ فِي «الرعد»<sup>(١)</sup> .

﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ معناه : تثبت أو يقوم تدبيرها<sup>(٢)</sup> .

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ :

الأولى : شرطية .

والثانية : فجائية ، وهي جواب الأولى .

والدعوة في هذه الآية :

قوله للموتى : قوموا .

أو النفخة الثانية في الصور .

و﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يتعلّق :

بقوله : ﴿تَخْرُجُونَ﴾ .

أو بقوله : ﴿دَعَاكُمْ﴾ ؛ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو ؛ كقولك :

«دعوتك من الجبل» إذا كان المدعو في الجبل .

﴿فَلْيَنبُئْكُمْ﴾ ذَكَرَ فِي «البقرة»<sup>(٣)</sup> .

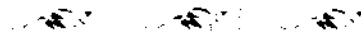
(١) انظر (٢/٦٧٥) .

(٢) في ج ، د : «تدبرها» ! .

(٣) انظر (١/٣٥٣) .

﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلق الأولي، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث؛ فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله؛ فإن كل شيء على الله يسير<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: قول المصنف ﷺ: «هذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث» إلخ، أقول: يريد أن أفعال التفضيل ليس على حقيقته؛ فليس المعنى أن الإعادة أسير على الله من البدء - الخلق الأول - لأن قدرته تعالى على الأشياء واحدة، والأشياء بالنسبة لقدرته تعالى سواء، فليس شيء منها أسير على الله من شيء، وإنما ذكر أفعال التفضيل تقريبا للمخاطبين؛ لأن المستقر في عقولهم أن الإعادة أهون من البدء، وهذا توجيه صحيح، وفي الآية توجيه آخر صحيح أيضا؛ وهو أن أفعال التفضيل على غير بابه، أي: ليس المقصود منه المفاضلة بين شيئين، بل المراد إثبات الوصف، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: هيّن عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. والله أعلم.



[﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنزَلْنَا فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢٨] بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَرَّ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الذِّكْرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿مُذِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٣١ ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ٣٢ ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٣٣ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣٤ ﴿أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ ٣٥ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ٣٦ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٧ ﴿فَتَابَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَسِيرُ وَأَبْنِ السَّبِيلَ ذَلِكَ حَبْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٣٨ ﴿وَمَا ءَانَيْتُمْ مِّن رَّبٍّ لَّا يَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَانَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ٣٩ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُبْسِطُكُمْ ثُمَّ يُنْجِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.]

﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم، ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكَذَلِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يشارك عبيده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لستم في

أموالكم سواءً مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الإضراب بـ ﴿بَلِ﴾ عما تضمنته معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.

﴿فَأَقْهَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام.

وإقامة الوجه في الموضوعين من السورة: عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه.

وفي قوله: ﴿فَأَقْهَ﴾، و﴿أَلْقَيْمِ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿فِطَرَتَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر: كقوله: ﴿صَبَغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله.

ومعناه: خلقة الله، والمراد به: دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارضيٍّ أخرجه عن أصل فطرته، كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه...»<sup>(١)</sup>.

﴿لَا يَبْدِلُ لِيَخْلُقِ اللَّهُ﴾ يعني بـ ﴿لِيَخْلُقِ اللَّهُ﴾: الفطرة التي فطر الناس عليها من الإيمان.

ومعنى أن الله لا يبدلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدلها

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى .

أو يكون المعنى : أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدّلوها ؛ فالنفي على هذا حكم لا خبر .

وقيل : إنه على الخصوص<sup>(١)</sup> في المؤمنين ؛ أي : لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه .

وقيل : إنه نهى عن تبديل خلقه الله ، كخِصَاء الفحول من الحيوان ، وقطع أذانها وشبه ذلك .

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوبٌ على الحال من قوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ وَجْهَكَ﴾ ؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد : هو وأمته ، ولذلك جمعهم في قوله : ﴿مُنِيبِينَ﴾ .

وقيل : هو حال من ضمير الفاعل المستتر في : «الزموا فطرة الله» .

وقيل : هو حال من قوله : ﴿فَطَرَ النَّاسَ﴾ ، وهذا بعيد .

﴿وَأَتَقَوْهُ﴾ وما بعده : معطوفٌ :

على ﴿أَفَرَأَيْتُمْ وَجْهَكَ﴾ .

أو على العامل في ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ ، وهو «الزموا» المضمر .

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدلٌ من المجرور قبله .

ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ : جعلوه فِرَقًا ؛ أي : اختلفوا فيه .

(١) في ج ، د : «إنه خصوص» .

وقرى: ﴿فَارْقُوا﴾ من المفارقة؛ أي: تركوه.

والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار.

وقيل: هم المسلمون الذي تفرقوا فِرَقًا مختلفة، ففي لفظ ﴿الشَّركِينَ﴾ هنا تجوُّزٌ بعيد، ولعلَّ قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في «الأنعام»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾؛ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية؛ إنحاءٌ على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في «العنكبوت»<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعةٌ بمعنى: «بل» والهمزة.

والسلطان: الحجة، وكلامه مجازٌ، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاءٌ على مَنْ يفرح ويَبْطِر إذا أصابه الخير، وَيَقْنَط إذا أصابه الشر.

وانظر كيف قال هنا ﴿وَإِذَا﴾، وقال في الشر: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن «إذا» للقطع بوقوع الشرط، بخلاف «إن»؛ فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارةٌ إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر.

﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني: صلة رحم القرابة؛ بالإحسان والموادة، ولو بالكلام الطيب.

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية؛ معناها كقوله: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتُ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، أي: ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به.

وقيل: المراد: أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر من ذلك، فهذا وإن كان جائزاً فإنه لا ثواب فيه.

وقرئ: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾:  
بالمد: بمعنى أعطيتم.

وبالقصر: يعني: جثم به؛ أي: فعلتموه.

وقرئ: ﴿لِّتَرْبُوا﴾ بالتاء المضمومة، و﴿لِّتَرْبُوا﴾ بالياء مفتوحة ونصب الواو.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعِف: ذو الإضعاف من الحسنات.

وفي هذه الجملة التفات؛ لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: «وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون».

وفيها أيضاً حذف؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»، وتقديره: «المضعفون به»، أو: «فمؤتوه هم المضعفون».

[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٥٠﴾ فَأَقْرَرْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ بَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٥١﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٥٢﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَنْ أَيْبَسَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرًا وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَتَنَبَّأَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ آجَرُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمُوسَاتٍ ﴿٥٧﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٨﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٩﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل: البر: البلاد البعيدة من البحر، والبحر: هو البلاد التي على ساحل البحر.

وقيل: البر: اللسان، والبحر: القلب، وهذا بعيد.

والصحيح: أن البر والبحر هما المعروفان، وظهور الفساد في البر: بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر: بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه.

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ يتعلق:

بقوله: ﴿يَأْتِي﴾.

أو بقوله: ﴿لَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ أي: لا يرده الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ من الصَّدْع، وهو الفُرْقَة؛ أي: يتفرون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿فَلَا أَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطَّئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه.

والمعنى: أنهم يعملون ما يتفعلون به في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق:

بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾.

أو ﴿يَصْدَعُونَ﴾.

أو بمحذوف.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ أي: تبشّر بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على ﴿مُبَشِّرِينَ﴾؛ كأنه قال: لِيُبَشِّرَكُمْ وليذيقكم.

ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره: لِيُذِيقَكُمْ من رحمته أرسلها.

﴿وَكَاثَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ انتصب ﴿حَقًّا﴾ لأنه خبر «كان»، واسمها ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل : اسمها مضمير يعود على مصدر ﴿أَنْقَمْنَا﴾ ، أي : وكان الانتقام حقًا ، فعلى هذا : يوقف على ﴿حَقًّا﴾ ، ويكون ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مبتدأ ، وهذا ضعيف .

﴿فَنُثِرَ سَحَابًا﴾ أي : تحرّكها وتشرها .

﴿كِسَفًا﴾ أي : قِطْعًا ، وقرئ بإسكان السين ، وهما بناءان للجمع .

وقيل : معنى الإسكان : أن السحاب قطعة واحدة .

﴿الْوَدَقَ﴾ هو المطر .

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ الخلال : الشّقاق التي بين بعضه وبعض ؛ لأنه متخلّل الأجزاء ، والضمير يعود على السحاب .

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ كرر للتأكيد ، ليفيد سرعة تقلّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار .

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي : قانطين ، كقوله : ﴿يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوهَا﴾ [الشورى : ٢٨] .

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبتة الله بالمطر .

والمعنى : لئن أرسل الله ريحًا فاصفرّ بها النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله .

وقيل : الضمير للريح .

وقيل : للسحاب .



والأول أحسن في المعنى .

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ الآية؛ استعارة في عدم سَمْع الكفار للمواعظ والبراهين ، فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم .



[﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِبَيِّنَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٥﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقُونَ ﴿٥٧﴾﴾].

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ﴾ الضعف الأول: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفاً في حال الطفولية.

والضعف الأخير: هو الهرم.

وقرئ بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة.

أو: ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة، وذلك لاستقصارهم تلك المدة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثل هذا الصرف كانوا يُصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق؛ حتى يروا الأشياء على ما هي عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، ردوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله: ﴿لَيَنْتَهَرَنَّ﴾.

وقيل: يعني: القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله.

وقولهم: ﴿لَقَدْ لَيَنَّتُنَّ﴾ خطابٌ للكفار.

وقولهم: ﴿فَهَكَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ تقريرٌ لهم، وهو في المعنى جوابٌ لشرط مقدر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتْبَى: بمعنى الرضا؛ أي: لا يُرْضَوْنَ، وليست «استفعل» هنا للطلب.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: ما وعد من النصر على الكفار.

﴿وَلَا يَسْخَفَنَّكَ﴾ من الخِفَّة؛ أي: لا تضطرب لكلامهم.



## ﴿ سورة لقمان ﴾

[﴿الْم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ٣﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُورًا ٧﴾ فَشَرُّهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٠﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن نَّمِيدَ بِكُمْ ۖ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١١﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٢﴾] .

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذِكْرٌ فِي «يونس» (١) .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام»، وقرأ هذه الآية (٢) .

وقيل: نزلت في قريشي اشتري جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا: على حقيقته .

(١) انظر (٢/٥٣٧) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢)، وابن ماجه (٢١٦٨) .

وقيل : نزلت في النضر بن الحارث ، وكان قد تعلَّم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث : استحبابه وقوله وسماعه ، فالشراء على هذا : مجاز .

وقيل : ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ : الطَّيْل .

وقيل : الشرك .

ومعنى اللفظ يعم ذلك كله .

وظاهر الآية : أنه لهو مضاف إلى كفر واستخفاف بالدين ؛ لقوله : ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية ، وأن المراد شخص معين ؛ لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف .

﴿يَغْيِرُ عَمَدٍ تَرْوَنَّهُ﴾ ذكر في «الرعد»<sup>(١)</sup> .

﴿أَنْ تَعِيدَ﴾ أي : لتلا تميد .

(١) انظر (٢/٦٦٧) .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْوَصِيرِ ﴿١٩﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ يَبْنَىٰ أَفْعَرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٤﴾].

﴿لُقْمَانُ﴾ رجلٌ ينطق بالحكمة، واختلف هل هو نبيٌّ أم لا؟

وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبياً، ولكن عبداً حسن اليقين، أحب الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»<sup>(١)</sup>.

وروي أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته.

وروي أنه كان قاضي<sup>(٢)</sup> بني إسرائيل.

(١) لم أقف على إسناده، وذكره الثعلبي (٣١٩/٤) وابن عطية (٤٤/٧) في تفسيرهما، وقالوا: «وقال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يكن لقمان نبياً... إلخ».

(٢) في ب: «قاضياً في».

واختلف في صناعته :

فقليل : نجارٌ .

وقيل : خياط .

وقيل : راعي غنم .

وكان ابنه كافراً فما زال يوصيه حتى أسلم .

وروي أن اسم ابنه ثاران .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراضٌ في أثناء وصية لقمان لابنه ؛ على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله . ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه ؛ حسبما ذكرنا في «العنكبوت»<sup>(١)</sup> .

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي : ضعفاً على ضعف ؛ لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً .

وانتصاب ﴿وَهْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره : تَهْنُ وَهْنًا .

﴿وَفِصْلُهُ﴾ أي فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع .

﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ تفسيرٌ للوصية واعتراضٌ بينها وبين تفسيرها بقوله : ﴿وَفِصْلُهُ﴾ في عامين ؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد ؛ مما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب .

(١) انظر صفحة ٤٦٢ .

﴿يَبْنِي﴾ الآية؛ رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يا بني.  
 ﴿وَمِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزنها، والمراد بذلك: أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر.  
 ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: المراد: الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف.  
 وإنما معنى الكلام: أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو<sup>(١)</sup> كانت في أخفى موضع كجوف صخرة: فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أمر بالصبر على المصائب عموماً.  
 وقيل: المعنى: ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.  
 ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد:  
 مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب.  
 أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجِدِّ.  
 ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور.  
 ﴿وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصَّعَرَ في اللغة: الميل؛ أي: لا تول الناس خدك، وتعرض عنهم تكبراً عليهم.  
 ﴿مَرَحًا﴾ ذكر في «الإسراء»<sup>(٢)</sup>.

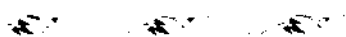
(١) في أ، هـ: «لو».

(٢) انظر (٨٠٧/٢).



﴿مُخَالٍ﴾ من الخيلاء.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تُسرع<sup>(١)</sup> إسراعًا يدلُّ على الطيش، والخِفَّة، ولا تبطئ<sup>(٢)</sup> إبطاءً يدلُّ على النُّخوة والكبر.



(١) في أ، ب زيادة: «فيه».

(٢) في ب زيادة: «فيه».

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ١٥] وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾ نُمْنُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٩﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢١﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبِحَرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ مَا خَلَقْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٥﴾] .

﴿نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ الظاهرة: الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها: ستر قبيح الأعمال.  
وقيل: الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنة: نعم العقبى.  
واللفظ أعم من ذلك كله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه: أتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار؟! .

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿يُسَلِّمْ﴾ أي: يخلص، أو يستسلم وينقاد.

والوجه هنا عبارة عن المقصد<sup>(١)</sup>.

﴿بِالْمَرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَفَلَنٌ﴾ الآية؛ إخبار بكثرة كلمات الله، والمراد: اتساع علمه.

ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاماً، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صباً دائماً، وكُتبت بذلك كلمات الله: لَنَفِدَتِ الأشجار والبحار ولم تَنفَدْ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية.

فإن قيل: لم لم يقل: «والبحر مداد» كما قال في «الكهف»: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]؟

فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله: ﴿يَمْدُدُ﴾؛ لأنه من قولك: مَدَّ الدَّوَاةَ وأمدّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ ولم يقل: «من شجر» باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟

(١) في أ: «القصد».

(٢) انظر (١/٤٧٧).

فالجواب : أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة ؛ حتى لا يبقى منها واحدة .

فإن قيل : لم قال ﴿ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴾ ولم يقل : «كَلِمُ الله» بجمع الكثرة ؟  
فالجواب : أن هذا أبلغ ؛ لأنه إذا لم تَنفَدِ الكلمات مع أنها جمع قلة ، فكيف ينفد الجمع الكثير .

وروي أن سبب الآية : أن اليهود قالوا : قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله ، فنزلت الآية ؛ لتدل أن ما عندهم قليلٌ من كثير ، والآية على هذا مدنية .

وقيل : إن سببها : أن قريشاً قالوا : إن القرآن سَيَنفَدُ .

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنٍ وَحِدَةٍ ﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس ، وردّ على من استبعد ذلك .

﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ أي : يُدْخِلُ كُلَّ واحدٍ منهما في الآخر ؛ بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر .

أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل .

﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني : يوم القيامة .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ يحتمل أن تكون الباء :

سببية .

أو يكون المعنى : ذلك شاهدٌ بأن الله هو الحق .

[﴿أَلَمْ نَرِ أَنْ أَلْفَكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ مِنْ ءَايَتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢) يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفُرُورُ﴾ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤)].

﴿يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ :

ما تحمله السفن من الطعام والتجارات، فتكون الباء : للإلصاق أو للمصاحبة.

أو يريد الريح، فتكون الباء سببية.

﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغة في صابرٍ وشاكر.

﴿كَالظُّلُلِ﴾ جمع ظُلة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان.

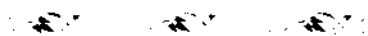
﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد: المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد :

كافرًا متوسطًا في كفره لم يسرف فيه.

أو مؤمنًا متوسطًا في إيمانه ؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه.

وقيل : معنى ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ : مؤمنٌ ثبت في البرِّ على ما عاهد الله عليه في البحر.

﴿خَتَارٍ﴾ أي: غدار شديد الغدر، وذلك أن جَحَدَ نعمة الله غدرٌ.  
 ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يقضي<sup>(١)</sup> عنه شيئاً، والمعنى: أنه لا ينفعه، ولا يدفع عنه مضرةً.  
 ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ أي: ولدٌ، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء، كذلك لا يقدر الوالد لولده على شيء.  
 ﴿الْفَرُّورُ﴾ الشيطان.  
 وقيل: الأمل والتسويق.  
 ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون الساعة<sup>(٢)</sup>؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتيح الغيب خمس» وتلا هذه الآية<sup>(٣)</sup>.  
 ﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: من خيرٍ أو شرٍ، أو مالٍ أو ولدٍ، أو غير ذلك.



(١) في ب: «لا يغني».

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٩)، ومسلم (١٠).

## ﴿سورة السجدة﴾

[﴿الْعَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ  
 بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾  
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا  
 لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ  
 يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ  
 جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ  
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي  
 خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ  
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾] .

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ يعني : القرآن .

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي : لا شك أنه من عند الله ﷻ .

ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق ، وعلى ما هو الأمر في نفسه ، لا على  
 اعتقاد أهل الباطل .

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بـ ﴿تَنْزِيلُ﴾ .

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَفِتْنَةٍ﴾ الضمير لقريش و﴿أَمْ﴾ بمعنى : «بل» والهمزة .

﴿لِنُنْذِرَ﴾ يتعلق :

بما قبله .

أو بمحذوف .

﴿مَا أَنْتَهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني : في الفترة من زمان عيسى ، وقد جاء الرسلُ قبل ذلك ، كإبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ؛ ليقيم الحجة عليهم .

﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup> .

﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفى الشفاعة على وجهين :

أحدها : الشفاعة للكفار ، وهي معدومة على الإطلاق .

والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله ، كقوله : ﴿مَا مِّن شَفِيعٍ إِلَّا مِّنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس : ٣] .

﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي : واحد الأمور .

وقيل : المأمور به من الطاعات .

والأول أصح .

﴿وَمِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي : ينزل ما دبره<sup>(٢)</sup> وقضاه من السماء إلى الأرض .

(١) انظر (٢/٣٤٩) .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «يدبره» .



﴿ثُمَّ يَرْجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس : المعنى : يُنْفِذُ الله قضاءه من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا ، مقداره لو سِيرَ فيه السِيرُ المعروف من البشر ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام ، فالألف : ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء .

وقيل : إن الله يُلقِي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر ، وهو يوم من أيام الله ، فإذا فَرَعَتْ أَلْقَى إِلَيْهِمْ مثلها ، فالمعنى : أن الأمور تَنْفُذُ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخِرًا ؛ لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا : عبارة عن مصير الأمور إليه .

﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ الغيب : ما غاب عن المخلوقين ، والشهادة : ما شاهدوه .

﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي : أتقن جميع المخلوقات .

وقرئ ﴿خَلَقَهُ﴾ - يأسكان اللام - على البدل .

﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ يعني : آدم ﷺ .

﴿نَسْلَهُ﴾ يعني : ذريته .

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ يعني : المني ، والسلالة : مشتقة مِنْ سَلٍّ يُسَلُّ ؛ فكان الماء يُسَلُّ من الإنسان .

والمهين : الضعيف .

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي : قَوَّمَهُ .

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه .

وإضافة الروح إلى الله إضافة ملكٍ إلى مالك .

وقد يراد بها الاختصاص ؛ لأن الروح لا يعلم كُنْهه إلا الله <sup>(١)</sup> .

﴿أَيُّدَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي : تَلَفْنَا وصرنا ترابًا .

ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار : استبعادٌ للبعث .

والعامل في ﴿إِذَا﴾ : معنى قولهم : ﴿أَوْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ؛ تقديره : نُبْعَثُ ؟ .

﴿بَنَوْنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ اسمه : عزرائيل ، وتحت يده ملائكة .



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷻ : ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، إلخ ، أقول : يريد المصنف أن النفخ في آدم من الروح عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وهذا تأويلٌ للنفخ ، فيظهر منه أنه لا يُثبت إضافة النفخ إلى الله ، ولا موجب للعدول عن ظاهر القرآن ؛ فالله تعالى أضاف نفخ الروح في آدم إلى نفسه المقدسة في ثلاثة مواضع ؛ في سورة الحجر ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ ١٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٩﴾ ، وقال في سورة ص : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ٦١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٦٢﴾ ، وقال في السجدة : ﴿ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ، أي : الإنسان الذي بدأه من طين ، وهو آدم ، كما في آيتي الحجر وص ، وعليه فالنفخ من أفعال الله تعالى التي تكون بمشيئته سبحانه ؛ فهو تعالى ينفخ فيما شاء ما شاء كيف شاء . والله أعلم .

[وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا  
 نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ  
 مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ  
 يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ  
 بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٠﴾  
 نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢١﴾  
 فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا  
 كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٢٣﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ  
 نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا  
 أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَنَذِقَنَّهُمْ  
 مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ  
 بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٧﴾] .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يحتمل أن تكون «لو» :

للتمني، وتأويله في حق الله كتأويل الترجي، وقد ذكر<sup>(١)</sup>.

أو تكون للامتناع، وجوابها محذوف تقديره: لو ترى حال المجرمين في  
 الآخرة لرأيت أمراً مهولاً.

﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد عملنا الحقائق.

(١) انظر المادة (٢٩٨) في اللغات.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ يعني: أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلق لفعل؛ فإنه قادرٌ على ذلك، بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا، والنسيان هنا: بمعنى الترك.

﴿نَسَجَافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل؛ من كثرة صلاتهم للنوافل.

ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه<sup>(١)</sup> من هذا.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني: أنه لا يعلم أحدٌ مقدار ما يُعطيهم الله من النعيم.

وقرئ ﴿أُخْفِيَ﴾ بإسكان الياء، على أن يكون فعل المتكلم، وهو الله تعالى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية؛ يعني: المؤمنين والفاسقين على العموم.

وقيل: يعني: علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿الَّتِي﴾ نعتٌ للعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكر في قوله: ﴿بِهِ﴾.

فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في «سبأ» النار وأعاد عليها الضمير، فقال: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]؟

(١) في ب، هـ: «بحظه».

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه خصَّ العذاب في السجدة بالوصف اعتناءً به ، لما تكرر ذكره في قوله : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ .

الثاني : أنه تقدَّم في «السجدة» ذكرُ النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمّر ، فكما لا يوصف المضمّر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار ، فوصف العذاب ولم يصف النار .

الثالث : - وهو الأقوى - : أنه امتنع في السجدة وصفُ النار ؛ فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها ؛ لتقدُّم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كرّرت ذكره لم يجز وصفه ، كقولك : «رأيت رجلاً فأكرمت الرجل» ، فلا يجوز وصفه ؛ لئلا يُفهم أنه غيره .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ ﴾ يعني : الجوع ومصائب الدنيا .

وقيل : القتل يوم بدر .

وقيل : عذاب القبر ، وهذا بعيد ؛ لقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ هذا وعيدٌ لمن ذكّر بآيات ربه فأعرض عنها .

وكان الأصل أن يقول : «إنا منه منتقمون» ، ولكنه وضع ﴿ الْمُجْرِمِينَ ﴾ موضع المضمّر ؛ ليصفهم بالإجرام .

وقدّم المجرور على ﴿ مُنتَقِمُونَ ﴾ للمبالغة .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٢٠﴾].

﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ المرية: الشك، والضمير لموسى؛ أي: لا تشك في لقائك موسى ليلة الإسراء.

وقيل: المعنى: لا تشك في لقاء موسى للكتاب<sup>(١)</sup> الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا: التوراة.

وقيل: الكتاب هنا: جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب، فلا تشك أنت في لقائك للكتاب<sup>(٢)</sup> الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَلْفَائِ الْفَرَاتِ﴾ [النمل: ٦].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير: لجميع الخلق.

وقيل: لبني إسرائيل خاصة.

(١) في أ، ب، هـ: «الكتاب».

(٢) في أ، ب، هـ: «الكتاب».

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ الضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين، كقوله: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْجِدِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

وقيل: الضمير للمهلكين؛ أي: أهلكتناهم وهم يمشون في مساكنهم. والأول أحسن؛ لأن فيه حجة على أهل مكة.

﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدة العطش.

﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحِ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة.

وقيل: يعني: فتح مكة، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة<sup>(٢)</sup>؛ لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه. ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون<sup>(٣)</sup> هلاكك، وهذا<sup>(٤)</sup> تهديد لهم.



(١) انظر (١٢٥/٣).

(٢) في أ، ب زيادة: «وقيل: يعني: فتح مكة» وهي زيادة مقحمة لا معنى لها.

(٣) في ب، د، هـ: «منتظرون».

(٤) في أ، ب، هـ: «وفي هذا».

## ﴿ سورة الأحزاب ﴾

[﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ①﴾ وَأَنْتُمْ مَا بُحِثَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ②﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ③﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ④﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤﴾ الَّتِي أُولَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ⑥﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ⑦﴾ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ⑧﴾].

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ﴾ نداء فيه تكريم له ؛ لأنه ناداه بالنبوة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم .

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي : دُم على التقوى ، وزد منه .

﴿وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي : لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة .



ويعني بـ ﴿الْكَافِرِينَ﴾ : المظهرين للكفر، وبـ ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ : الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر.

وروي أن ﴿الْكَافِرِينَ﴾ هنا : أبيُّ بن خلف، و﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ هنا : عبد الله ابن أبي بن سلول.

والعموم أظهر.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس : كان في قريش رجل يقال له : ذو القلبين ؛ لشدة فهمه ، فنزلت الآية نفيًا لذلك .

ويقال : إنه ابن خطلٍ .

وقيل : جميل بن مَعمر .

وقيل : إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي ؛ أي : كما لم يجعل الله لرجلٍ من <sup>(١)</sup> قلبيين في جوفه ، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أديعاءكم أبناءكم .

﴿الَّتِي تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي : تقولون للزوجة : «أنتِ عليّ كظهر أمي» ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ، وسيأتي حكمه في «المجادلة» .

وإنما تعدَّى هذا الفعل بـ «مِنْ» لأنه تَضَمَّنَ <sup>(٢)</sup> معنى : يتباعدون <sup>(٣)</sup> مِنْهُنَّ .

(١) لم ترد في ج ، د ، هـ .

(٢) في أ ، ب : «يتضمن» .

(٣) في هـ : «تتباعدون» .

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الأَدْعِيَاءُ جمع دَعِيَ، وهو الذي يُدْعَى ولدَ فلان وليس بولده.

وسببها: أَمْرُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وذلك أَنَّهُ كَانَ فَتًى مِنْ كَلْبٍ، فَسَبَّاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ وَبَاعَهُ مِنْ خَدِيجَةَ، فَوَهَبَتْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَبَنَّاهُ؛ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: «زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ» حَتَّى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ﴾ الإِشَارَةُ:

إِلَى نِسْبَةِ الدَّعِيِّ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ.

أَوْ إِلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَنَفِيَّاتِ.

وقوله: ﴿يَا فَوَاهِكُمْ﴾ تَأْكِيدٌ لِبَطْلَانِ الْقَوْلِ.

﴿أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الضَّمِيرُ لِلأَدْعِيَاءِ، أَي: انْسُبُوهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ الَّذِينَ وَلَدُوهُمْ.

﴿الَّذِينَ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يَقْتَضِي: أَنْ يُحِبُّوه ﷺ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنْ يَنْصُرُوا دِينَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْصُرُونَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَتَهُنَّ﴾ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ حُرْمَةَ الْأَمْهَاتِ؛ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ وَوُجُوبِ مَبْرَأَتِهِنَّ، وَلَكِنْ أَوْجِبَ حُجُبَهُنَّ عَنِ الرِّجَالِ.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ هَذَا نَسْخٌ لِمَا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ التَّوَارِثِ بِأَخَوَةِ الْإِسْلَامِ وَبِالْهَجْرَةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا فِي «الْأَنْفَالِ»<sup>(١)</sup>.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: الْقُرْآنَ، أَوِ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

بَيَانًا لِأُولَى الْأَرْحَامِ.

أَوْ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿أُولَى﴾؛ أَي: أُولُوا الْأَرْحَامِ أُولَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَيْسُوا بِذَوِي أَرْحَامٍ.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَاكُمْ مَعْرُوفًا﴾ يَرِيدُ: الْإِحْسَانَ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِقَرَابَةٍ، وَنَفَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ، وَالْوَصِيَّةَ لَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ فَذَلِكَ جَائِزٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا قَرَابَةً، وَأَمَّا الْمِيرَاثُ فَلِلْقَرَابَةِ خَاصَّةٌ.

وَاخْتَلَفَ: هَلْ يَعْنِي الْأَوْلِيَاءُ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، أَوِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ؟

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، أَوِ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هُوَ الْمِيثَاقُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالْقِيَامِ بِالشَّرَائِعِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ حِينَ أَخْرَجَ بَنِي آدَمَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ.

وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ.

﴿وَمِنَّاكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قَدْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ فِي جُمْلَةِ النَّبِيِّينَ، وَلَكِنَّهُ خَصَّصَهُمْ<sup>(١)</sup>

بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُمْ، وَقَدَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ تَفْضِيلًا لَهُ.

﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يَعْنِي: الْمِيثَاقَ الْمَذْكُورَ، وَإِنَّمَا كَرَّرَهُ: تَأْكِيدًا، وَلِيَصِفَهُ

(١) فِي ج، د: «خَصَّصَهُمْ».

بأنه غليظٌ؛ أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به.

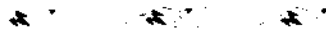
﴿لَيْسَ لَكَ الصَّدِيقِينَ﴾ اللام تحتل أن تكون لام «كي»، أو لام الصيرورة.

والصدق هنا يحتمل أن يكون:

الصدق في الأقوال.

أو الصدق في الأفعال والعزائم.

ويحتمل أن يريد بـ ﴿الصَّدِيقِينَ﴾: الأنبياء، أو غيرهم من المؤمنين.



[يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ اِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَاِذْ زَاغَتِ الْاَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿٢﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٣﴾ وَاِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ اِلاَّ غُرُورًا ﴿٤﴾ وَاِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّهَلُّوْنَ بِرَبِّ لَآ مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوْا وَيَسْتَفْزِذُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُوْنَ اِنَّ بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ اِنْ يُرِيدُوْنَ اِلاَّ فِرَارًا ﴿٥﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ اَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا اِلاَّ بَسِيرًا ﴿٦﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَّاللّٰهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُ لَآ اَلَدْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْئُولًا ﴿٧﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوْ الْقَتْلِ وَاِذَا لَا تُنْعَمُوْنَ اِلاَّ قَلِيْلًا ﴿٨﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّٰهِ اِنْ اَرَادَ بِكُمْ سُوْءًا اَوْ اَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٩﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِيْنَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِيْنَ لِاخْوَانِهِمْ هَلُمَّ اِلَيْنَا وَلَا يَأْتُوْنَ الْاَبَاسَ اِلاَّ قَلِيْلًا ﴿١٠﴾ اَشِحَّةً عَلَيْكُمْ اِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُرُوْنَ اِلَيْكَ نَدُوْرًا مِّنْهُمْ كَالَّذِيْ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ اِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوْكُمْ بِالْسِّنَةِ جِدَادٍ اَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ اُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوْا فَاَحْبَطَ اللّٰهُ اَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا ﴿١١﴾ يَحْسَبُوْنَ الْاَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوْا وَاِنْ يَأْتِ الْاَحْزَابُ يُوَدُّوْا لَوْ اَنَّهُمْ بَادُوْا فِي الْاَغْرَابِ يَسْأَلُوْكَ عَنِ اُنْبِيَائِكَمْ وَلَوْ كَانُوْا فِيْكُمْ مَا قَتَلُوْا اِلاَّ قَلِيْلًا ﴿١٢﴾].

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق .

والجنود المذكورة : هم قريش ومن كان معهم من الكفار ، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب ، وكانوا نحو عشرة آلاف ، حصروا المدينة ، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها ؛ ليمنعهم من دخولها .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فأطفأت نيرانهم وأكفأت<sup>(١)</sup> قدورهم، ولم يُمكنهم معها قرارًا، فانصرفوا خائبين.

﴿وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها.

وقيل: معنى ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أهل مكة وسائر تهامة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارة عن شدة الخوف.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حَنْجَرَةٍ: وهي الحلق، وبلغ القلب<sup>(٢)</sup> إليها مجازًا وعبارة عن شدة الخوف.

وقيل: بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف، فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ أي: تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم.

فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرَّحوا به.

وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خواطر مما لا يمكن للبشر دفعها،

(١) في ب: «واكبَّت».

(٢) في أ، هـ: «القلوب».

ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله .

وقرأ نافع ﴿الْظُّنُونُ﴾ و﴿الرَّسُولُ﴾ [الأحزاب: ٦٦] ، و﴿السَّيْلُ﴾ [الأحزاب: ٦٧] بالالف في الوصل وفي الوقف .

وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف ، وبإثباتها في الوقف دون الوصل .  
فأما إسقاطها : فهو الأصل .

وأما إثباتها : فلتعديل رؤوس الآي ؛ لأنها كالقوافي ، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة .

وأما من أثبتها في الحالين : فإنه أجرى الوصل مُجَرِّى الوقف .

﴿هَٰلِكَ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي : اختبروا ، أو أصابهم بلاء .

والعامل في الظرف : ﴿أَتَى﴾ .

وقيل : ما قبله .

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أصل الزلزلة : شدة التحريك ، وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب .

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ روي أنه يعني : مُعْتَبٌ بن قُشَيْر .

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال السهيلي : الطائفة تقع على الواحد فما فوقه ، والمراد هنا : أوس بن قبيظي<sup>(١)</sup> .

﴿يَتَأَهَّلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ يثرب : اسم المدينة .

(١) التعريف والإعلام ، للسهيلي (ص : ٢٥٥) .

وقيل: اسم البقعة التي المدينة في طرف منها.  
﴿مَقَامٌ﴾ اسم مَوْضِع من القيام؛ أي: لا قرار لكم هنا، يعنون مَوْضِع القتال.

وقرئ بالضم، وهو اسم موضع من الإقامة.  
وقولهم: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال.  
﴿وَيَسْتَفِذُنْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ أي: يستأذنه<sup>(١)</sup> في الانصراف.  
والمستأذن: أوس بن قيطي وعشيرته.  
وقيل: بنو حارثة.

﴿إِنَّ يَبُوتَنَا عَوْرَةً﴾ أي: منكشفة للعدو.  
وقيل: خالية للسراق.  
فكذبهم الله في ذلك.  
﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دَخِلَتْ عليهم المدينة من جهاتها.  
﴿ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يريد بالفتنة: الكفر أو قتال المسلمين.  
﴿لَأَتَوْهَا﴾ قرئ بالقصر بمعنى: جاؤوا إليها.  
وبالمد بمعنى: أعطوها من أنفسهم.  
﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الضمير للمدينة.  
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دخلت «قد» على الفعل المضارع لمعنى التهديد.

(١) في ب: «يستأذنه».



وقيل: للتقليل على وجه التهكم.

﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: الذين يعوقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم.

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، كانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم: «هلمَّ إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك<sup>(١)</sup> القتال».

وقد ذكر ﴿هَلُمَّ﴾ في «الأنعام»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس: القتال.

و﴿قَلِيلًا﴾:

صفة لمصدر محذوف تقديره: إِلَّا إِتْيَانًا قَلِيلًا.

أو مستثنى من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾، أي: إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَشْحَةً﴾ جمع شحيح:

فقليل: معناه: يَشْحُونُ بأنفسهم فلا يقاتلون.

وقيل: يشحون بأموالهم.

وقيل: معناه أشحة عليكم في وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أن تُقْتَلُوا<sup>(٣)</sup>.

(١) في د: «واتركوا».

(٢) انظر (٣١٧/٢).

(٣) في أ، ب: «يقتلوا».

وَنَضُبُّ ﴿أَشِحَّةً﴾ :

على الحال من ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾ ، أو ﴿الْمُعَوِّضِينَ﴾ ، أو من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾ .  
أو نضبُّ على الذمِّ .

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ نَظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي : إذا اشتدَّ الخوف من الأعداء .  
نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم .

﴿تَدَوَّرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ﴾ عبارة عن شدة خوفهم .  
﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْأَسْنَةِ حَدَادٍ﴾ السَّلْقُ بالألسنة : عبارة عن  
الكلام بكلام مستكره<sup>(١)</sup> .

ومعنى ﴿حِدَادٍ﴾ : فصحاء قادرين على الكلام ؛ أي : إذا نصركم الله فزال  
الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسبِّ وتنقص الشريعة .

وقيل : إذا غنمتم طلبوا من الغنائم .

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي : يشحُّون بفعل الخير .

وقيل : يشحُّون بالمغانم .

وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ .

﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ،  
وإنما المعنى : أنها لم تقبل ؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال .

وقيل : إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فإلحباط على هذا حقيقة .

(١) في ب : «مستكره» .

﴿يَخْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ الأحزاب هنا : هم كفار قريش ومن معهم .

والمعنى : أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة ، وهم قد انصرفوا .

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُّوكَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى ﴿يَوَدُّوا﴾ : يتمنوا ، و﴿بَادُّوكَ﴾ : خارجون في البادية ، و﴿الْأَعْرَابِ﴾ : هم أهل البوادي من العرب .

فمعنى الآية : أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى ؛ تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب ، وأن لا يكونوا في المدينة ، بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم .

[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ١١] وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ١٢ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ١٣ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٤ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَ اللَّهُ فَوْثًا عَزِيمًا ١٥ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَاحِبِهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ١٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْلُوهَا وَكَاتَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ١٧].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل.

وقرئ ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة، والمعنى واحد.

﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق؛ من أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين.

وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية، فعلموا أنهم يبتلون ثم يُنصرون<sup>(١)</sup>.

(١) كذا في نسخة خزانة القرويين، وفي بقية النسخ: «ينصرفون»!، والمثبت هو الأصوب والأنسب للسياق، وانظر الكشاف (١٢/٤٠٤).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني: من قُتل شهيدًا، قال أنس بن مالك: يعني: عمي أنس بن النَّضَر.

وقيل: يعني: حمزة بن عبد المطلب.

وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره.

وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: وفى العهد الذي عاهد الله عليه، ويدلُّ على هذا: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نحبه»<sup>(١)</sup> وهو لم يُقتل يومئذ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ المفعول محذوف؛ أي: ينتظر أن يقضى نحبه:

أي: ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس.

أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ﴾ الصياصي: هي الحصون.

ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرف قريش عن المدينة حصر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ؛ فحكم بأن يُقتل رجالهم ونسبى نساؤهم وذريتهم.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني: الرجال، وقُتل منهم يومئذ كل من أنبَت، وكانوا بين ثمان مئة والتسع مئة.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٢٧).

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني: النساء والذرية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني: أرض بني قريظة، قَسَمَهَا رسول الله ﷺ بين المهاجرين.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا﴾ هذا وعدٌ بفتح أرض لم يكن المسلمين قد وطئوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق.

ويحتمل عندي أن يريد به: أرض بني قريظة؛ لأنه قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ بالفعل الماضي، وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأمّا غيرها من الأرضين، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: «يورثكم»، وإنما كررها بالعطف؛ ليصفها بقوله: ﴿لَّمْ تَطْعُوهَا﴾: أي: لم تدخلوها قبل ذلك.

[يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ إِن كُنْتُمْ تَرُدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتَعْتَكُمْ وَأَسْرَخَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تَرُدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَخْرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِي مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لِسْتَنَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُمْ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُبْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾].

﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ إِن كُنْتُمْ تَرُدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية؛ سببها: أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرون حتى غمه ذلك.

وقيل: طلبن منه ملابس ونفقات كثيرة.

وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش، وهن: عائشة بن أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش، وهن: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق.

﴿فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتَعْتَكُمْ وَأَسْرَخَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أصل «تعال»: أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى: «أقبل»

في جميع الأمكنة.

﴿أَمْتَعَنَّ﴾ : من المتعة، وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت.

والسراح: الطلاق.

فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردنَ زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردنَ الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة فاخترت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهنَّ في ذلك، لم يقع طلاقٌ.

قالت عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعد<sup>(١)</sup> ذلك طلاقاً.

وإذا اختارت المخيرة الطلاق:

فمذهب مالك: أنه ثلاث.

وقيل: طلقة بائنة.

وقيل: طلقة رجعية.

ووصفُ السَّراح بالجميل يحتمل:

أن يريد: أنه دون الثلاث.

أو يريد أنه ثلاث، وجماله: حسن الرُّعي والثناء وحفظ العهد.

﴿لِلْمُخِسَّتِ مِنْكُنَّ﴾ «من» للبيان، لا للتبويض؛ لأن جميعهنَّ محسنات.

﴿بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ قيل: يعني: الزنا.

(١) في ج، د: «نعد».



وقيل : يعني : عصيانَ زوجهن ﷺ ، أو تكليفه ما يشقُّ عليه .

وقيل : عمومٌ في المعاصي .

﴿يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي : يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين ، وإنما ذلك لعلَّو رُبَّتْهُنَّ<sup>(١)</sup> ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يطالب على مقدار<sup>(٢)</sup> حاله .

وقرئ ﴿يُضَعَفُ﴾ :

بالياء ورفع ﴿الْعَذَابُ﴾ ، على البناء للمفعول .

وبالنون ونصب ﴿الْعَذَابُ﴾ ، على البناء للفاعل .

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَشْرًا﴾ قرئ :

بالياء ؛ حملاً على لفظ «مَنْ» .

وبالتاء ؛ حملاً على المعنى .

وكذلك ﴿وَتَعْمَلْ﴾ .

والقنوت هنا : بمعنى الطاعة .

﴿تُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي : يضاعف<sup>(٣)</sup> لهن ثواب الحسنات .

﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني : في الجنة .

(١) في هـ : «مرتبتهن» .

(٢) في ج ، د : «قدر» .

(٣) في ب ، د : «نضاعف» .

وقيل: في الدنيا.

والأول هو الصحيح.

﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَنْفَيَّتُ﴾ فَضَّلَهُنَّ اللَّهُ عَلَى النِّسَاءِ بِشَرَطِ التَّقْوَى، وَقَدْ حَصَلَ لَهُنَ التَّقْوَى فَحَصَلَ التَّفْضِيلُ عَلَى جَمِيعِ النِّسَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ: فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ؛ لِشَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِأَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نَهَى عَنِ الْكَلَامِ اللَّيِّنِ الَّذِي يُعْجِبُ الرِّجَالَ وَيُمِيلُهُمْ إِلَى النِّسَاءِ.

﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أَي: فَجُورٌ وَمِيلٌ لِلنِّسَاءِ.

وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هُوَ الصَّوَابُ مِنَ الْكَلَامِ.

أو<sup>(١)</sup> الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا نَهَى عَنْهُ.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قَرَأَ بِكسْرِ الْقَافِ، وَيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَقَارِ.

أَوْ مِنَ الْقَرَارِ فِي الْمَوْضِعِ، ثُمَّ حُذِفَتِ الرَّاءُ الْوَاحِدَةُ كَمَا حُذِفَتِ اللَّامُ فِي «ظَلْتُ».

(١) فِي ب، ج: «و».

وأما القراءة بالفتح :

فمن القرار في الموضع ، على لغة من يقول : قَرِرت - بالكسر - أَقَرُّ - بالفتح - ، والمشهور في اللغة عكس ذلك .

وقيل : هي من : قار يقار : إذا اجتمع .

ومعنى القرار أرجح ؛ لأن سودة رضي الله عنها قيل لها : لم لا تحجّين؟ فقالت : أمرنا الله أن نَقَرَّ في بيوتنا .

وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل ، وحينئذ قال لها عمار : إن الله أمرك أن تَقْرِي في بيتك .

﴿وَلَا تَبْرَحْ﴾ التبرج : إظهار الزينة .

﴿تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي : مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن ، من الانكشاف والتعرض للنظر .

وجعلها أولى ؛ بالنظر إلى حال الإسلام .

وقيل : الجاهلية الأولى : ما بين آدم ونوح .

وقيل : ما بين موسى وعيسى .

﴿الرَّجَسَ﴾ أصله : النجس ، والمراد به هنا : النقائص والعيوب .

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منادى ، أو منصوبٌ على التخصيص .

وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هم : أزواجه ، وذريته ، وأقاربه ، كالعباس وعليّ ، وكل من حُرِّمَتْ عليه الصدقة .

وقيل : المراد هنا : أزواجه خاصة، والبيت على هذا : المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال : «عنكن».

وروي أن النبي ﷺ قال : «نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين»<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾ خطاب لأزواج النبي ﷺ، خصّهن به بعد دخولهن مع أهل البيت.

وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكُّر بالقلب.

﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ : هي القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ : هي السنة.



(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨)، والترمذي (٣٢٠٥)، والنسائي في الكبرى (٤١٠/٧).

[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرَاتِ وَالصَّادِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٢٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزُوجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٩﴾ الَّذِيكَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣١﴾].

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية؛ سببها: أن بعض النساء قلن: ذكر الله الرجال ولم يذكرنا!، فنزل فيها ذكر النساء.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الإسلام: هو الانقياد، والإيمان: هو التصديق. ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه:

باختلاف المعنى، كقوله: ﴿لَمْ تَزِمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وبالاتفاق؛ لاجتماعهما، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ [التَّارِيَات: ٣٥] الآية.

وبالعموم، فيكون الإسلام أعم؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان

أَخْصَّ لَأَنَّهُ بِالْقَلْبِ خَاصَّةً، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

﴿وَالْقَانِصِينَ وَالْقَانِصَاتِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ، أَوْ الطَّاعَةِ .

﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

من صدق القول .

أو من صدق العزم .

أو العهد .

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ﴾ الْآيَةُ؛ مَعْنَاهَا: أَنَّهُ لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ اخْتِيَارٌ

مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ التَّسْلِيمُ وَالْإِنْقِيَادُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ:

﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾؛ لِأَن مَعْنَاهُ الْعُمُومُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .

وهذه الآية توطئة<sup>(١)</sup> للقصة المذكورة بعدها .

وقيل: سببها: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها<sup>(٢)</sup> لمولاه زيد بن

حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا: رضينا يا رسول الله .

واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها؟

وقد قيل: إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

(١) في أ، ب، هـ: «موطئة».

(٢) في أ، هـ: «فزوجها».

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه: بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ: بالعتق.

وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أُميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاضمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَسِيكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ يعني: فيما وصفها به من سوء المعاشرة.

أو: اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهياً عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال ﷺ: «أبغض المباح إلى الله الطلاق»<sup>(١)</sup>.

﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمرٌ جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب<sup>(٢)</sup>، ولكنه خاف أن يسلط الناس عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياءً وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريضاً على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسنها، فقال: ﴿أَسِيكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفاً من كلام الناس، لثلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه ﷺ: وهو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها.

قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً من الوحي لكتبت هذه الآية؛ لشدتها عليه.

وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨).

(٢) في أ، ب، هـ: «عيب».

زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: هو ما أعلمه الله به من ذلك.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ لم يُذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة.

والوטר: الحاجة.

قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع<sup>(١)</sup>.

والأحسن أن يكون أعم من ذلك، أي: لما لم يبقَ لزيد فيها حاجة زَوْجَهَا الله من نبيه ﷺ.

وأُسند الله تزويجها إليه تشريعاً له<sup>(٢)</sup>، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «إن الله زوجني نبيّه من فوق سبع سموات».

واستدلّ بعضهم بقوله: ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ على أن الأولى: أن يقال في كتاب الصّدّاق: «أنكحه إياها» بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية.

﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليعلم المؤمنون أن تزوّج نساءً أدعيائهم حلالاً لهم، فإن الأدعياء ليسوا بأبناء حقيقّة.

﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ المعنى: أن تزوّج النبي ﷺ لزَيْنَب بعد زيد حلالاً لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردٌّ على

(١) المحرر الوجيز (٧/١٢٣).

(٢) في د: «لها».



من تكلم في ذلك من المنافقين .

و﴿وَضَ﴾ هنا بمعنى : قسم الله له .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي : عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحله الله لهم .

وقيل : إن الإشارة بذلك إلى دواد في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى .

والعموم أحسن .

ونصب ﴿سُنَّةَ﴾ :

على المصدر .

أو على إضمار فعل .

أو على الإغراء .

﴿الَّذِينَ يَلْفُحُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ ، وهم الأنبياء .

أو رفع على إضمار مبتدأ .

أو نصب بإضمار فعل .

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ هذا رد على من قال في زيد بن حارثة : زيد بن محمد ، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زيد .

وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ؛ لأنه ﷺ ليس أباً لهما في الحقيقة ؛ لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابني بته ، وأما ذكور

أولاده فماتوا صغاراً؛ فليسوا من الرجال.

﴿وَحَاتِمَ النَّيِّشِنِ﴾ أي: آخرهم فلا نبي بعده ﷺ.

وقرئ:

بكسر التاء: بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم.

وبالفتح بمعنى أنهم خُتِمُوا به، فهو كالحاتم والطابع لهم.

فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده ﷺ؟

فالجواب: أن النبوة أتت<sup>(١)</sup> عيسى قبله ﷺ، وأيضاً فإن عيسى يكون إذا

نزل على شريعته ﷺ، فكانه واحد من أمته.



(١) في ج، د: «أوتيت».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ① وَسَخِّوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ②] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ③ تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ④ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑤ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ⑥ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ⑦ وَلَا نَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ⑧ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحَتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِذَةٍ تَعْنُدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ⑨ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنَوَاتِ عَمَّكَ وَنَوَاتِ عَمَّتِكَ وَنَوَاتِ خَالَكَ وَنَوَاتِ خَلْنِكَ النَّبِيِّ هَاجِرَن مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ⑩

⑪ تَرْجِي مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْتِي إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمِنْ أَبْنَعِيَّتٍ مِّمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْكَ بِمَا ءَالَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ⑫ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّفِيعًا ⑬]

﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به ، بخلاف سائر الأعمال .

والذكر يكون بالقلب وباللسان ، وهو على أنواع كثيرة ، من التهليل ، والتسبيح ، والحمد ، والتكبير ، وذكر أسماء الله تعالى <sup>(١)</sup> .

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ٣٧٧ / ١ .

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر. والأظهر أنه أمرٌ بالتسبيح في أول النهار وآخره.

وقال ابن عطية: أراد: في كل الأوقات، فحدّ النهار بطرفيه<sup>(١)</sup>.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم﴾ هذا خطابٌ للمؤمنين، وصلاة الله عليهم: رحمته لهم، وصلاة الملائكة عليهم: دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ ﴿يُصَلِّي﴾ في المعنيين على اختلافها.

وقيل: إنه على حذفٍ تقديره: «وملائكته يصلون».

﴿وَنَجِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني: يوم القيامة.

وقيل: في الجنة، وهو الأرجح لقوله: ﴿وَنَجِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]. ويحتمل أن يريد:

تسليم بعضهم على بعض.

أو قول الملائكة لهم: «سلامٌ عليكم».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد على أمته.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره وإرساله.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ استعارةٌ للنور الذي تضمّنه الدين.

﴿وَدَعَا أَذُنُهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا: مضاف إلى المفعول، ونُسِخ

(١) المحرر الوجيز (١٢٦/٧).

من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف.

والآخر: احتمال إذايتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا: مضاف للفاعل.

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية؛ معناها: سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول.

فالنكاح في الآية: هو العقد، والمس: هو الجماع، و﴿تَعْدُونَهَا﴾: من العدد.

﴿فَتَبَعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول، سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق، وقوله تعالى في «البقرة»: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها: يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها.

وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها؟

ويمكن الجمع بينهما: بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه، ومخصصة لعمومها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ في معناها قولان: أحدهما: أن المراد: أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ، كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهرهن.

والآخر: أن المراد: جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها، وهذا أوسع من الأول.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السَّراري بِمِلْكِ اليمين .  
 ويعني بقوله : ﴿أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ : الغنائم .

﴿وَنَنَائِ عِيكَ وَنَنَائِ عَمَتِكَ وَنَنَائِ خَالِكَ وَنَنَائِ خَلَتِكَ﴾ يعني : قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له ﷺ أعمام وعمات إخوة لأبيه ، ولم يكن لأمه ﷺ أخ ولا أخت ، فإنما <sup>(١)</sup> يعني بخاله وخالته : عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون : نحن أخوال رسول الله ﷺ .

فمن قال : إن المراد بقوله : ﴿أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ : مَنْ كانت في عصمته : فهذا عطفٌ عليهن ، وإباحةٌ لأن يتزوج قرابته زيادةً إلى مَنْ كان في عصمته .  
 ومن قال : إن المراد : جميع النساء ، فهذا تجريدٌ منهن ؛ على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم .

﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيصٌ تحرَّز به ممن لم يهاجر ، كالطُّلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة .

﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ مَنْ وَهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟

فقال ابن عباس : لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بِنِكَاحٍ أو مِلْكٍ يمين ، لا بهبةٍ نفسها ، ويؤيد هذا : قراءةُ الجمهور : ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾ - بكسر الهمزة - أي : إِنْ وقع ذلك .

وقيل : قد وقع ذلك ، وعلى هذا قرئ : ﴿أَنْ وَهَبَتْ﴾ - بفتح الهمزة - ،

(١) في ج ، د : «وانما» .

واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟

ف قيل : ميمونة بنت الحارث .

وقيل : زينب بنت خزيمة أم المساكين .

وقيل : أم شريك الأنصارية .

وقيل : أم شريك العامرية .

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : هبة المرأة نفسها مزية خاصة <sup>(١)</sup> بالنبي ﷺ دون غيره .

وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ؛ ليخصَّ المخاطب وحده .

وقيل : إن ﴿ خَالِصَةً ﴾ يرجع إلى كل ما تقدَّم ، من النساء المباحات له ﷺ ؛ لأن سائر المؤمنين قُصروا على أربع نسوة ، وأُبيح له ﷺ أكثر من ذلك .

ومذهب مالك : أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد ، خلافاً لأبي حنيفة .

وإعراب ﴿ خَالِصَةً ﴾ : مصدر ، أو حال ، أو صفة لـ ﴿ وَأَمْرًا ﴾ .

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ يعني : أحكام النكاح ؛ من الصِّدَاق والولِّي والاقتصار على أربع وغير ذلك .

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ يتعلق بالآية التي قبله <sup>(٢)</sup> أي : قد بينَّا أحكام النكاح ؛ لئلا يكون عليك حرج ، أو لئلا يُظنَّ بك أنك فعلت ما لا يجوز .

(١) في أ ، هـ : «خالصة» .

(٢) في ب ، ج ، د : «قبلها» .

وقال الزمخشري: يتعلّق بقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ مِنْهُنَّ وَتُتَوَّى إِلَيْكَ مِنْ نَشَأٍ﴾ معنى ﴿تُرْجَى﴾: تؤخّر وتُبعد، ومعنى: ﴿وَتُتَوَّى﴾: تضمّ وتقرّب.

واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء؟

ف قيل: إن ذلك في القسمة بينهما؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقلّ لمن شئت.

وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك من شئت وتطلق من شئت.

وقيل: معناه: تتزوج من شئت، وتترك من شئت.

والمعنى على كل قول: توسعة على النبي ﷺ، وإباحة له أن يفعل ما شاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه؛ أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له.

والضمير في قوله: ﴿مِنْهُنَّ﴾ يعود: على أزواجه ﷺ خاصة، أو على كل ما أحل له؛ على حسب الخلاف المتقدم.

﴿وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: مَنْ كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في ردّه بعد عزله.

والآخر: مَنْ ابتغيت ومن عزلت سواءً في إباحة ذلك.

ف «مِنْ»:

للتبعض على القول الأول.



وأما على الثاني فنحو قولك: «مَنْ لَقِيكَ مِمَّنْ لَمْ يَلْقَكَ سِوَاءً».

﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: إذا عَلِمْنَ أن هذا حَكْمُ الله قَرَّتْ به أَعْيُنُهُنَّ ورضين به، وزال ما كان بهنَّ من الغيرة، فإن سبب نزول هذه الآيات ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد<sup>(١)</sup> عليهن.

قال ابن عباس: لما خيرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك، بأن حرَّم عليه غيرهن<sup>(٢)</sup> من النساء؛ كرامةً لهنَّ.

والقول الثاني: لا يحلُّ لك النساء غير الأصناف التي سَمَّيْتُ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أي: لا يحلُّ لك غير مَنْ ذَكَرَ حَسْبَمَا تَقَدَّمَ.

وقيل: معنى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾: لا يحلُّ لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد.

واختلف في حكم هذه الآية؟

فقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ على القول بأن المراد به: جميع النساء.

(١) في د: «ولا تزيد».

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من نسخة ب.

وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد: من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر؛ لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه ﷺ كالأربع في حق أمته.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجَ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلاً منها.

وقيل: معناه: ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء، بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته، وهذا ضعيف.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهَا﴾ في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإماء.

والاستثناء:

في موضع رفع على البدل من ﴿النِّسَاءِ﴾.

أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في ﴿حُسْنُهَا﴾.



[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ ابْنَ اللَّهِ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٤١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مَثَبُهَا ﴿٤٨﴾].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾  
سبب هذه الآية على ما رواه أنس: أن رسول الله ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، أولم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حُجْر نساته، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف، فخرجوا عن ذلك.

وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحنيون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يُطْبَخَ<sup>(١)</sup>، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمرُوا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا.

(١) في ج: «ينضج».

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما<sup>(١)</sup> في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعل<sup>(٢)</sup> قول ابن عباس: في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمنت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإتي: هو الوقت. وقيل: إني الطعام: نُضِجُهُ وإدراكه، يقال: أَنَى يَأْنِي إِنَى. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أمرٌ بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيدٌ للنهي عن الدخول قبلها.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدبُ أدبِ الله به الثقلاء.

وقالت عائشة رضي الله عنها: حسبك من الثقلاء أن الله لم يَحْتَمِلْهم!

﴿وَلَا مُسْتَنْبِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوفٌ على ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾.

أو تقديره: «ولا تدخلوها مستأنسين».

ومعناه النهي عن:

أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض.

أو يستأنسوا حديث أهل البيت، واستأنسه: تسمعه وتجلسه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يعني: جلوسهم للحديث، أو دخولهم

بغير إذن.

(١) في أ، هـ: «لما».

(٢) في أ، ج، هـ: «فعلى».

﴿فَيَسْتَنِي مِنْكُمْ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم؛ بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: إن إخراجكم حق لا يتركه الله. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع: الحاجة من الأثاث وغيره.

وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ، وسببها: ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب.

وقيل: سببها: أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يحجب نساءه، فنزلت الآية موافقة لقول عمر.

قال بعضهم: لما نزل في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كنَّ لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهن متنقيات ولا غير متنقيات، خُصِّصْنَ<sup>(١)</sup> بذلك دون سائر النساء. ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد: أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال.

﴿وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجُكُمْ﴾ سببها: أن بعض الناس قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده؛ كرامة له ﷺ. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية؛ لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات.

(١) في ج: «خصصهن».

﴿وَلَا يَسْأَلُهُنَّ﴾ قيل: يريد: النساء<sup>(١)</sup> القرابة والمتصرفات لهن.

وقيل: يريد نساء جميع المؤمنات.

ويقوي الأول: تخصيص النساء بالإضافة إليهن.

ويقوي الثاني: أنهن كن لا يحتجن من النساء على الإطلاق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ اختلف فيمن أبيع لهن الظهور له من ملك

اليمين؟

فقيل: الإماء دون العبيد.

وقيل: الإماء والعبيد، وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى

هذا:

فقال قوم: من ملكته<sup>(٢)</sup> من العبيد دون من ملكه غيرهن، وهذا هو الظاهر

من لفظ الآية.

وقال قوم: بل جميع العبيد، كان في ملكهن أو في ملك غيرهن<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريف للنبي ﷺ.

وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرض إسلامي،

(١) في أ: «في النساء».

(٢) في ج، د، هـ «ملكته».

(٣) في ج: «أو في غير ملكهن».

فالأمر به محمولٌ على الوجوب، وأقلُّه مرةٌ في العمر.

وأما حكمها في الصلاة:

فمذهب الشافعي: أنها فرض تبطل الصلاة بتركه.

ومذهب مالك: أنها سنة.

وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على<sup>(١)</sup> إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافاً كثيراً.

وأما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد:

السلام عليه في التشهد في الصلاة.

أو السلام عليه حين لقائه.

وأما السلام عليه بعد موته: فقد قال ﷺ: «من سلم عليَّ قريباً سمعته، ومن سلم عليَّ بعيداً بلغته»<sup>(٣)</sup>؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذايةُ الله: هي بالإشراك به، ونسبة الصاحبة والولد به.

(١) في أ زيادة: «آل».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في د: «بلغني».

(٤) هذان حديثان، فقلوه: «فإن الله حرم...» إلخ أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود =

وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء.

وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى: يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقلوه: إن لي صاحبةً وولداً، وأما تكذيبه إياي فقلوه: لا يعيدني كما بدأني».

وأما إذاية رسول الله ﷺ: فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.

وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ<sup>(١)</sup> صفية بنت حُيَيٍّ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الآية في البهتان، وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشد من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكره بما فيه مما يكره.



= (١٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (٢/٢٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥) في ضمن حديث، وقوله: «من سلم عليّ قريباً.. إلخ وجدته بهذا اللفظ: «من سلم عليّ عند قبري سمعته..»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/١٤٠)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤/١٣٦)، وقال: «لا أصل له.. وليس بمحفوظ»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٠٣)، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزبيدي (٣/١٣٥).

(١) في أ، ج: «أخذ».



[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِجَةً وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْفَعُ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْسِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلَايًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا بَلِيغَتْنَا اللَّهُ وَالْأَطْعَمَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا السَّيْلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِجَةً وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾  
كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعياً إلى  
نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن،  
ويقع الفرق بن الحرائر والإماء.

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار.

وقيل: هو الرداء.

وصورة إدناؤه:

عند ابن عباس: أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة  
تبصر بها.

وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها.

وقيل: أن تغطي نصف وجهها.

﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يَعْرِفَ فَلَا يُؤْذِنُ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء، فإذا عُرِف أن المرأة حرة لم تُعارض بما تعارض به الأمة.

وليس المعنى: أن تُعرف المرأة حتى يُعلم من هي، إنما المراد: أن يُفَرَّق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يُعرفن بالسوء، وربما تعرّض لهن السفهاء.

﴿لَنْ يَنْفَعَهُنَّ الْمُنْفِقُونَ﴾ الآية؛ تَضَمَّنَتْ وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا.

ف قيل: إنهم لم ينتهوا، ولم يُنفذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة.

وقيل: إنهم انتهوا وسَترُوا أمرهم، فكفَّ عنهم إنفاذ الوعيد.

و﴿الْمُنْفِقُونَ﴾: هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر.

و﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: قومٌ كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه.

وقيل: هم الزناة؛ كقوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] -.

و﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: قومٌ كانوا يُشيعون أخبار السوء ويخوفون<sup>(١)</sup> المسلمين.

فَيَحْتَمِلُ أن تكون هذه الأصناف:  
متفرقة.

(١) في أ، هـ: «ويخيفون».

أو تكون داخلة في جملة المنافقين، ثم جردها بالذكر.  
﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلطك عليهم، وهذا هو الوعيد.  
﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور:  
للمدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أن يريد:

إلا جوارًا قليلًا.

أو وقتًا قليلًا.

أو عددًا<sup>(١)</sup> قليلًا منهم.

والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، ف﴿قَلِيلًا﴾:

على الاحتمال الأول: مصدر.

وعلى الثاني: ظرف.

وعلى الثالث: منصوب على الاستثناء.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصب:

على الذم.

أو بدل من ﴿قَلِيلًا﴾ على الوجه الثالث.

أو حال من ضمير الفاعل في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ تقديره: سَيُنْفَوْنَ مَلْعُونِينَ.

(١) في أ، ج، هـ: «وعدًا»!

﴿أَتَيْنَا ثُقُفًا أُحْذَرُوا﴾ أي: حيثما ظُفِرَ بهم أُسِرُوا، والأخذ: الأسر.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته، ونُصِبُهُ على المصدر.

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ أي: عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة.

وقيل: يعني: كفار بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا.

﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ بالتذكير، والساعة مؤنثة:

على تقدير: شيئًا قريبًا، أو زمانًا قريبًا.

أو لأن تأنيثها غير حقيقي.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾:

قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾.

أو: ﴿لَا يَحْذَرُونَ﴾.

أو محذوف.

وتقلب وجوههم:

تصريفها في جهات النار، كما تدور البضعة<sup>(١)</sup> في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة.

أو تغييرها<sup>(٢)</sup> عن أحوالها.

~~~~~

(١) البضعة: القطعة من اللحم. القاموس المحيط.

(٢) في أ: «تغيرها».

[يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٧٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٧﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٨﴾].

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذابتهم لهم: ما ورد في الحديث: أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراةً، وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آذُرٌ^(١)، فاغتسل موسى يوماً وحده وجعل ثيابه على حجر، ففرَّ الحجر بثيابه، وأتبعه موسى وهو يقول: «ثوبي حجر!، ثوبي حجر!»، فمرَّ في اتباعه على ملاٍ من بني إسرائيل فرأوه سليماً ما قالوا، فذلك قوله: ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾^(٢).

وقيل: إذابتهم له: أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكةً فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثرٌ، فبرَّاهُ الله موسى.

وروي أنه حَبِيٍّ فأخبرهم ببراءة موسى.

والقول الأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله.

(١) الآذُر: الرجل الذي به انتفاخ في الخصية. النهاية لابن الأثير (١/٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

واللفظ أعم من ذلك .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ الأمانة : هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي .

وقيل : هي الأمانة في الأموال .

وقيل : غُسل الجنابة .

والصحيح العموم في التكاليف .

وَعَرَضُهَا عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدراكًا ، فعرضت عليها الأمانة حقيقةً ، فأشفقت منها ، وامتنعت من حملها .

والثاني : أن تكون على وجه المجاز ، والمراد : تعظيم شأن الأمانة ، وأنها من الثقل بحيث إنها لو عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ ^(١) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، لَأَبَيْنَ مِنْ حَمْلِهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، فهذا ضربٌ من المجاز كقولهم : « عرضتُ الحِمْلَ العظيم على الدابة فأبت أن تحمله » ، والمراد أنها لا تقدر على حمله .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ ﴾ أي : التزم الإنسان القيامَ بالتكاليف مع شدة ذلك ، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه ، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول .

﴿ وَالْإِنْسَنُ ﴾ هنا : جنس .

(١) هنا انتهى سقط الورقة من ب .

وقيل : يعني : آدم .

وقيل : قاييل الذي قتل أخاه .

﴿لِعَذَابِ﴾ اللام للصيرورة؛ فإن حَمَلَ الأمانة كان سببَ تعذيبِ المنافقين
والمشركين، ورحمةٌ للمؤمنين .



﴿ سورة سبا ﴾

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ② وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ③ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ④ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحٍ أَلِيمٌ ⑤ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑥ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَشِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ إِنَّكُمْ لَعِىَّ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑦ أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جُنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ⑧ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ⑨] .

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ الْأَوَّلُ : فِي الدُّنْيَا ،
وَالثَّانِي : فِي الْآخِرَةِ . وَعَلَى هَذَا حَمَلُهُ الزَّمَخْشَرِيُّ ^(١) .

وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ الْأَوَّلُ لِلْعُمُومِ وَالْاِسْتِغْرَاقِ ، فَيَجْمَعُ

(١) الْكَشَافُ (١٢/٤٩٧) .

الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه الحمد في الآخرة، كقوله: ﴿فَكَيْفَ
وَنَحْلُ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل:

أن يريد به الجنس.

أو يريد به قوله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]،
أو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُوهُ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات^(١) وغير ذلك،
﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المطر
والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد
ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو
أبو سفيان ابن حرب.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى.

﴿وَلَا أَصْغَرُ﴾ معطوف على ﴿مِنْقَالُ﴾.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف^(٢).

ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع ﴿أَصْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا
الموضع.

(١) في أ، ب، هـ: «والأقوات»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/٤٩٨).

(٢) الكشاف (١٢/٥٠٤).

وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة^(١)، وإنما الخلاف في «يونس».

﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق:

بقوله: ﴿لَنَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

أو بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مبتدأ، وخبره الجملة بعده.

وقال ابن عطية: هو معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول^(٢).

وقد ذكر في «الحج» معنى ﴿سَعَوْا﴾، و﴿مُعْجِزِينَ﴾^(٣).

﴿الَّيْمِ﴾ بالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

وبالخفض: صفة لـ ﴿يَجْزِي﴾.

﴿وَيَرَى﴾ معطوف على ﴿لِيَجْزِيَ﴾.

أو مستأنف، وهذا أظهر.

﴿الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْعَمَ﴾ هم:

الصحابه.

(١) المحرر الوجيز (١٥٧/٧).

(٢) المحرر الوجيز (١٥٧/٧).

(٣) انظر (٢١١/٣).

أو من أسلم من أهل الكتاب.

أو على العموم.

﴿الْحَقُّ﴾ مفعول ثاني لـ ﴿يَرَى﴾؛ لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﷺ.

﴿يُنشِئُكُمْ إِذَا مُرِفْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَعِىَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى ﴿مُرِفْتُمْ﴾ أي: بليتيم في القبور، وتقطعت أوصالكم، و﴿كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾: مصدر.

والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة.

والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى ﴿إِنَّكُمْ لَعِىَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه: تُبعثون إذا مرقتم.

وقيل: العامل فيه: فعل مضمر مقدّر قبلها، وذلك ضعيف.

و﴿إِنَّكُمْ لَعِىَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمول ﴿يُنشِئُكُمْ﴾، وكسرت «إِنَّ»؛ للام التي في خبرها.

ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتيم في الأرض، ومرادهم: استبعاد الحشر.

﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة.

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ هذا ردُّ عليهم ، أي : أنه لم يفتقر على الله كذبًا ، وليس به جنة ، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْعَذَابِ :

عَذَابَ الْآخِرَةِ .

أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق ، ومحاولة ظهور الباطل .

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الضمير في ﴿يَرَوْا﴾ للكفار المنكرين للبعث .

وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم ؛ لأنهما محيطتان بهم .

والمعنى : ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا^(١) أن الذي خلقهما قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم ؟ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى تَهْدِيدًا لَهُمْ ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنْ نَشَأْ نُخِيفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ؛ أي : أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم ، فيعملوا^(٢) أنهم لا مهرب لهم من الله ؟ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة :

إلى إحاطة السماء والأرض بهم .

أو إلى عظمة خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ فَإِنْ فِيهَا آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْبَعْثِ .

(١) في أ ، ب ، هـ : «فيعلمون» .

(٢) في أ ، ب ، ج ، هـ : «فيعلمون» .

[﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُورِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ⑩ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقْدَرٍ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ⑪ ﴾ وَلِسَلِّمَنَّ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ آلَجِنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهٖ وَمَنْ يَرْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ⑫ ﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَنَمْنِيلٍ وَحَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ ⑬ ﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ⑭ ﴾] .

﴿ يَجِبَالُ أُورِي مَعَهُ ﴾ تقديره : قلنا يا جبال ، والجملة تفسير للفضل .

ومعنى ﴿ أُورِي ﴾ : سبَّحي ، وأصله من التَّأْوِيب ، وهو الترجيع ؛ لأن كان يرجع التسييح فترجعه معه .

وقيل : هو من التأويب بمعنى : السير بالنهار .

وقيل : كان ينوح ، فتُسعده ^(١) الجبال بصداها ، والطير بأصواتها .

﴿ وَالطَّيْرُ ﴾ بالنصب :

عطفت على موضع : ﴿ يَجِبَالُ ﴾ .

وقيل : مفعول معه .

وقيل : معطوف على ﴿ فَضْلًا ﴾ .

وقرئ بالرفع عطفاً على لفظ : ﴿ يَجِبَالُ ﴾ .

(١) في ج : « فتساعده » والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/٥١٧) .

﴿وَالنَّارُ لَهُ الْهَدِيدُ﴾ أي: جعلناه له لُيْنًا بغير نار، كالطين والعجين.

وقيل: لأن له الحديد؛ لشدة قوته.

﴿سَيِّفَتٍ﴾ هي الدروع الكاسية.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ معنى ﴿السَّرْدِ﴾ هنا: نَسْجُ الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها.

وقيل: لا تجعل المسمار رقيقًا ولا غليظًا.

﴿وَأَعْمَلُوا صَدِيقًا﴾ خطابٌ لداود وأهله.

﴿وَلَسَلَيَنَّ الرِّيحَ﴾ بالنصب: على تقدير: وسخرنا.

وقرئ بالرفع: على الابتداء.

﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ أي: كانت تسير به بالغداة^(١) مسيرة شهر، وبالعشي مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب، يحمل فيما روي أربعة آلاف فارس، فترفعه الريح ثم تحمله.

﴿وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ قال ابن عباس: كانت تسيل له باليمن عين من نحاس، يصنع منها ما أحب، والقطر: النحاس.

وقيل: القطر: الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون.

وقيل: المعنى: أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود.

(١) في أ، ب، هـ: «بالغدوة».

﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني : نار الآخرة .

وقيل : كان معه ملك يضربهم بسوط نار^(١) .

﴿مَحَرِّبَ﴾ هي القصور .

وقيل : المساجد .

﴿وَمَمْنِيلَ﴾ قيل : إنها كانت على غير صور الحيوان .

وقيل : على صور الحيوان ، وكان ذلك جائزاً عندهم .

﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية ، وهي البركة التي يجتمع فيها الماء .

﴿رَاسِيَتَ﴾ أي : ثابتات في مواضعها ، لا يستطيع أحد أن ينقلها لعظمتها^(٢) .

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود .

وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه :

مفعول من أجله .

أو مصدر في موضع الحال ، تقديره : شاكرين .

أو مصدر من المعنى ؛ لأن العمل شكرٌ ، تقديره : اشكروا شكرًا .

أو مفعول به .

﴿وَقِيلَ مَنْ عِبَادِيَ الْكَافِرُونَ﴾ يحتمل أن يكون : مخاطبة لآل داود ،

(١) في ج : « بسوط من نار » .

(٢) في د : « لعظمتها » .

أو مخاطبة لمحمد ﷺ.

﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ المنساة: هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز.

ودابة الأرض: هي الأرضة، وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره.
وَقَصُّصُ الْآيَةِ: أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير، وقام يصلي متكئاً على عصاه، فقُبِضَ روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة، لم يعلم أحد بموته، حتى وقعت العصا فخرّاً إلى الأرض. واختصرنا كثيراً مما ذكره الناس في هذه القصة؛ لعدم صحته.

﴿تَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ مِنْ تَيَّنَ الشَّيْءُ: إذا ظهر، وما بعدها بدل من ﴿الْجِنُّ﴾، والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب.

وقيل: ﴿تَيَّنَتِ﴾ بمعنى: علمت، و﴿أَنَّ﴾ وما بعدها: مفعول به على هذا، والمعنى:

علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحققوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم.

أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوة ذلك.
﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني: الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان، وتسخيرَه لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم^(١) موت سليمان.

(١) في ج، د: «عليها».

[لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَأَشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَبِيبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا
كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى
ظَاهِرَةً وَفَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرُ سِيْرُوا فِيهَا لَبَآئِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مِرْقَةٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾] .

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ : قبيلة من العرب سميت باسم أبيها
الذي تناسلت منه .

وقيل : باسم أمها .

وقيل : باسم موضعها .

والأول أشهر ؛ لأنه ورد في الحديث .

وكانت مساكنهم بين الشام واليمن .

﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهما وادي ، وكانت الجنات عن يمينه
وشماله .

و﴿جَنَّتَانِ﴾ :

بدل من ﴿آيَةٌ﴾ .

أو مبتدأ .

أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿كُلُوا﴾ تقديره : قيل لهم : كلوا من رزق ربكم ، قالت لهم ذلك الأنبياء .

وروي أنهم بُعث لهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم .

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي : كثيرة الأرزاق ، طيبة الهواء ، سليمة من الهوام .

﴿فَاعْرَضُوا﴾ أي : أعرضوا عن شكر الله ، أو عن طاعة الأنبياء .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سدٌّ يُمَسِّكُ الماء ؛ ليرتفع فتُسقى به

الجنات ، فأرسل الله على السد الجُرْدَ ، وهي دويبة خربت فيست الجنات .

وقيل : لما خرب السدَّ حمل السيل الجنات وكثيراً من الناس .

واختلف في معنى العرم ؟

ف قيل : هو السد .

وقيل : هو اسم ذلك الوادي بعينه .

وقيل : معناه : الشديد ، فكأنه صفة للسيل ، من العرامة .

وقيل : هو الجرذ الذي خرب السدَّ .

وقيل : المطر الشديد .

﴿أَكْلٍ خَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل - بضم الهمزة - :

المأكول .

والخبط : شجر الأراك .

وقيل: كل شجرة ذات شوك^(١).

والأثل: شجر يشبه الطَّرْفَاء.

والسدر: شجر معروف.

وإعراب ﴿خَطِ﴾:

بدلٌ من ﴿أَكُلْ﴾.

أو عطف بيان.

وقرئ بالإضافة.

﴿وَأَثْلٌ﴾ عطفٌ على ﴿أَكُلْ﴾ لا على ﴿خَطِ﴾؛ لأن الأثل لا أكَلَ له.

والمعنى: أنهم لما هلكَتِ الجنتان المذكورتان قبلُ أبدلهم الله منهما^(٢) جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق.

﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ معناه: لا يُنَاقَشُ ويُجَازَى بِمِثْلِ فعله إِلَّا الْكُفُورُ؛ لأن المؤمن قد يسمح الله له، ويتجاوز عنه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرَهُ﴾ هذه الآية وما بعدها وصفٌ حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم.

ويعني بـ ﴿الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: الشام، والقرى الظاهرة: قرى متصلة من بلادهم إلى الشام.

(١) في زيادة: «هي الخبط».

(٢) في ب، ج، هـ: «منها».

ومعنى ﴿ظَاهِرَةً﴾ : يظهر بعضها من بعض ؛ لا اتصالها .

وقيل : مرتفعة في الآكام .

وقال ابن عطية : معناه : خارجة عن المدن ، كما تقول : بظاهر المدينة أي : خارجها^(١) .

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي : قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة ، فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ، ولا يخاف جوعاً ولا عطشاً ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد .

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ ﴿بَعِدَ﴾ و ﴿بَعُدَ﴾ بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب .

والمعنى : أنهم يَطْرُوا النعمةَ ومَلُّوا العافية ، فطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ؛ ليمشوا في المفاوز ويتزوّدوا للأسفار^(٢) ، فعجّل الله إجابتهم .

وقرئ ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين على الخبر ، والمعنى : أنهم قالوا : إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذبٌ وجحدٌ للنعم .

﴿وَوَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني :

بقولهم : ﴿بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ .

أو بذنوبهم على الإطلاق .

(١) المحرر الوجيز (١٧٨/٧) .

(٢) في د : «الأسفارهم» .

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرّقناهم في البلاد، حتى ضُرب المثل بفرقتهم
فقليل: «تفرقوا أيدي^(١) سبأ».

وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على
بلادهم تفرقوا فتيا من منهم ستة ونشأ من أربعة»^(٢).

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ﴾ أي: وجد ظنه فيهم صادقاً، يعني: قوله:
﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].



(١) في د: «أيادي».

(٢) أخرجه أحمد (٥٢٨/٣٩)، وأبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢).

[قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْشَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْفِكُونُ ﴿٣٠﴾] .

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين وإقامة حجةٍ عليهم .

ويعني بـ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ : آلهتهم .

ومفعول ﴿زَعَمْتُمْ﴾ محذوف ؛ أي : زعمتهم أنهم آلهة ، أو زعمتهم أنهم شفعاء .

وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً .

﴿مِنْ شِرْكٍَ﴾ أي : نصيب .

والظَّهير : المُعين .

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى : لا تنفع الشفاعة عند

الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع ؛ فإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذنه .

وقيل: المعنى: لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله أن يُشَفَّع فيه.

والمراد: أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله، ففي ذلك ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨).
 ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة ﷺ؛ فإنهم^(١) إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يَفَزَعُونَ لذلك فزعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحق».

ومعنى ﴿فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: زال عنها الفزع.

والضمير في ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾: للملائكة.

فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدَّم لهم ذكْرُ يعود الضمير عليه؟

فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»، فذكرُ الشفاعة يقتضي ذكرَ الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دلَّ عليهم لفظ الشفاعة.

فإن قيل: بم اتصل قوله: ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، ولأي شيء وقعت ﴿حَقَّ﴾ غاية؟

فالجواب: أنه اتصل بما فهم من الكلام؛ من أنَّ ثَمَّ انتظارًا للإذن، وفزعًا وتوقُّفًا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويَقْرُبُ هذا في المعنى من

(١) في أ، ب، هـ: «أنهم».

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٣٨].

ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها، حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى ﴿فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحق»، فيقرؤون حيث لا ينفعهم الإقرار.

والصحيح: أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردُّ على الكفار الذين عبدوا الملائكة، بذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ سؤالٌ قصد به: إقامة الحجة على المشركين.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جوابٌ عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة.

﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَلَكٌ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزُّلٌ في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: «الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل»، ولا تُعيَّن بالتصريح أحدهما، ولكن تنبّه الخصم على النظر؛ حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل.

والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى، وأن الكفار في ضلال

مبين.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إخبارٌ يقتضي مسألته نسخها السيف.

﴿يَفْتَحُ يَبَينًا﴾ أي: يحكم، و﴿الْفَتْحُ﴾: الحاكم.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ إقامة حجة على المشركين .
والرؤية هنا رؤية قلب، ف ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ثالث، والمعنى: أروني
بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم كيف ^(١) وجه الشُّركة؟ .

وقيل: هي رؤية بصر، و ﴿شُرَكَاءَ﴾ حال من المفعول في ﴿أَلْحَقْتُمْ﴾؛
كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟

وفي قوله: ﴿أَرُونِي﴾ تحقير للشركاء وازدراء بهم، وتعجيز للمشركين .
وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن الإشراك .
وفي وصف الله بالعزیز الحكيم رد عليهم؛ لأن شركاءهم ليسوا كذلك .
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى: أن الله أرسل محمداً ﷺ إلى
جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء .
وإعراب ﴿كَافَّةً﴾: حال من «الناس»، قُدِّمت للاهتمام، هكذا قال
ابن عطية ^(٢) .

وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه لا يجوز،
وتقديره عنده: وما أرسلناك إِلَّا رسالةً عامة للناس ^(٣)، ف ﴿كَافَّةً﴾ صفة
للمصدر المحذوف .

وقال الزجاج: المعنى: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والتبشير ^(٤)،

(١) في د: «وكيف».

(٢) المحرر الوجيز (١٨٦/٧).

(٣) الكشف (٥٥٦/١٢-٥٦٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٢٥٤/٤).

فجعله حالاً من الكافّ، والتاء على هذا: للمبالغة، كالتاء في «راوية» و«علامة».

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ يعني: يوم القيامة.

أو: نزول العذاب بهم في الدنيا.

وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾.

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

﴿وَلَا يَنْصَبُ لَهُ سُلَيْمَانُ آلَهُ﴾

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

﴿وَلَا يُخَوِّفُهُ﴾

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾] .

﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي : الكتب المتقدمة ، كالطهارة والإنجيل .

وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ .

وقيل : الذي بين يديه : يوم القيامة ، وهذا خطأ وعكس ؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدم عليه .

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جواب «لو» محذوف ، تقديره : لرأيت أمراً عظيماً .

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي : يتكلمون ويجب بعضهم بعضاً .

﴿بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ أي : كفرتم باختياركم ، لا بأمرنا .

﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى : أن المستضعفين قالوا للمستكبرين :

بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا ، فأعراب ﴿مَكْرُ﴾ :

مبتدأ، وخبره محذوف.

أو خبر ابتداء مضمّر.

وأضاف ﴿مَكْرُ﴾ إلى ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ على وجه الاتساع.

ويحتمل أن يكون أضافه:

إلى المفعول.

أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: «نهاره صائم، وليله قائم»، أي: يُصام فيه ويُقام.

ودلّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين كفروا؟

فالجواب: أنه قد تقدّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدّم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم.

وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد.

والضمير يجمع^(١) المستضعفين والمستكبرين.

﴿مُتْرَفُوها﴾ يعني: أهل الغنى والتنعم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى

تكذيب الأنبياء.

والقصد بالآية: تسليّة النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له.

(١) في أ، هـ: «الجميع».

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ الضمير: لقريش، أو للمتربين المتقدمين.

قاسوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ يتضمن الردَّ عليهم بأن^(١) بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلقٌ بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر والعاصي، ويضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس؛ فليس في الدنيا^(٢) دليل على أمر الآخرة.



(١) في أ، ب، هـ: «فإن».

(٢) في أ، ب، هـ: «ذلك».

[وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ رَأَيْتُمُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ فَأَلْوِمْ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِسَنَدٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ﴿٣٣﴾ وَمَا ءَايَتُهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا ءَايَتْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣٥﴾].

﴿زُلْفَى﴾ مصدر بمعنى القرب، كأنه قال: تقربكم قربي.

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ﴾ استثناء من المفعول في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾، والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله.

وقيل: الاستثناء منقطع.

والأول أحسن.

﴿جَزَاءُ الضَّعِيفِ﴾ يعني: تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك.

﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ الآية؛ كررت هنا لا اختلاف القصد، فإن القصد بالأول: رد على الكفار، والقصد هنا: ترغيب للمؤمنين^(١) بالإنفاق.

(١) في ج: «المؤمنين».

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الخَلَفَ قد يكون بالمال، أو بالثواب .
 ﴿أَنْتَ وَلِئِنْ مِّنْ دُونِهِمْ﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم ،
 وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم .
 ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن : طاعتهم لهم في الكفر والعصيان .
 وقيل : كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبدون بعبادتها .
 ويحتمل أن يكون قومٌ قد عبدوا الجن ؛ لقوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾
 [الأنعام : ١٠٠] .

﴿وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ كِتَابٍ يَذْرُؤُنَهَا﴾ الآية ؛ معناها يحتمل وجهين :
 أحدهما : ليس عندهم كتبٌ تدلُّ على صحة أقوالهم ، ولا جاءهم نذيرٌ
 يشهد بما قالوه ، فأقوالهم باطلة ؛ إذ لا حجة لهم عليها ، فالقصد على هذا :
 ردُّ عليهم .

والآخر : أنهم ليس عندهم كتب ، ولا جاءهم نذير ، فيهم محتاجون إلى
 من يعلمهم ويُنذِرهم ؛ فلذلك بعث الله إليهم محمداً ﷺ ، فالقصد على هذا :
 إثبات نبوة محمد ﷺ .

﴿وَمَا بَلَّغُوا مِئْثَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ المِئْثَار : العُشر .

وقيل : عشر العشر .

والأول أصح .

والضمير في ﴿بَلَّغُوا﴾ : لكفار قريش ، وفي ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾ : للكفار

المتقدمين؛ أي: إن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين^(١) من القوة والأموال.

وقيل: الضمير في ﴿بَلَّغُوا﴾: للمتقدمين، وفي ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾: لقريش؛ أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة. والأول أصح، وهو نظير قوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، يعني: عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(١) في ج، د: «للمتقدمين».

[﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئًى وَقَرَدًى ثُمَّ تَنْفَكُرُوا مَا بَصَاحِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤١) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧) قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَنُمُ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١) وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاسُتُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣) وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (٥٤)].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ أي: بقضية واحدة؛ تقريباً عليكم.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة ف﴿أَنْ تَقُومُوا﴾:

بدل.

أو عطف بيان.

أو خبر ابتداء مضمرة.

ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياماً خالصاً لله تعالى، ليس فيه اتباع هوى ولا ميل.

وليس المراد بالقيام هنا: القيام على الرجلين؛ وإنما المراد: القيام بالأمر والجهد فيه.

﴿مَشْئًى وَقَرَدًى﴾ حال من الضمير في ﴿تَقُومُوا﴾، والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين؛ للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق، وتقوموا واحداً واحداً؛

لإحضار الذهن واستجماع الفكرة، ثم تفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أن ما به من جِنَّة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدلُّ على رجاحة عقله ومثانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغًا عظيمًا، فبدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفترٍ على الله.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح؛ أي: تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنَّة.

وقيل: هو استئناف.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: «إن أعطيتني شيئًا فخذ»، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْذِئُ بِالْحَقِّ﴾ القذف: الرمي، ويستعار للإلقاء، فالمعنى: يلقي الحق إلى أنبيائه.

أو يرمي الباطل بالحق فيذهب.

﴿عَلَّمُ الْقُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمرة.

أو بدل:

من الضمير في ﴿يَبْذِئُ﴾.

أو من اسم ﴿إِنَّ﴾، على الموضع.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني: الإسلام.

﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ الباطل: الكفر، ونفي الإبداء والإعادة:

عبارة عن أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهور.

أو عبارة عن ذهابه، كقوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقيل: الباطل: الشيطان.

﴿إِنَّكُمْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربته تعالى بعلمه وإحاطته^(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ جواب «لو» محذوف، تقديره: «لرأيت أمراً عظيماً».

ومعنى ﴿فَرَغُوا﴾: أسرعوا الهروب^(٢)، والفعل ماضٍ بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال.

ووقت الفرع: البعث.

وقيل: الموت.

وقيل: يوم بدر.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف **﴿إِنَّكُمْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾** يعني: قربته تعالى بعلمه وإحاطته، أقول: قوله: قربته بعلمه وإحاطته، معناه إثبات القرب العام؛ كالمعية العامة المقتضية للعلم، فيؤول المعنى أنه تعالى قريب من كل أحد، ومن كل شيء، ومع كل أحد، بعلمه وإحاطته، وما ذهب إليه المؤلف من إثبات القرب العام الراجع إلى العلم هو المناسب لمذهب الأشاعرة؛ فإنهم لا يثبتون لله قرباً خاصاً من بعض العباد؛ كالملائكة الذين عنده، فليس أحدٌ من العباد أقرب إليه من بعض، وذلك لقولهم: إنه تعالى في كل مكان، كما تقدم ذكر ذلك عنهم، وسبق التعليق عليه عند كلام المصنف على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. والله أعلم.

(٢) في أ، هـ: «إلى الهروب».

﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي: لا يقوتون الله إذا هربوا.

﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: من الموقف إلى النار إذا بُعثوا.

أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

أو من أرض بدر إلى القليب.

والمراد على كل قول: سرعة أخذهم.

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّا إِلَهُهُ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم.

والضمير المجرور: لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ التناوش - بالواو - : التناول، إلا أن

التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب.

وقرئ بهمز الواو، فيحتمل:

أن يكون المعنى واحداً.

أو يكون المهموز بمعنى الطلب.

ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم.

والمكان البعيد: عبارة عن تعذر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون،

أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون، وهو رجوعهم إلى الدنيا، أو^(١) انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه في قولهم: ﴿ءَأَمَّا إِلَهُهُ﴾.

(١) في ج، د: «و».

﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ فعل ماضٍ في المعنى معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولاجنة ولا نار، ويقولون في الرسول ﷺ: إنه ساحر أو شاعر.

والمكان البعيد هنا: عبارة عن بطلان ظنونهم، وبُعد أقوالهم عن الحق.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة.

وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ.

وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

﴿كَأَمْفَعَلٍ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: الكفار المتقدمين، وجعلهم أشياءهم؛ لاتفاقهم في مذاهبهم.

﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ يحتمل أن يتعلق:

بـ ﴿فَعَلٍ﴾.

أو بـ ﴿أَشْيَاعِهِمْ﴾.

على حسب معنى ما قبله^(١).

﴿فِي شَكِّ مُرِيٍّ﴾ هو أقوى الشك وأشدّه إظلاماً^(٢).

(١) أي: على حسب الاختلاف في وقت الفزع، هل هو يوم القيامة فيتعلق بـ ﴿أَشْيَاعِهِمْ﴾، أو هو يوم بدر فيتعلق بـ ﴿فَعَلٍ﴾. انظر: المحرر الوجيز (٧/ ١٩٩).

(٢) في ج، د: «ظلاماً».

﴿ سورة فاطر ﴾

[﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُتِعَ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١] مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٢ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَفَ تُؤْفَكُونَ ﴾ ٣ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ٤ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ ٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ٦ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ٧] .

﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا ﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء، ومتصرفين في أمر الله .

﴿ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُتِعَ ﴾ صفات لـ ﴿ أَجْنَحَةٍ ﴾ ، ولم ينصرف للعَدْل والوصف .

والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة .

﴿ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ قيل: يعني: حُسْن الصوت .

وقيل: حسن الوجه .

وقيل : حسن الخط .

والأظهر :

أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة .

أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ الفتح : عبارة عن العطاء ^(١) ،
والإمساك : عبارة عن المنع .

والإرسال : الإطلاق بعد المنع .

والرحمة : كل ما يَمُنُّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة .

فمعنى الآية : لا مانع لما أعطى الله ، ولا مُعْطِي لما منع الله .

فإن قيل : لم أنث الضمير في قوله : ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ وذكره في قوله :
﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا ﴾ وكلاهما يعود على ﴿ مَا ﴾ الشرطية ؟

فالجواب : أنه لما فسر الأول بقوله : ﴿ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ أنه ؛ لتأنيث الرحمة ،
وترك الآخر على الأصل من التذكير .

﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي : من بعد إمساكه .

﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ رَفَعُ ﴿ غَيْرُ ﴾ : على الصفة لـ ﴿ خَلْقٍ ﴾ على
الموضع .

وخفضه : صفة على اللفظ .

(١) في د : «الإعطاء» .

ورزق السماء: المطر، ورزق الأرض: النبات.

والمعنى: تذكيرٌ بنعم الله، وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية؛ تسلياً للنبي ﷺ على تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذبوك^(١) فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كُذِّبَ رسل من قبلك فنصرهم الله.

﴿الْعُرُوزُ﴾: الشيطان.

وقيل: التسويف.

.....

(١) في أ، هـ: «كذبوك».

[﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْشُّورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْغَزَا فَلِلَّهِ الْغَزَا جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يُلْحُ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكَكُمْ وَلَا يُبْنِيكُمْ مِثْلَ خَيْرٍ ﴿١٤﴾].

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ توقيف، وجوابه محذوف، تقديره: «أفمن زُيِّنَ له سوء عمله كمن لم يُزَيَّنْ له؟»، ثم بنى على ذلك ما بعده.
فالذي زُيِّنَ له سوء عمله: هو الذي أضلَّهُ الله، والذي لم يُزَيَّنْ له سوء عمله: هو الذي هداه الله.

﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ تسليّة للنبي ﷺ عن حُزْنِهِ لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ؛
لأن ذلك بيد الله.

﴿كَذَلِكَ الشُّورُ﴾ أي الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات

كذلك يحيي الموتى .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الآية؛ تحتمل ثلاثة معان:

أحدها - وهو الأظهر - : من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزة كلها لله .

والثاني : من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعاً ، فالمغالبة له مغلوب .

والثالث : من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعاً .

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل : يعني : لا إله إلا الله .

واللفظ يعلمُ ذلك وغيره من الذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وتعليم العلم ، فالعموم أولى .

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ لله ، وضمير المفعول : للعمل الصالح ، فالمعنى : أن الله يرفع العمل الصالح ؛ أي : يتقبله ويثيب عليه .

والثاني : أن ضمير الفاعل : للكلم الطيب ، وضمير المفعول : للعمل الصالح ، والمعنى على هذا : أنه لا يقبل عملٌ صالحٌ إلا ممن له كلمٌ طيب .

وهذا يصح إن قلنا : إن الكلم الطيب : «لا إله إلا الله» ؛ لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد .

والثالث : أن ضمير الفاعل : للعمل الصالح ، وضمير المفعول : للكلم الطيب ، والمعنى على هذا : أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب ،

فلا يُقبل الكلمُ إلا ممن له عمل صالح.

روي هذا المعنى عن ابن عباس، واستبعده ابن عطية^(١)، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يتأول: أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه.

﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ لا يتعدى «مكر»؛ فتأويله:

«يمكرون المكرات السيئات»، فتكون ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ مصدرًا.

أو تَضَمَّنَ^(٢) ﴿يَمْكُرُونَ﴾ معنى: يكتسبون، فتكون ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ مفعولًا.

والإشارة هنا: إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ سُوْرٌ﴾ البوار: الهلاك أو^(٣) الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يَبْطُل ولا ينفعهم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافًا.

وقيل: ذُكرنا وإناثًا، وهذا أظهر.

﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير: طول العمر، والنقص: قَصْره، والكتاب: اللوح المحفوظ.

(١) المحرر الوجيز (٢٠٦/٧).

(٢) في أ، هـ: «يُضَمَّن».

(٣) في د: «أو».

فإن قيل : إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله : ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على الشخص المعمّر؟
فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول - وهو الصحيح - : أن المعنى : ما يعمّر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، فوضع ﴿مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ في موضع : «من أحد»، وليس المراد شخصاً واحداً، وإنما ذلك كقولك : «لا يعاقب الله عبداً ولا يشبهه إلا بحق».

والثاني : أن المعنى : لا يُزاد في عمر إنسانٍ ولا يُنْقَص من عمره إلا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلاناً إن تصدّق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ : «صلة الرحم تزيد في العمر»^(١)، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعبٌ حين طعن عمر : «لو دعا الله لَزَاد في أجله»، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتجّ بهذه الآية^(٢).

والثالث : أن التعمير هو : كَثُبُ ما يُسْتَقْبَل من العمر، والنقص هو : كَثُبُ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) بلفظ : «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥١) : «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده : أخبرنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، قال : قال كعب . . .»، ورواه أيضاً عن عبد الرزاق معمر بن راشد كما في جامعه الملحق بالمصنف (٢٢٤/ ١١)، ورواه أيضاً الفريابي في كتاب القدر (ص : ٢٨١) عن عباس العنبري عن عبد الرزاق.

ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حق كل شخص^(١).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ قد فسرنا البحرين والفرات والأجاج في الفرقان^(٢)، و﴿سَائِغٌ﴾ في النحل^(٣).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله في الوجه الثاني من وجوه مرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَا يَمُوتُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُقْضَى مِنْ عُمرِهِ﴾ أن المراد من يعمر بسبب كالصدقة، أو يُنقص من عمره لعدم ذلك، فمن تصدق أو وصل رحمه زيد في عمره، بخلاف من ليس كذلك، واعترض رحمه الله على هذا الوجه بأنه يوافق قول المعتزلة القائلين بالأجلين، وأنه خلاف قول الأشاعرة، ولا شك أن قول المعتزلة بأن للإنسان أجلين مكتوبين؛ أحدهما معلق على سبب، وهذا السبب غير معلوم لله، وغير مكتوب، ولا ريب أن هذا القول باطل، وأهل السنة يقولون بما دلت عليه السنة؛ بأن طول العمر قد يكون بسبب من قبل العبد؛ كالبر والصلة، فمن عمر بهذا السبب، فالسبب والمسبب قد سبق بهما علم الله وكتابه؛ بمعنى أن الله قد علم وكتب أن هذا يطول عمره بذلك السبب، ويعلم سبحانه أنه لو لم يكن منه ذلك السبب لكان عمره دون ذلك، فهما أجلان؛ أجل معلوم مكتوب فلا يقع سواء، وأجل معلوم أنه لا يقع، فهو غير مكتوب، فعلم الله شامل لما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون. وبذلك يعلم أنه لا تغير في علم الله ولا في كتابه، ويمتنع أن يحدث ما يوجب ذلك؛ أي: التغير في علم الله وكتابه. وأما المعتزلة فقولهم بالأجلين معناه - على ما ذكره أبو منصور الماتريدي في تفسيره (٤٩١/١) - أن الله تعالى يجعل لكل أحد أجلين، فإذا وصل رحمه أماته في أبعد الأجلين، وإذا لم يصل جعل أجله الأول، قال أبو منصور متعباً: «فهذا أمر من يجهل العواقب، فأما من كان عالماً بالعواقب فلا؛ لأنه بدو ورجوع عما تقدم من الأمر» اهـ. ومن فروع قول المعتزلة: إن أفعال العباد غير مخلوقة لهم ولا مقدرة، من فروع ذلك: أن المقتول مقطوع عليه أجله، وأهل السنة يقولون: إن المقتول ميت بأجله.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) انظر (٧٦٠/٢).

والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

وقال الزمخشري: المعنى: أن الله ضرب البحرين الملح والعذب مثليين للمؤمن والكافر^(١)، وهذا بعيد.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوت.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجواهر والمرجان.

فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب؛ فكيف قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ أي: من كل واحد منهما؟
فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوُّز في العبارة، كما قال: ﴿يَتَمَعَّثَرُ جَلِجَنٌ وَالْإِنسُ أَلْفٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسول إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصبُّ أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبُّ^(٢) في البحر الملح: كان الإخراج منهما جميعاً.

الثالث: زعم قوم أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحس.

﴿مَوَاحِرَ﴾ ذكر في «النحل»^(٣).

(١) الكشاف (١٢/٦٢٥).

(٢) في ج، د: «نصب».

(٣) انظر (٢/٧٣٦).

﴿يُولِجُ﴾ ذكر في «لقمان»^(١).

﴿فَطَمِيرٌ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها؟.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل.

وكُفِّر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون:

بكلام يخلقه الله عندها.

أو بقرينة الحال.

﴿وَلَا يَنْتَهِكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مُخْبِرٌ مثل مخبرٍ عالم به، يعني: نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يَكْفُرُونَ يوم القيامة بمن عبدتهم.



[﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٦ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ١٧ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ١٧ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ١٨ ﴿وَلَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ١٩ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنَا فَاِنَّمَا لِلنَّفْسِ مِنِّي وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ٢٠ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ ٢١ ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ ٢٢ ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ ٢٣ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ٢٤ ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ٢٥ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ٢٦ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ٢٧ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٢٨].

﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ خطابٌ لجميع الناس، وإنما عرّف ﴿الْفُقَرَاءَ﴾ بالألف واللام؛ ليدلّ على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء، ولكن فقر^(١) الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر.

ووضّفه بأنه الحميد؛ ليدلّ على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ ذكر في «سبحان»^(٢).

﴿وَلَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الجمل: عبارة عن الذنوب. والمثقلة: الثقلة الجمل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب.

(١) في ج، د: «فقراء».

(٢) انظر (٧٩٨/٢).

والمعنى : أنها لو دعت أحداً إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها .
وحذف مفعول ﴿وَأِنْ تَدْعُ﴾ ؛ لدلالة المعنى ، وقصد العموم .
وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .
﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المعنى : ولو كان المدعو ذا قرىبي ممن دعاه إلى حمل
ذنوبه لم يحمل عنه شيئاً ؛ لأن كل أحد يقول : نفسي نفسي .
﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ المعنى : أن الإنذار لا ينفع إلا الذين
يخشون ربهم ، وليس المعنى : اختصاصهم بالإنذار .
﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ ؛ أي : يخشون
ربهم ، وهم غائبون عن عذابه ، أو غائبون عن الناس ، فخشيتهم حق لا رياء .
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۝١٤﴾ تمثيل للكافر والمؤمن .
﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝١٥﴾ تمثيل للكفر والإيمان .
﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝١٦﴾ تمثيل للثواب والعقاب .
وقيل : ﴿الظُّلُّ﴾ : الجنة ، و﴿الْحَرُورُ﴾ : النار .
(والحرور في اللغة : شدة الحر بالنهار والليل ، والسَّمُوم : بالنهار
خاصة)^(١) .
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحَي ، ومن لم يؤمن
فهو كالميت .

(١) سقط من أ ، ب ، هـ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء .

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن عدم سمع الكفار للبراهين والمواعظ ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم .

وقيل : المعنى : أن أهل القبور - وهم الموتى حقيقة - لا يسمعون ، فليس عليك أن تسمعهم ، وإنما بعثت إلى الأحياء .

وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون ، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب .

ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث : بأن الموتى في القبور إذا رُدَّتْ إليهم أرواحهم سمعوا ، وإن لم تردَّ إلى أجسادهم لم يسمعوا .

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه : أن الله قد بعث إلى كل أمة نبياً يقيم عليهم الحجة .

فإن قيل : كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة؟ ألا ترى أن بين عيسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم ست مئة سنة لم يبعث فيها نبي؟
فالجواب : أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة .

فإن قيل : كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة : ٣]؟

فالجواب : أنهم لم يأتهم نذيرٌ معاصر لهم ، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم ، وأيضاً فإن المراد بقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أن نبوة

محمد ﷺ ليست ببذع، فلا ينبغي أن تنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله: ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار؛ لكونهم لم يتقدم من يُنذِرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية؛ تسليّة بالتأسي.

﴿نَكِيرٍ﴾ ذكر في «سبأ»^(١).



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝١٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝١١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝١٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝١٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝١٤﴾ الَّذِي أَهْلَأَ دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝١٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۝١٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾].

﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد: الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان.

وقيل: يريد الأنواع.

والأول أظهر؛ لذكره البيض والحمرة والسود بعد ذلك.

وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار.

وفيه ردٌّ على الطبائعين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد.

﴿جُدُدٌ﴾ جمع جُدَّة، وهي الخطط والطرائق في الجبال.

﴿وَعَرِيبٌ﴾ جمع غَرِيب، وهو الشديد السواد.

وقدّم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن يتأخّر؛ لقصد التأكيد، ولأن^(١) ذلك كثيراً ما يأتي في كلام العرب.

﴿كَذَلِكَ﴾ يتعلّق بما قبله فيتّم الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، مثل الجبال المختلفة ألوانها، والثمرات المختلفة ألوانها، وذلك كله استدلالٌ على قدرة الله وإرادته.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني: العلماء بالله وصفاته وشرائعه علماً يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية»^(٢)؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه؛ فلذلك خصّ العلماء بالخشية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن.

وقيل: معنى ﴿يَتْلُونَ﴾: يتبعون.

والأول أظهر.

(١) في أ، ب، هـ: «لأن» بدون واو.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٩):

لم أجده هكذا، وفي الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية».

والخير:

﴿يَرْجُونَ نَجْرَةً﴾.

أو محذوف.

﴿لَنْ تَكْبُرَ﴾ أي: لن تكسُد، ويعني بالتجارة: طلب الثواب.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور: هي ما يستحقه المطيع من الثواب،
والزيادة: التضعيف فوق ذلك.

وقيل: الزيادة: النظر إلى وجه الله.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»^(١).

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، والتورث:
عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر
وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف
الثلاثة في أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقى^(٢)،
والمقتصد: بينهما.

وقال الحسن: السابق: من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه:
من رجحت سيئاته (على حسناته)^(٣)، والمقتصد: من استوت حسناته

(١) انظر (١/٣٠٨).

(٢) في ج: «المتقي».

(٣) زيادة من د، وهامش ب.

وسَيئاته ، وجميعهم يدخلون الجنة .

وروي أن رسول الله ﷺ قال : «سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له»^(١) .

وقيل : الظالم : الكافر ، والمقتصد : المؤمن العاصي ، والسابق : التقي .
فالضمير في ﴿مَنْهُمْ﴾ على هذا : يعود على العباد .

وأما على القول الأول : فيعود على ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا﴾ ، وهو أرجح وأصح ؛ لوروده في الحديث ، وجلالة القائلين به .

فإن قيل : لم قَدَّم الظالم ووسَّط المقتصد وأخَّر السابق ؟

فالجواب : أنه قَدَّم الظالم لنفسه رفقا به ؛ لثلاث يئس ، وأخَّر السابق لثلاث يُعَجَّب بنفسه .

وقال الزمخشري : قَدَّم الظالم لكثرة الظالمين ، وأخَّر السابق لقلَّة السابقين^(٢) .

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى الاصطفاء .

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿الْفَضْلُ﴾ .

أو خبر مبتدأ تقديره : «ثوابهم»^(٣) جنات عدن .

أو مبتدأ تقديره : «لهم جنات عدن» .

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص : ٦٠) .

(٢) الكشف (٦٥٩/١٢) .

(٣) في د : «مناهم» .

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة.

وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة.

وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة^(١)، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد.

﴿أَسَاوِرَ﴾ ذكر في «الحج»^(٢).

﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ قيل: هو عذاب النار.

وقيل: أهوال القيامة.

وقيل: الموت.

وقيل: هموم الدنيا.

والصواب: العموم في ذلك كله.

﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، و﴿الْمُقَامَةِ﴾: هي الإقامة في الموضع، وإنما سُميت الجنة دار المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿نَصَبٌ﴾: نصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفس اللازم عن تعب البدن.

(١) الكشاف (١٢/٦٥٨).

(٢) بل ذكر في «الكهف» (٣/٢٦).

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يَفْتَعِلُونَ من الصُّرَاخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾.

وفي قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعتراف^(١) بسوء عملهم وتندم عليه.
﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ الآية؛ توبيخ لهم وحجة عليهم.
وقيل إن مدة التذكير: ستون سنة.

وقيل: أربعون.

وقيل: البلوغ.

والأول أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «من عمَّره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر»^(٢).

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ يعني: النبي ﷺ.

وقيل: يعني: الشيب؛ لأنه نذير بالموت.

والأول أظهر^(٣).

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾

(١) في أ، هـ: «اعترفهم».

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/١٠)، وأخرجه البخاري

(٦٤١٩) بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله، حتى بلغه ستين سنة».

(٣) في ب: «أرجح وأظهر».

[إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ بَعْدَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ لَبِئْسَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٣٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٣٤﴾ وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٣٥﴾].

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تُضمّره الصدور وتعتقده.

قال الزمخشري: «ذات» هنا: تأنيث «ذو» بمعنى صاحب؛ لأن المضمّرات تصحب الصدور^(١).

﴿خَلَائِفَ﴾ ذكر في «الأنعام»^(٢).

(١) الكشف (١٢/٦٦٥-٦٦٦).

(٢) انظر ٢/٣٢٧.

﴿مَقْنَا﴾ المقت: احتقارك^(١) الإنسان ويغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه .
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية؛ احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم .
 ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيب .

﴿عَلَىٰ يَنَنَّتِ﴾ أي: على أمر جلبي .
 والضمير في ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون:
 للأصنام .

أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنى .
 والأول أليق بما قبله من الضمائر .
 ﴿أَنْ تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا .
 أو مفعول به؛ لأن ﴿يُمْسِكُ﴾ بمعنى: يمنع .
 ﴿وَلَكِنْ زَالَتَا﴾ أي: لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد .
 وقيل: أراد: زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف
 الجبال .

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ترك^(٢) الإمساك .
 ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود

(١) في ج، د: «احتقار» .

(٢) في أ، ب، هـ: «تركة» .

والنصارى؛ جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكوننَّ أهدي منهم.

﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿أَسْكَبَارًا﴾ بدلٌ من ﴿نُفُورًا﴾.

أو مفعولٌ من أجله.

﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف^(١)، كقولك: «مسجدُ الجامع»، و«جانبُ الغربي»، والأصل أن يقال: المكرُ السيئ.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: لا يُحيط وبأل المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره.

وقال كعب لابن عباس: إن في التوراة: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، فقال ابن عباس: أنا أجد هذا^(٢) في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

(١) كذا وردت العبارة في جميع النسخ الخطية، والعبارة فيها قلبٌ ولعل صوابها: «من

إضافة الموصوف إلى الصفة»، كذا قال مكي في «مشكل إعراب القرآن» (٥٩٦/٢)،

فالموصوف - وهو ﴿مَكْرَرٌ﴾ - أضيف إلى صفته - وهي ﴿السَّيِّئُ﴾، وليس العكس.

(٢) في أ، هـ: «أجدها».

﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي : لا يَقُوتُهُ شَيْءٌ ، ولا يصعب عليه .
﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الضمير للأرض ، والدابة : عمومٌ في كل ما يَدِبُّ .

وقيل : أراد بني آدم خاصة .

﴿إِلَّا أَجَلَ مُسَمًّى﴾ يعني : يوم القيامة .

وباقى الآية وعدٌ ووعد .



﴿سورة يس﴾

[﴿يس﴾ ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ نَزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غَشَاقًا فَهُمْ مُنْمِقُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ١٢﴾].

قد تكلمنا في «البقرة»^(١) على حروف الهجاء.

وقيل: في ﴿يس﴾ إنه من أسماء النبي ﷺ.

وقيل: معناه: «يا إنسان».

﴿نَزِيلُ﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمرة.

وبالنصب:

مصدر.

أو مفعول بفعل مضمرة.

(١) انظر (١/ ٢٦١).

﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش، ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الناس.

﴿مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ نافية، والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لأبائهم رسول ينذرهم.

وقيل: المعنى: لتنذر قَوْمًا مثل ما أنذر آبائهم، فـ ﴿مَّا﴾ على هذا: موصولة بمعنى «الذي»، أو مصدرية.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾، يعني: أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون^(١) بمعنى قولهم: ﴿مَّا أَتْنَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣] ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم^(٢) ولا آبائهم الأقربون.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ الآية؛ فيها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر، ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جُعِلَ في عنقه غُلٌّ يمنعه من الالتفات، وُعْطِيَ على بصره فصار لا يرى.

والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر، فرجع عنه فزعا مرعوبا.

(١) في أ، ب، هـ: «ونكون».

(٢) لم ترد في أ، ب، د، هـ.

والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله بعدها ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ الذَّقْن: هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية.

والضمير للأغلال، وذلك أن الغُلَّ حَلَقَةٌ في العنق، فإذا كان واسعاً عريضاً وصل إلى الذَّقْن فكان أشدَّ على المغلول.

وقيل: الضمير للأيدي، على أنها لم يتقدَّم لها ذكرٌ، ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تضم يده^(١) في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود: «إنا جعلنا في أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان»، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري^(٢).

﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ يقال: قَمَحَ البعيرُ: إذا رفع رأسه، وأقمحه غيره: إذا فعل به ذلك.

والمعنى: أنهم لما اشتدَّت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع.

وقيل: معنى ﴿مُقْمَحُونَ﴾: ممنوعون من كل خير.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا﴾ الآية؛ السُّدُّ: الحائل بين الشيئين، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان.

(١) في أ، ب، هـ: «يده».

(٢) الكشاف (١٣/١٣-١٤).

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطينا على أبصارهم، وذلك أيضًا مجازًا يراد به: إضلالهم.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ ذكرنا معناها وإعرابها في «البقرة»^(١).

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر، وهو القرآن.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد ذكرناه في «فاطر»^(٢).

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي: نبعثهم يوم القيامة.

وقيل: إحيائهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان.

والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآتَاهُمْ﴾ أي: ما قَدَّمُوا من أعمالهم، وما تركوه بعدهم، كعلم علموه أو تحييس حبسوه.

وقيل: الآثار هنا: الخطأ إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث^(٣).

(١) انظر (٢٦٩/١).

(٢) انظر صفحة ٢١٦.

(٣) أخرج البخاري (٦٥٥) من حديث أنس، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله: قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم، يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

﴿إِنَّمَا تُنَبِّئُ﴾ أي: في كتابٍ، وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.

[وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِنَّكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُم لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ أَتْبَعُوكَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوكَ مِنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يَرِذِينَ الرَّحْمَنُ بِضُرِّي لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدُنَّا مُّحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾] .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ الضمير لقريش، و﴿مَثَلًا﴾ و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ ﴿أَضْرِبْ﴾ على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين، وهو الصحيح .
والقرية: أنطاكية .

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله .

وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا: قول قومهم: ﴿مَا أَنْتُمْ

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ، فإن هذا إنما يقال لمن ادّعى أن الله أرسله .

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي : قوينا الاثنين برسول ثالث ، وقيل : اسمه شمعون .

﴿وَرَبَّنَا بَعْلُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام ؛ لأنه جوابٌ للمنكرين ، بخلاف الموضع الأول ؛ فإنه إخبار مجردٌ .

﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي : تشاءمنا ، وأصل اللفظة : مِنْ زَجَرِ الطير ؛ ليستدلَّ على ما يكون من خير أو شر ، وإنما تشاءموا بهم ؛ لأنهم جاؤوا بدين غير دينهم .

وقيل : وقع فيهم الجُذام لما كفروا .

وقيل : قَحَطُوا .

﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي : قال الرسل لأهل القرية : شؤمكم معكم ؛ أي : إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم ، لا بسببنا .

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط ، وفي الكلام حذفٌ تقديره : أتتطِّرون إن ذُكرتم ؟ .

﴿يَسْعَى﴾ أي : يسرع ؛ لجِدِّهِ^(١) ونصيحته .

وقيل : اسمه : حبيب النجار .

﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي : هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرًا على الإيمان ، فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم ،

(١) في ج : «بجده» .

وتربحون معهم الاهتداء في دينكم .

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى : أي شيء يمنعني من عبادة ربي ؟ ، وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه ، ولذلك قال : ﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ﴾ فخاطبهم .

﴿إِنْ يُرِذِنِ الرَّحْمَنُ يَضُرِّ لَّا تُغْنِي عَنْكَ شَفَعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة ، والمعنى : كيف اتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ، ولا ينقذونني من الضر .
﴿إِنِّي إِذًا لَّيِّنُ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٤) أي : إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين .

﴿إِنِّي أَنَا أَنْتُ بَرَبِكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (١٥) خطاب لقومه ؛ أي : اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي .

وقيل : خطاب للرسل ؛ ليشهدوا له .

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قبل هذا محذوف يدل عليه الكلام ، وروي في الأثر ؛ وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه ، فلما مات قيل له : ادخل الجنة .
واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء ؟ أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها ؟

﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (١٦) بما عقر لي ربي ﴿تمنى أن يعلم قومه بعقران الله له على إيمانه فيؤمنوا ، ولذلك ورد في الحديث : «أنه نصح لهم حياً وميتاً»^(١) .
وقيل : أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه ، ويحزنهم ذلك .

(١) قال الزبيلي في تخريج أحاديث الكشاف (١٦٣/٣) : «رواه ابن مردويه في تفسيره» .

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المعنى : أن الله أهلكتهم بصيحة صاحها جبريل ، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء ؛ لأنهم أهون من ذلك .

وقيل : المعنى : ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلاً كما قالت قريش : ﴿لَوْلَا أَنزَلِ إِلَهِهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ٧] .

ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول ، وكذلك ذُكر الصيحة بعد ذلك .

﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ما كنا لنُنزل جنداً من السماء على أحد .

﴿فَإِذَا هُمْ خَكِيدُونَ﴾ أي : ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون .

﴿يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة ، كأنه قيل ^(١) : «يا حسرة احضري فهذا وقتك» ، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسول .

ويحتمل أن يكون من كلام : الملائكة ، أو المؤمنين من الناس .

وقيل : المعنى : يا حسرة العباد على أنفسهم .

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير : لقريش ، أو للعباد على الإطلاق ، والرؤية هنا : بمعنى العلم .

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ قرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف ، وهي لام التأكيد دخلت على «ما» الزائدة ، و﴿إِنْ﴾ على هذا : مخففة من الثقيلة .

وقرئ بالتشديد ، وهي بمعنى «إلا» ، و﴿إِنْ﴾ على هذا نافية .

(١) في ب ، د ، هـ : «قال» .

[وَأَيَّاهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾
 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿١٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ
 ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا
 تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَأَيَّاهُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
 فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿١٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
 ﴿١٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
 تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَيَّاهُ لَهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
 فِي الْفَلَكَ الْمَسْحُونِ ﴿٢١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ
 لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مَا بَيْنَ
 أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
 مُعْرِضِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أطعمهم إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٢٩﴾
 فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٠﴾].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿مَا﴾ معطوفة على ﴿ثَمَرِهِ﴾؛ أي: لياكلوا من
 الثمر ومما^(١) عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة.

وقيل: ﴿مَا﴾ نافية.

وقرئ ﴿مَا عَمِلْتُ﴾ بغير هاء و﴿مَا﴾ على هذا: معطوفة.

﴿الْأَزْوَاجَ﴾ يعني: أصناف المخلوقات، ثم فسرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ﴾

(١) في ب، ج، د: «وما».

الْأَرْضُ ﴿ وَمَا بَعْدَهُ، فـ «مِنْ» في المواضع الثلاثة للبيان.
 ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أن نجرده منه، وهي استعارة.
 ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: لحدٍّ موقت تنتهي إليه من فلكها،
 وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين: الشَّوْءِي والصَّيْفِي.
 وقيل: مستقرها: وقوفها كل يوم وقت الزوال، بدليل وقوف الظل
 حينئذ.

وقيل: مستقرها: يوم القيامة حين تكوّر.
 وفي الحديث: «مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها»^(١)
 وهذا أصح الأقوال؛ لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح.
 وقرئ ﴿لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾؛ أي: لا تستقر عن جريها.
 ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ بالرفع:
 على الابتداء.
 أو عطفت على ﴿الْيَلُ﴾.
 وبالنصب: على إضمار فعل.
 ولا بدّ في ﴿قَدَرْتَهُ﴾ من حذف، تقديره: قدّرنا سيره منازل.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

ومنازل القمر ثمانية وعشرون، ينزل القمر كلّ ليلة واحدة منها من أول الشهر، ثم يستتر^(١) في آخر الشهر ليلةً أو ليلتين.

قال الزمخشري: «وهذه المنازل هي مواقع النجوم؛ وهي: الشَّرطان^(٢)، البُطَيْن، الثريا، الدَّبَران، الهَقَّعة، الهَنْعَة، الذَّرَاع، النُّثْرَة، الطَّرْف، الجَبْهَة، الزُّبْرَة، الصَّرْفَة، العَوَّاء، السَّمَاء، الغَفَر، الزُّبَانَى، الإكْلِيل، القلب، السَّوْلَة، النَّعائم، البَلْدَة، سَعْدُ الذَّابِح، سَعْدُ بُلْع، سَعْدُ السَّعُود، سَعْدُ الْأَخْيَةِ، فَرُغُ الدَّلْوِ الْمَقْدَم، فَرُغُ الدَّلْوِ الْمُؤَخَّر، الرَّشَاءُ^(٣)»^(٤).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ العرجون: هو غصن النخلة، شبه القمر به إذا تناهى في نقصانه.

والتشبيه في ثلاثة أوصاف؛ وهي: الرِّقَّة، والانحناء، والصُّفْرَة.

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «يَسْتَسِرُّ»، قال ابن سيده في المحكم (٤٠٨/٨) «وَأَسْتَسِرَّ الْهَلَالُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ: خَفِيَ، لَا يُلْفِظُ بِهِ إِلَّا مَزِيدًا... وَالسَّرَرُ وَالسَّرَرُ وَالسَّرَارُ وَالسَّرَارُ كُلُّهُ: اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَسِرُّ فِيهَا الْقَمَرُ»، وهي الموافقة لما في الكشف (١١٩٠/٢) ط: كلكتا.

(٢) في ب، ج، د: «السرطان» بالسين، والمثبت هو الصواب فالسرطان - بالسين - هو الذي يعدُّ من منازل القمر الثمانية والعشرين، وأما السرطان - بالسين - فهو من البروج الاثني عشر. انظر: الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٧، ١٢٠). وفي أ، هـ: «النَّطَح»، وهو اسم لمنزلة الشَّرطان أيضًا، والمثبت موافق لما في الكشف (٥١/١٣).

(٣) في ب: «بطن الحوت»، وهو من أسماء هذه المنزلة كما في الأنواء لابن قتيبة (ص: ٨٥) والمثبت موافق لما في الكشف.

(٤) الكشف (٥١/١٣-٥٥).

ووصفه بالقديم؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، هكذا قال بعضهم.

ويحتمل أن يريد: أن سير الشمس في الفلك بطيء، فإنها تقطع الفلك في سنة، وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع.

﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ﴾ يعني: أن كل واحد منهما جعل الله له وقتاً موقَّتا، وحدًا معلومًا لا يتعدَّاه، فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل.

ويحتمل أن يريد: أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه، فيكون المعنى كالذي قيل^(١) في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك: أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في «الأنبياء»^(٢).

﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۝١١﴾ معنى ﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

(١) في ب، ج، هـ: «قبل».

(٢) انظر (١٤٣/٣).

﴿أَلْفَلْكَ﴾ هنا يحتمل أن يريد به :

جنس السفن .

أو سفينة نوح ﷺ .

وأما الذرية : فقيل : إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح ﷺ ،
وسمى الآباء ذرية ؛ لأن الذرية تناسلت ^(١) منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ^(٢) .

وقيل : يعني : النساء ، وذلك بعيد .

والأظهر : أنه إن أراد بالفلك جنس السفن : فيعني جنس بني آدم ، وإنما
خصّ ذريتهم بالذكر ؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل
أعقابهم إلى يوم القيامة .

وإن أراد بالفلك سفينة نوح : فيعني بالذرية : من كان في السفينة ،
وسمّاهم ذرية ؛ لأنهم ذرية آدم ونوح ، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على
هذا : لنوع ^(٣) بني آدم ، كأنه يقول : الذرية منهم .

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ ^(٤) إن أراد بالفلك سفينة نوح : فيعني
بقوله : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ سائر السفن التي يركبها الناس .

وإن أراد بالفلك جنس السفن : فيعني بقوله : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ الإبل وسائر
المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير .

(١) في أ ، هـ : «متناسلة» .

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٠) .

(٣) في ب ، ج ، هـ : «النوع» .

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَلِنْ نَّشَأَ نَفَرُهُمْ﴾، ولا يُتصوّر هذا في المركوبات غير السفن.

﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث، ولا مُنقذ لهم من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ قال الكسائي: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على الاستثناء، كأنه قال: إلا أن نرحمهم.

وقال الزجاج: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على المفعول من أجله، كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إيّاهم.

﴿وَمَتَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْقُضُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب ﴿وَإِذَا﴾ محذوف، تقديره: «أعرضوا»، ويدلّ عليه: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم: ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة.

وقيل: ما بين أيديهم: عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم: عذاب الآخرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضّون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمنذ حرّمهم الله نحرّمهم نحن، وهذا كقولهم: «كن مع الله على المذبر».

والآخر: أن قولهم ردُّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: الأمور كلها بيد الله، فكان الكفار يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء؛ فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟.

ومقصودهم^(١) في الوجهين: احتجاجٌ لِبخلهم ومنعهم الصدقات، واستهزاء بمن حصَّهم على الصدقة^(٢).

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين.

أو يكون من كلام الله خطاباً للكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: يوم القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، يعني: النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصَّعَق.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: تأخذهم بغتة وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم.

وأصل ﴿يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون، ثم أدغم.

وقرئ بفتح الخاء، وبكسرهما، واختلاس حركتها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾ أي: لا يقدرُونَ أن يوصوا بما لهم وما عليهم؛ لسرعة الأمر.

(١) في ب، د: «ومقصودهم».

(٢) في ب: «بمن يعطي الصدقة».

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم؛
لسرعة الأمر.



[وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا
 مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كُنَّا إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
 وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ﴿٥٥﴾
 هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
 سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَتْيَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ
 إِلَيْكُمْ يَسْبِقَنِي يَوْمَ أَنْ لَا تُعْبَدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِثًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ
 جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
 عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
 لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتَ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
 عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي
 الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾] .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هذه النفخة
 الثانية، وهي نفخة القيام من القبور.

﴿الْأَجْدَاثِ﴾ : هي القبور.

﴿يَنسِلُونَ﴾ : يسرعون المشي.

وقيل : يخرجون.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ الويل : منادى، أو مصدر.

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنًا﴾ المرقد: يحتمل أن يكون: اسم مصدر، أو اسم مكان.

قال أبي بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر.

قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِنْ مَّرْقَدِنًا﴾ أنها استعارة وتشبيه به^(١)، يعني: أن قبورهم شبّهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد^(٢)، وإن لم يكن رقاد^(٣) في الحقيقة.

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿هَذَا﴾: مبتدأ، وما بعده: خبره.

وقيل: إن ﴿هَذَا﴾ صفة لـ ﴿مَّرْقَدِنًا﴾، و﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، وهذا ضعيف.

ويحتمل أن يكون هذا الكلام:

من بقية كلامهم.

أو يكون من كلام الله تعالى.

أو من كلام الملائكة.

أو المؤمنين، يقولونها^(٤) للكفار على وجه التقرير.

(١) المحرر الوجيز (٧/٢٥٦).

(٢) في ب: «الراقدين».

(٣) في ج، د: «راقدا».

(٤) في ب: «يقولونه».

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني: النفخة الثانية، وهي نفخة القيام.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ قيل: هو افتضاض الأبقار.

وقيل: سماع الأوتار.

والأظهر: أنه عام في الاشتغال بالنعيم^(١) واللذات.

﴿فَنَكِهُونُ﴾ قرئ:

بالألف، ومعناه: أصحاب فاكهة.

وبغير ألف، وهو في الفكاهة بمعنى الراحة والسرور.

﴿فِي ظِلِّلٍ﴾ جمع ظِلٌّ.

وقرئ بالضم، جمع ظُلَّةٍ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير.

﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أي: ما يتمنون.

وقيل: معناه: أن ما يدعون به يأتيهم.

﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ.

وقيل: بدل من ﴿مَا يَدْعُونَ﴾.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكّد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله، بواسطة

الملائكة، أو بغير واسطة.

(١) في ب: «بالنعم».

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَنهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة.

﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجِبِلُّ: الأمة العظيمة.

وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها.

وقرئ:

بكسر الجيم والباء وتشديد اللام.

وبضمهما مع التخفيف.

وبضم الجيم وإسكان الباء.

وهي لغات بمعنى واحد.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام، فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديد لقريش.

والطمس على الأعين: هو العمى، و﴿الصَّرَطَ﴾: الطريق، و﴿أَنَّى﴾: استفهام يراد به النفي.

فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم؛ فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه.

وقيل: يعني: عمى البصائر؛ أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم، والطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ هذا تهديدٌ بالمسخ.

ف قيل : معناه : المسخ قردةً وخنزير ، أو حجارة .

وقيل : معناه : لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين لا يستطيعون تصرفاً .

وقيل : إن هذا التهديد كله بما ^(١) يكون يوم القيامة .

والأظهر أنه في الدنيا .

﴿عَلَىٰ مَكَاتِهِمْ﴾ المكانة : المكان ، والمعنى : لو نشاء لمسخناهم مسخاً يُقْعِدُهُمْ في مكانهم .

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي : إذا مُسَخُوا في مكانهم لم يَقْدِرُوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا .

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي : نحول خِلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله ، وشبه ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم : ٥٤] .

وإنما قصد بذكر ذلك هنا : الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار ، كما قَدَّر على تنكيس الإنسان إذا هَرِمَ .

(١) في أ ، ب ، هـ : «إنما» .

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُذَكِّرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلَاتٍ أَيْدِيًا أَنْعَمَّا فَهُمَ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَصَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُغْلِبُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ الضميران^(١) لمحمد ﷺ، وذلك ردُّ على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا يَنْظِمُ الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه.

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب
وروي عنه أيضًا ﷺ:

هل أنت إلا إصْبَعٌ دَمِيتِ
وفي سبيل الله ما لقيتِ
وهذا كلامٌ على وزن الشعر.

(١) في ج، د: «الضمير».

فالجواب: أنه ليس بشعر؛ لأنه^(١) لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزوناً بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون.

ويقتضي قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ تنزيه النبي ﷺ عن الشعر؛ لما فيه من الأباطيل وإفراط التجوُّز^(٢)، حتى يقال: «إن الشعر أطيُّه أكذبُه»، وليس كلُّ الشعر كذلك؛ فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»^(٣).

وقد أكثر الناس في ذم الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلامٌ، والكلام منه حسنٌ ومنه قبيح.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن؛ يعني: أنه ذكرٌ لله.

أو تذكير للناس.

أو شرفٌ لهم.

﴿لَتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيَّ القلب والبصيرة.

﴿وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجب عليهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ مقصد الآية: تعديدُ نعمة^(٤) وإقامة حجة.

(١) في ج، د: «وأنه».

(٢) في ب، ج: «التجاوز».

(٣) أخرجه البخاري (٦١٤٥).

(٤) في أ، هـ: «نعمة الله».

والأيدي هنا :

عند أهل التأويل : عبارة عن القدرة .

وهي عند أهل التسليم : من المتشابه الذي يجب الإيمان به ، وعلمه عند الله ^(١) .

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب - بفتح الراء - : هو المركوب .

﴿وَلَقَدْ فِيهَا مَنْفَعٌ﴾ يعني : الأكل منها والحمل عليها ، والانتفاع بالجلود والصوف وغيره .

﴿وَمَشَارِبٌ﴾ يعني : الألبان .

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للأصنام ، وفي ﴿نَصْرَهُمْ﴾ للمشركين .

ويحتمل العكس .

ولكن الأول أرجح ؛ فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلمهم يُنصرون : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم ، فخاب أملهم .

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ الضمير الأول : للمشركين ، والثاني : للأصنام يعني : أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم ؛ حتى إنهم لهم كالجند .

وقيل : بالعكس ؛ بمعنى : أن الأصنام جندٌ محضرون لعذاب المشركين في الآخرة .

(١) انظر (٢/١٩٥)

والأول أرجح؛ لأنه تقييح لحال المشركين.

﴿فَلَا يُخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسلياً للنبي ﷺ، معللة بما بعدها.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة، ورد على من أنكر ذلك.

والنطفة: هي نقطة^(١) المني التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدر على خلقه من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث. وسبب الآية: أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: يا محمد من يحيي هذا؟

وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف.

وقيل: أبي بن خلف.

فقال له رسول الله ﷺ: «الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»^(٢). ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيءٌ مِثْنٌ﴾ أي: متكلم قادر على الخصام، يبين ما في نفسه بلسانه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارة إلى قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: نسي الاستدلال بخلقه الأولى على بعثه.

والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الزهول، أو الترك.

(١) انظر (١٩٥/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٦٦/٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتّنة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلالٌ بالخلقة الأولى على البعث.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كل شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها.

والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا، أو بمعنى المخلوق.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعين قالوا: طَبِعُ الموت يضادُّ طَبِعَ الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء، مع مضادة طبع الماء للنار.

وعني بـ ﴿الشَّجَرِ﴾: زِنَادُ العرب، وهو شجر المرخ والعفّار، فإنه يُقطع من كل واحد منهما غصناً أخضر يقطر منه الماء، فيسحق المرخ على العفّار، فينقدح^(١) النار بينهما.

قال ابن عباس: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العنّاب، ولكنه في المرخ والعفّار أكثر.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ هذا دليل آخر على البعث، فإن الإله الذي قَدَّرَ على خَلْقِ السموات والأرض على عظمتها وكِبَرِ أجرامها^(٢) قادرٌ على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها.

(١) في ب، ج: «فيقدح».

(٢) في د: «عظمتها وكبر أجرامها».

والضمير في ﴿مِثْلَهُمْ﴾ يعود على الناس .

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ في ذكر هذه الاسمين أيضًا استدلالٌ على البعث، وكذلك في قوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٧) ؛ لأن هذه (١) عبارة عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شك أن الخلاق العليم القدير (٢) لا يصعب عليه إعادة الأجساد .

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلالٌ على البعث، وتنزيهٌ لله عما نسبته (٣) الكفار إليه من العجز عن البعث، وإنهم (٤) ما قدروا الله حق قدره، وكلُّ من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه .



(١) في د: «هذا».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «القادر».

(٣) في ب، ج: «ينسبه».

(٤) في د: «فإنهم».

﴿ سورة الصافات ﴾

[﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① ۖ فَالَّذِينَ يَزْعُرْنَ زَجْرًا ② ۖ فَالَّتِيَلَيْبُ ذِكْرًا ③ ۚ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ④ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤ ۚ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرَبِينَةِ الْكُوْكَبِ ⑥ ۚ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ⑦ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمِلَآءٍ الْأَعْلَىٰ وَيُفْذَقُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑧ ۚ دُخْرًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِْبٌ ⑨ ۚ إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩ ۚ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ⑪ ۚ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ ۚ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ⑬ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ⑭ ۚ وَقَالُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّيْنٌ ⑮ ۚ أَوَإِذَا مَنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ ۚ أَوْ إِنَّا بِآيَاتِنَا أَكْوَونَ ⑰ ۚ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ⑱ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ⑲ ۚ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ⑳ ۚ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ㉞ ۚ]

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① ﴾ تقديره: والجماعات الصافات.

ثم اختلف فيها:

ف قيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفًا لعبادة الله.

وقيل: هي من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد.

والأول أرجح؛ لقوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ㉞﴾.

﴿ فَالَّذِينَ يَزْعُرْنَ زَجْرًا ② ﴾ هي الملائكة تزرع السحاب وغيرها.

وقيل : الزاجرون بالمواعظ من بني آدم.

وقيل : هي آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصي .

﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ (١) هي الملائكة تتلو القرآن والذكر .

وقيل : هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم .

وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد .

﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ يعني : مشارق الشمس ، وهي ثلاث مئة وستون مَشْرِقًا ، وكذلك المغارب فإنها تَشْرُقُ كُلَّ يوم من أيام السنة في مَشْرِقٍ منها ، وتَغْرُب في مغرب .

واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب ؛ لأنها مُعَادِلَةٌ لها ، فَتُفْهِمُ مِنْ ذِكْرِهَا .

﴿بَرِيَّةَ الْكَوَكِبِ﴾ قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب ، والزينة تكون : مصدرًا واسمًا لما يُزَان به .

فإن كان مصدرًا فهو :

مضافٌ إلى الفاعل ، تقديره : «بأن زَيَّنَتِ الكواكبُ السماءَ» .

أو مضاف إلى المفعول ، تقديره : «بأن زَيَّنَّا الكواكبَ» .

وإن كانت اسمًا : فالإضافة بيانٌ للزينة .

وقرئ بشنوين ﴿بَرِيَّةَ﴾ :

وخفض ﴿الْكَوَكِبِ﴾ : على البدل .

وينصب ﴿الْكُوكِبِ﴾ : على أنها :

مفعولٌ بـ ﴿زِينَةٍ﴾ .

أو بدلٌ من موضع ﴿زِينَةٍ﴾ .

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ :

على المصدر، تقديره : وحفظناها حفظًا .

أو مفعولٌ من أجله ، والواو زائدة .

أو محمول على المعنى ؛ لأن المعنى : إنا جعلنا الكواكبَ زينةً للسماء وحفظًا .

﴿مَّارِدٍ﴾ أي : شديد الشرِّ .

﴿لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِ الْأَعْلَى﴾ الضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ للشياطين ، و﴿الْأَلَى الْأَعْلَى﴾ هم الملائكة الذين يسكنون في السماء .

والمعنى : أن الشياطين مُنعت من سَمْع أحاديث الملائكة .

وقرئ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بتشديد السين والميم ، ووزنه يَتَفَعَّلُونَ ، والتَّسْمُعُ : طلب السماع .

فنفى السَّماع على القراءة الأولى ، ونفى طلبه على القراءة بالتشديد .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشراء : ٢١٢] ، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون ، لكنه لا يسمعون شيئاً منذ بعث محمد ﷺ ؛ لأنهم يُرْمَوْنَ بالكواكب .

﴿وَيَقْدُفُونَ﴾ أي: يُرْجَمُونَ، يعني: بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقض.

قال النقاش ومكي: ليست الكواكبُ الراجمةُ للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمة تُرى حركتها؛ لقربها منا^(١).

قال ابن عطية: وفي هذا نظر^(٢).

﴿دُحُورًا﴾ أي: طُرْدًا وإبعادًا وإهانةً؛ لأن الدَّحْر: الدفع بعنف وإعراجه:

مفعول من أجله.

أو مصدر من ﴿وَيَقْدُفُونَ﴾ على المعنى.

أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مدحورين.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يُرْجَمُونَ بالنجوم في الدنيا، ثم يعذبون بجهنم.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع، بدلٌ من الضمير في ﴿قُو﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾.

والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة.

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٠٨٦)

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٣).

﴿شِهَابٌ نَّاقِبٌ﴾ أي : شديد الإضاءة.

﴿فَأَسْتَفِينَهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ الضمير لكفار قريش ، والاستفتاء : نوع من السؤال ، وكأنه سؤال من يُعْتَبَرُ قوله ويُجعل حجة ؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم عليهم به الحجة .

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾ يراد به : ما تقدّم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارك والكواكب .

وقيل : يراد به : من تقدّم من الأمم .

والأول أرجح ؛ لقراءة ابن مسعود : «أَمْ مَنْ عَدَدْنَا» .

ومقصد الآية : إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة ، كأنه يقول : هذه المخلوقات أشدُّ خلقًا منكم ، فكما قدرنا على خَلْقَتِهِمْ^(١) كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم .

﴿إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ اللازب : اللازم ؛ أي : يلزم ما جاوره ويلصق به ، ووصفه بذلك يراد به ضعف خَلْقِهِ بَنِي آدَمَ .

﴿بِئْسَ عَجِبَتْ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي : عجبت يا محمد من ضلالهم^(٢) وإعراضهم عن الحق .

أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة .
وقرئ ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء ، وأشكل ذلك على من يقول : إن التعجب

(١) في أ ، ب ، هـ : «خلقكم» ، وفي ج : «خلقنكم» .

(٢) في ب ، ج ، د : «ضلالهم» .

مستحيلٌ على الله فتأولُه^(١) بمعنى : أنه جعله على حالٍ تعجَّب منها^(٢) الناس .

وقيل : تقديره : «قل يا محمد : عجبٌ» .

وقد جاء التعجُّب من الله في القرآن والحديث ، كقوله ﷺ : «يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة»^(٣) ، وهو صفة فعل ، وإنما جعلوه مستحيلاً على الله ؛ لأنهم قالوا إن التعجُّب استعظامٌ خفي سببه ، والصواب : أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب ، بل هو لمجرد الاستعظام ؛ فعلى هذا : لا يستحيل على الله^(٤) .

(١) في د ، هـ : «فتأولوه» .

(٢) في ب ، ج : «يعجب منه» ، وفي د : «يتعجب منها»

(٣) أخرجه أحمد (١٧٣٧٠) .

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف رحمه الله ، «وأشكل ذلك» إلخ أي : نسبة العجب إلى الله ، كما في القراءة المشار إليها ، وهي قراءة سبعية ، أي : أشكل ذلك على نفاة العجب عن الله ، وهم كل من ينفي قيام الصفات الفعلية بالله ؛ كالأشاعرة والكلائية والماتريدية ، وهم الذين عناهم المؤلف بقوله : إنهم يقولون : إن التعجب مستحيلٌ على الله ؛ لأنه استعظام شيء خفي سببه ، وقد خالفهم المؤلف في تفسير التعجب ، فجوّزه على الله ، واستشهد له ببعض ما جاء في السنة ، وقد أصاب في ذلك ، والذين نفوا العجب عن الله أولوا ما جاء في القرآن والسنة مما يدل على إثبات العجب بتأويلات ، منها ما أورده المؤلف ، فجمعوا بين التعطيل بنفي الصفات ، والتحريف بتأويل الآيات ، والجاري على مذهب أهل السنة والجماعة إثبات العجب من الله ، كغيره من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ، كالغضب والرضا والمحبة والكراهة ، وليس شيء من ذلك يشبه صفات المخلوقين ، فليس عجب الله كعجب المخلوق ، ولا حبه كحبه ، ولا رضاه كرضاه . وهذا هو الحق الذي قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة .

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك، أو من العرش.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا: العلامة، كانشقاق القمر ونحوه.

وروي أنها نزلت في مشرك اسمه رُكَّانة، أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن.

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ معناه: يسخرون، فيكون «فَعَلَ» و«اسْتَفْعَلَ» بمعنى واحد.

وقيل: معناه: يستدعي بعضهم بعضًا لأن يسخر.

وقيل: يبالغون في السخرية.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية؛ معناها: استبعادهم للبعث.

وقد تقدّم الكلام على الاستفهامين في «الرعد»^(١).

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت^(٢) همزة الإنكار على واو العطف.

وقرئ بالإسكان عطفًا بـ «أو».

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: قل: تبعثون. والداخر: الصّاغر الذليل.

﴿زَجْرَةٌ وَبَعْدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون:

من النظر بالأبصار.

أو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يُفعل بهم.

(١) انظر (٢/٦٦٩).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ودخلت».

﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

من كلامهم، مثل الذي قبله.

أو مما يقال لهم، مثل الذي بعده.

• • • • •

[أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
الْحَقِّ ﴿١٣﴾ وَفَقَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿١٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿١٦﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْبَيِّنِ ﴿١٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَالِعِينَ ﴿٢٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَائِقُونَ ﴿٢١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ
نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا
لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا إِيَّاهُ تَخْنُومُ ﴿٢٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَمَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٣١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٣٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٣٤﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٣٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٣٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٣٧﴾
وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٣٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٤١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لَمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٤٢﴾ أَمَّا
مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَنَدِينُونَ ﴿٤٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَطْلَعَ قَرْنَاهُ فِي سَوَاءِ
الْحَجِيمِ ﴿٤٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتُزِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٤٧﴾ أَمَّا
نَحْنُ بِمَبِينٍ ﴿٤٨﴾ إِلَّا مَوَلَّتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٠﴾
لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٥١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِلظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ ﴿٥٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَاسُ الشَّيْطَانِ ﴿٥٥﴾
فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا الْبَاطُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَجِيمٍ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ
إِنْ مَرَجَعْتُمْ سَلَالَى الْحَجِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آيَاتَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٥٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ عَثَرِهِمْ مُهْرَعُونَ ﴿٦٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٦٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٦٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٤﴾]

﴿أَخْشَرُوا﴾ الآية؛ خطابٌ للملائكة، خاطبهم به الله تعالى، أو خاطب به بعضهم بعضاً.

﴿وَأَزْوَجَهُمْ﴾ يعني: نساءهم المشركات.

وقيل: يعني: أصنافهم وقرناءهم من الجن والإنس.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني: الأصنام والآدميين الذي كانوا يرضون بذلك.

﴿فَأَمْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق^(١) جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني: إنهم يُسألون عن أعمالهم، توبيخاً لهم.

وقيل: يسألون عن قول: «لا إله إلا الله».

والأول أرجح؛ لأنه أعم.

ويحتمل أن يُسألوا عن عدم تناصرهم، على وجه التهكم بهم، فيكون ﴿مَسْئُولُونَ﴾ عاملاً فيما بعده، والتقدير: يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً وقد كنتم في الدنيا تقولون: نحن جميع متصرون؟

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾:

للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم.

أو للإنس خاطبوا الجن.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «صراط».

﴿أَلَيْمِينَ﴾ هنا يحتمل ثلاثة معانٍ:

الأول: أن يراد بها: طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين، كما أن العبارة عن الشر بالشمال، والمعنى: أنهم قالوا لهم: إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدُّوننا عنه.

والثاني: أن يراد بها: القوة، والمعنى على هذا: إنكم كنتم تأتوننا بقوةكم وسلطانكم فتأمرونا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان.

والثالث: أن يراد بها: اليمين التي يُحْلَفُ بها؛ أي: كنتم تأتوننا بأنْ تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدِّقكم في ذلك ونُتَّبِعْكم.

﴿قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾:

للكبراء من الكفار.

أو للشياطين.

والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كفرتم باختياركم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ أي: وجب العذاب علينا وعليكم.

﴿وإِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ معمول القول، وحذف معمول ﴿لَذَائِقُونَ﴾ تقديره: وجب القول بأننا ذائقون العذاب.

﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ أي: دعوناكم إلى الغي؛ لأننا كنا على غي.

﴿فَاتَّخَذْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ أي: إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ (٦٦) الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، ويعنون به ﴿شَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾: محمداً ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق، ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به.

ويحتمل أن يكون صدقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بُعث ﷺ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٦٧) استثناء منقطع بمعنى «لكن».

وقرئ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام وكسرهما في كل موضع، وقد تقدّم تفسيره^(١).

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ السُّرُر: جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان؛ للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره^(٢).

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (٦٨) الذين يطوفون عليهم: الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى^(٣).

والكأس: الإناء الذي فيه خمر. قاله ابن عباس.

وقيل: الكأس: إناء واسع الفم، ليس له مِقْبَضٌ، سواء كان فيه خمر أم لا.

(١) انظر (٢/٦٢٧).

(٢) في ب، ج، د: «بقصره».

(٣) يعني قوله تعالى في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُخْلِدُونَ﴾ (٦٨).

والمعين: الجاري الكثير؛ ووزنه فَعِيل، والميم فيه أصلية.

وقيل: هو مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه: مفعول.

﴿لَذَّةٌ﴾ أي: ذات لذة، فوصفها بالمصدر اتساعاً.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول: اسم عام في الأذى والضّر، ومنه يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه.

وقيل: الغول: وجع في البطن.

وقيل: صداع في الرأس.

وإنما قدّم المجرور هنا؛ تعريضاً بخمر^(١) الدنيا لأن الغول فيها.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه التّزيف، وهو السكران.

و«عن» هنا سببية، كقولك: «فعلته عن أمرك»، أي: لا يُنْزَفُونَ بسبب شربها.

﴿قَصَصْتُ الْأَلْفُوفَ﴾ معناه: أنهم قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

﴿عَيْنٌ﴾ جمع عَيْنَاء، وهي الكبيرة العينين في جمال.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ ﴿٢٨﴾ قيل: شَبَّهْن في اللون ببيض النعام؛ لأنه

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الخمر».

بياض خالطه^(١) صفرة حسنة، ولذلك قال امرؤ القيس:

كَبُرَ مُقَانَاةُ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ^(٢)

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشر الأول^(٣).

وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٥) ﴿هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ تَحَدُّثِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ﴾، والمعنى: أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا^(٤).

﴿إِنِّي كَأَن لِّي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقريته من البشر، مؤمن وكافر.

وقيل: كان قريته من الجن.

﴿يَقُولُ أَأَنَّا كُنَّا لَمِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٥٦) معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار:

أتصدق بالدين والآخرة؟

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه: مفعول،

وهو من الدين، بمعنى الجزاء والحساب.

(١) في ب: «خالطه»، وفي ج، هـ: «خالطته».

(٢) هذا صدر بيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: «غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلٍ»، والبكر: أول بيضة تبيضها النعامة، والمقاناة: المخالطة، التي قُوِيَ بياضها بصفرة؛ أي: خلط بياضها بصفرة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري (ص: ٧٠-٧١).

(٣) في ب، هـ: «القشرة الأولى».

(٤) الكشف (١٤٧/١٣).

﴿قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُّظْلَعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخُدّامه: هل أنتم مّظلعون على النار لأريكم ذلك القرين فيها؟ وروي أن في الجنة كُوى ينظرُ منها أهلُها إلى النار.

﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسطها.

﴿قَالَ تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزْبِنَ ۖ﴾ أي: تهلكني باغوائك، والرّدى: الهلاك، وهذا خطابٌ خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار.

﴿الْمُحْضَرِّينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَبْتَلَيْنِ ۖ﴾ هذا من كلام المؤمن:

خطاباً لقرينه.

أو خطاباً لرفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿تَحْنُ﴾، فأخبر عن نفسه وعنهم.

ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعاً.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلام المؤمن.

أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة.

أو من كلام الله تعالى.

وكذلك يحتمل^(١) هذه الوجوه في قوله: ﴿لِيُثِلَّ هَٰذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَمِلُونَ﴾.

(١) في د، هـ: «تحتمل».

والأرجح فيه : أن يكون من كلام الله تعالى ؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلاً به ، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا ففيه تحريض على العمل الصالح .

﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (١٦٦) الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى نعيم الجنة وكل ما ذكر من وصفها .

وقال الزمخشري : الإشارة إلى قوله : ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (١) .

والنزل : الضيافة .

وقيل : الرزق الكثير .

وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك ؛ لأن الكلام تقرير وتوبيخ .

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (١٦٧) قيل (٢) : سببها : أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم ، قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، والنار تحرق الشجر ؟

فالفتنة على هذا : الابتلاء في الدنيا .

وقيل : معناه : عذاب الظالمين في الآخرة .

والمراد بالظالمين هنا : الكفار .

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي : تنبت في قعر جهنم ، وترتفع

(١) الكشاف (١٣/١٥٤) .

(٢) لم ترد في أ ، ب ، ج ، هـ .

أغصانها إلى دركاتها .

﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١٦) الطلع : ثمر النخلة ، فاستُعير لشجرة الزقوم ، وشُبّه برؤوس الشياطين ؛ مبالغة في قبحه وكراهته ؛ لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقيح المنظر : وجه شيطان .

وقيل : رؤوس الشياطين : شجرة معروفة باليمن .

وقيل : هو صنف من الحيات .

﴿ لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي : مزاجًا من ماء حار .

فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ ؟

فالجواب : من وجهين :

أحدهما : أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان ، فالمعنى : أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم .

والثاني : أنه لترتيب مضاعفة العذاب ، فالمعنى : أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله .

﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ الإهراع : الإسراع الشديد .



[وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَآتَ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكُمُ إِلَٰهَةٌ دُونِ اللَّهِ تَزِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِمِنُ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا فَالْقَوْمُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتَّبِعُنِي أَنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ ﴿١٠٥﴾ فَذَصَدَّقَ الرَّذِيًّا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾].

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي : دعانا ، يعني : دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني : الغرق.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا الْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية نوح ؛ لأنه لما

غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث .

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) معناه: أبقينا له ثناء جميلاً في الناس إلى يوم القيامة.

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) هذا تسليم من الله على نوح عليه السلام. وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول ﴿وَتَرَكْنَا﴾، وهي محكية؛ أي: تركنا هذه الكلمة يقال له، يعني: أن الخلق يسلمون عليه. فيبتدأ بـ ﴿سَلَّمَ﴾ على القول الأول، لا على الثاني. والأول أظهر.

ومعنى ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾: على القول الأول: تخصيصه بالسلام عليه من بين العالمين، كما تقول: أحبُّ فلاناً في الناس، أي: أحبه خصوصاً من بين الناس. ومعناه على القول الثاني: أن السلام عليه ثابت في العالمين. وهذا الخلاف يجري حيثما ذكر ذلك في هذه السورة.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِزْهِيمَ﴾ الشَّيْعَةُ: الصنف المتفوق، فمعنى ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾: على دينه في التوحيد.

والضمير يعود: على نوح.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أظهر.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ﴾ عبارة عن إخلاصه، وإقباله بكلِّيته على الله تعالى، وليس

المراد المجيء بالجسد .

﴿يَقْلِبْ سَلِيمٍ﴾ أي : سليم من الشرك والشك وجميع العيوب .

﴿أَيْفُكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦) الإفك : الباطل ، وإعرا به هنا : مفعول من أجله ، و﴿إِلَهَةً﴾ : مفعول به .

وقيل : ﴿أَيْفُكَا﴾ : مفعول به ، و﴿إِلَهَةً﴾ : بدل منه .

وقيل : ﴿أَيْفُكَا﴾ : مصدر في موضع الحال ، تقديره : «آفكين» ؛ أي : كاذبين .

والأول أحسن .

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) المعنى : أي شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبكم به ، وقد عبدتم غيره ؟

أو أي : شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره ؟ ، كما تقول : «ما ظنك بفلان ؟» إذا قصدت تعظيمه .

فالمقصد على المعنى الأول : تهديد ، وعلى الثاني : تعظيم لله وتوبيخ لهم .

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه ، فدعوه إلى الخروج معهم ، فحيث قال : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ؛ ليمتنع عن الخروج معهم ، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم .

وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنها كانت تأخذ الحمى في وقت معلوم ، فنظر في النجوم ليرى

وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى .

والثاني : أن قومه كانوا منجّمين وكان هو يعلم أحكام النجوم ، فأوهمهم أنه استدللّ بالنظر في علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف من السُّثم عن الخروج معهم .

والثالث : أن معنى نظر في النجوم : أنه نظر وفكّر فيما يكون من أمره معهم فقال : إني سقيم ، والنجوم على هذا : ما يَنجُم من حاله معهم ، وليست نجوم السماء ، وهذا بعيد .

وقوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على حسب هذه الأقوال :

[أ-] يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا تَجَوُّزَ أَصْلًا ، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ : «أن إبراهيم كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ، أَحَدُهَا»^(١) : قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(٢) .

[ب-] ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا صُرَاحًا ، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال ؛ لأنه فَعَلَ ذلك من أجل الله ؛ إذ قصد كسر الأصنام .

[ج-] ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَعَارِضِ :

فأراد أنه سقيم فيما يُسْتَقْبَل ؛ لأن كل إنسان لا بدّ أن يمرض .

أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له .

وهذا التأويل أولى ؛ لأن نَفْيَ الكذب بالجملة يُعارض الحديث ، والكذب

(١) في أ ، هـ : «إحداها» .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ، ومسلم (٢٣٧١) .

الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعارض فهي جائزة.

﴿فَقُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٥) أي: تركوه إعراضاً عنه، وخرجوا إلى عيدهم. وقيل: إنه أراد بالسُّقْم الطاعون وهو داءٌ يعدي، فخافوا منه وتباعدا عنه؛ مخافة العدوى.

﴿فَرَأَى﴾ أي: مال.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: يمينى يديه.

وقيل: بالقوة.

وقيل: بالحلف، وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

والأول أظهر وأبقى بالضرب.

و﴿ضَرْبًا﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿يَرْقُونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥) أي: تنجرون، والنحت: النجارة، إشارة إلى صنعهم^(١) للأصنام من الحجارة أو الخشب.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) ذهب قوم إلى ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى:

(١) في أ، هـ: «صنعتهم».

الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد.
 وقيل: إنها موصولة بمعنى «الذي»، والمعنى: الله خلقكم وخلق
 أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد
 الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام.

وقيل: إنها نافية.

وقيل: إنها استفهامية.

وكلاهما باطل.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾ قيل: البنيان: في موضع النار.

وقيل: بل كان للمنجنيق، الذي رُمي عنه.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني: حرقه بالنار.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المغلوبين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من

النار، وأراد: أنه ذاهب؛ أي: مهاجر إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام.

وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يُطرح في النار، وأراد: أنه ذاهب إلى ربه

بالموت؛ لأنه ظن أن النار تحرقه.

﴿وَسَيِّدِينَ﴾:

على القول الأول: يعني الهدى إلى صلاح^(١) الدين والدنيا.

(١) في أ، ج: «إصلاح».

وعلى القول الثاني : إلى الجنة .

وقالت المتصوفة : معناه : إني ذاهب إلى ربي بقلبي ، أي : مقبلٌ على الله بكلية ، تاركٌ لما سواه .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يعني : ولداً من الصالحين .

﴿ فَسَرَّزْنَاهُ بِقَلْمٍ حَلِيمٍ ﴾ أي : عاقل .

واختلف الناس في هذا الغلام المبشّر به في هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟

فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين : هو إسماعيل ، وحجتهم من ثلاثة أوجه :

الأول : أن رسول الله ﷺ قال : «أنا ابن الذبيحين»^(١) يعني : إسماعيل ﷺ ، ووالده عبد الله ، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسّر الله له أمر زمزم ، ففداه بمئة من الإبل .

والثاني : أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح : ﴿ وَسَرَّزْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾ ، فدلّ ذلك على أن الذبيح غيره .

والثالث : أنه روي أنه إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة ، وإنما كان معه بمكة إسماعيل .

وذهب عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين : إلى أن

(١) لم أقف على إسناد له .

الذبيح إسحاق، وحجتهم من وجهين:

الأول: أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق؛ لقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

والثاني: أنه روي أن يعقوب كان يكتب: من يعقوب إسرائيل^(١) ابن إسحاق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يريد بالسعي هنا: العمل والعبادة.

وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿فَكَالَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ قال إني أرى في المنام أني أذبحك، يحتمل أن يكون:

رأى في المنام الذبيح، وهو الفعل.

أو أمر في المنام أن يذبحه.

والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿أَفَعَلَ مَا تُوَمَّرُ﴾.

ورؤيا الأنبياء وحي، فوجب^(٢) عليهم الامتثال على الوجهين.

(١) في أ، ب، د، هـ: «إسرائيل الله» بزيادة اسم الله، وقال الشيخ أحمد شاكر تعليقاً على هذا المروي في تفسير الطبري (٢٠١/١٦): «في التاريخ [يعني: تاريخ الطبري]: «إسرائيل الله»، وكان الذي في التفسير [أي: بدون زيادة اسم الله] هو الصواب، لأن «إيل» بمعنى «الله»، و«إسرا» يضاف إليه، وكأن «إسرا»، بمعنى: «سري»، وهو بمعنى المختار، كأنه: «صفي الله» الذي اصطفاه. وفي تفسير ذلك اختلاف كثير.

(٢) في ب، ج: «يوجب».

﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ إن قيل: لم شاوره في أمرٍ هو محتمٌّ^(١) من الله؟
 فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه
 ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب.
 ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا﴾ أي: استسلما وانقادا لأمر الله.
 ﴿وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه بالأرض على جبينه، وللإنسان جبينان حول
 الجبهة.

وجواب ﴿فَلَمَّا﴾:

محذوف عند البصريين، تقديره: فلما أسلما كان ما كان من الأمر
 العظيم.

وقال الكوفيون: جوابها: ﴿تَلَّهُ﴾ والواو زائدة.

وقال بعضهم: جوابها: ﴿تَدَيَّنَتْهُ﴾ والواو زائدة.

﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ يحتمل أنه يريد:

بقلبك، أي: كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها.

ويحتمل أن يريد: بعملك؛ أي: وقَّيت حقها من العمل.

فإن قيل: إنه أمر بالذبح ولم يذبح، فكيف قيل له: ﴿صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾؟

فالجواب: أنه قد بذل جهده؛ إذ عزم على الذبح ولو لم يقده الله لذبحه،
 ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناع ذبح الولد إنما كان من
 الله وبأمر الله، وقد قضى إبراهيم ما عليه.

(١) في أ، هـ: «حتم».

﴿أَلَبَّتْهُنَّ الْمَيْنُ﴾ أي الاختبار البين، الذي تظهر^(١) به طاعة الله.

أو المحنة الشديدة الصعوبة.

﴿وَقَدَّيْنَهُ يَذْبَحُ عَظِيمٍ﴾ (٧٧) الذَّبْحُ: اسم لما يذبح، وأراد به هنا: الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة.

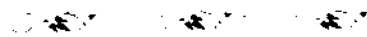
وقيل: إنه الكبش الذي قرَّب به ولد آدم، ووصفه بـ ﴿عَظِيمٍ﴾ لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه مقبَّل.

وروي في القصص: أن الذبيح قال لإبراهيم: «اشدد رباطي لثلاث أضطرب واصرف بصرك عني لثلاث رحمني»، وأنه أمر الشفرة على خلقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله.

وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم ﴿كَذَلِكَ﴾ دون قوله: «إِنَّا»، وقال في غيرها: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قصة إبراهيم نفسها: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ فأغنى عن تكرار «إِنَّا» هنا.



(١) في ب، ج، د: «يظهر».

[وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمُ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْيَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْتِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾].

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ يعني: بالنبوة وغير ذلك.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق، أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما.

وقيل: على موسى وهارون خاصة، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ يعني: التوراة، ومعنى ﴿الْمُسْتَبِينَ﴾: البين.

وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع^(١).

(١) انظر المقدمة (١/١١٧).

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢١) إلیاس : من ذریة هارون .

وقیل : إنه إدريس .

وقد أخطأ من قال : إنه إلیاس المذكور فی أجداد النبی ﷺ .

﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا﴾ البعل : الرب بلغة الیمن .

وقیل : بعل : اسم صنم کان لهم یقال له : بعلبك .

﴿سَلَّمْ عَلَىٰ آلِ یَاسِینَ﴾ ﴿آلِ﴾ هنا - علی هذه القراءة - : بمعنى أهل ، و﴿یَاسِینَ﴾ اسم لإلیاس .

وقیل : لأبيه .

وقیل : اسم لمحمد ﷺ .

وقرئ ﴿إِلِ یَاسِینَ﴾ بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة ، وهو علی هذا جمع إلیاسی ؛ أي : منسوب لإلیاس ، حذف منه الیاء كما حذف من «أعجمین» .

وقیل : سَمَّى كل واحد من آل إلیاس یالیاس ، ثم جمعهم .

وقیل : هي لغة فی «إلیاس» .

﴿عَجُوزًا فِي الْغَیْرِینَ﴾ قد ذکر^(١) .

~~~~~

[وَإِنْ يُؤْخَرِ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمْعَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَفَرَّغْنَا لَهُمُ الْجَهَنَّمَ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَأَنْتَفَيْنَاهُ إِلَى الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهُمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِذْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَنَوَّلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾].

﴿وَإِنْ يُؤْخَرِ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في «يونس» <sup>(١)</sup> و«الأنبياء» <sup>(٢)</sup>.  
 ﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: هرب إلى السفينة، والفلك هنا: واحد، و﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

(١) انظر (٥٦٧/٢).

(٢) انظر صفحة ١٦٤.

وسبب هروبه : غضبه على قومه حين لم يؤمنوا .

وقيل : إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله ، فلما رأى قومه مخايل العذاب آمنوا ، فرفع الله عنهم العذاب ، فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب .

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ معنى ﴿ سَاهَمَ ﴾ : ضرب القرعة ، والسُّهُمة : هي القرعة ، والمدحض : المغلوب في القرعة والمحااجة .

وسبب مقارعته <sup>(١)</sup> : أنه لما ركب السفينة ، وقفت ولم تجر ، فقالوا : إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا ، فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه ، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر فالتقمه الحوت .

﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ أي : فعل ما يلام عليه ، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج .

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ تسبيحه : هو قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، حسبما حكى الله عنه في «الأنبياء» .

وقيل : هو قوله : «سبحان الله» .

وقيل : هو الصلاة ، واختلف على هذا : هل يعني صلاته في بطن الحوت ، أو قبل ذلك .

(١) في د : «قرعته» ..



واختلف في مدة بقاءه في بطن الحوت :

ف قيل : ساعة .

وقيل : ثلاثة أيام .

وقيل : سبعة أيام .

وقيل : أربعون يومًا .

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ العراء : الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ، ولا ظل .

وقيل : يعني : الساحل .

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم .

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ أي : أنبتناها فوقه ؛ لُظِّلَهُ وتقيّه حرَّ

الشمس .

واليقطين : القرع ، وإنما خصّه الله به ؛ لأنه يجمع برد الظل ، ولين الملمس ، وكبر الورق ، وأن الذباب لا يقربه ؛ فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب .

وقيل : اليقطين : كل شجرة لا ساق لها ، كالبقول ، والقرع ، والبطيخ .

والأول أشهر .

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ﴾ يعني : رسالته الأولى التي أبق بعدها .

وقيل : هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت .

والأول أشهر .

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: ﴿أَوْ﴾ هنا: بمعنى «بل»، وقرأ ابن عباس: «بل يزيدون».

وقيل: هي بمعنى الواو.

وقيل: هي للإبهام.

وقيل: المعنى: أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول: هم مائة ألف أو يزيدون.

واختلف في عددهم:

فقيل: مئة وعشرون ألفاً.

وقيل: مئة وثلاثون ألفاً.

وقيل: مئة وأربعون ألفاً.

وقيل: مئة وسبعون ألفاً.

﴿فَتَأْتُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرقوا بينها<sup>(١)</sup> وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، ورفع الله العذاب عنهم.

و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: إلى آجالهم<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها؛ لضعف صحتها.

(١) في ب، ج: «بينهما».

(٢) في أ، هـ: «أجلهم».

﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ الْرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ﴾ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما<sup>(١)</sup>.

والضمير المفعول: لقريش وسائر الكفار، أي: أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قرّره على ما زعموا من أن الملائكة إناث<sup>(٢)</sup> وردّ عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون:

بمعنى الشهادة.

أو بمعنى الحضور؛ أي: أنهم لم يحضروا على ذلك ولم يعلموه.

ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، ثم قرّره على ما زعموا من أن الله اصطفي لنفسه البنات، وذلك كله ردّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً.

﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل.

﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهامية معناها: التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾.

(١) الكشاف (٢٠٦/١٣).

(٢) في ب، ج: «بنات».

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥١) أي: برهان بَيِّنٌ.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ يَكْتُمُ﴾ تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجُّون به.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجًّا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجنة هنا: الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتقٌّ من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذين جعلوا بين الله وبينهم: قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشياطين<sup>(١)</sup>، وفي النسب الذي جعلوا بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قالوا: إن الله والشيطان<sup>(٢)</sup> أخوان، تعالى الله عن ذلك.

والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة عليهم السلام عما يقول الظالمون علواً كبيراً

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة: فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب.

ومن قال: إن الجن الشياطين: فالضمير يعود عليهم؛ أي: قد علمت

(١) في أ، ج، هـ: «الشيطان».

(٢) في أ، د، هـ: «والشياطين».

الشياطين إنهم محضرون في العذاب .

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٠) استثناء منقطع : من المحضرين ، أو من الفاعل في ﴿يَصِفُونَ﴾ .

والمعنى :

لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب .

أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله .

﴿فَأَنذَرُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١١) مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ (١٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ (١٣) هذا خطاب للكفار والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ : الأصنام وغيرها .  
و﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ عطف على الضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾ ، ويجوز أن تكون الواو بمعنى «مع» .

ومعنى ﴿فَتَيْنَيْنِ﴾ : مُضِلِّينَ .

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ، و«على» سببية معناها التعليل ، و﴿مَنْ هُوَ﴾ : مفعول بـ ﴿فَتَيْنَيْنِ﴾ .

والمعنى : إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أن يصلى الجحيم ؛ أي : لا تقدر على إغواء الناس إلا بقضاء الله .  
وقال الزمخشري : الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على الله تعالى (١) .

(١) الكشاف (٢١٢/١٣) ، وقال : «فإن قلت : كيف يفتنونهم على الله ؟ قلت : يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم ، من قولك : فتن فلان على فلان امرأته ، كما تقول : أفسدها عليه وخبيها عليه» .

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿١١٦﴾ هذا حكايةُ كلام الملائكة ﷺ ، وتقديره :  
 ما منا ملكٌ إِلَّا وله مقامٌ معلومٌ ، فحذف الموصوف لفهم الكلام .  
 والمقام المعلوم :

يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه ؛ لأن منهم من هو في السماء  
 الدنيا وفي الثانية وفي السموات وحيث شاء الله .

ويحتمل أن يراد به : المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف .

﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ أي : الواقفون صفوفًا في العبادة ، ولذلك أمر  
 المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ؛ ليقفوا بالملائكة ، وليس أحدٌ من  
 أهل الملل يصلُّون صفوفًا إِلَّا المسلمون .

﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ السَّيِّحُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ قيل : معناه : المصلون ؛ لأن الصلاة يقال لها :  
 تسبيحٌ .

وقيل : معناه : القائلون «سبحان الله» .

وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ردٌّ على من قال : إنهم بنات الله  
 أو شركاء له ؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له .  
 ويدلُّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبلَ هذا : الملائكة .

وقيل : إن هذا كله من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين .

والأول أشهر .

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١١٩﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٠﴾ الضمير : لكفار قريش  
 وسائر العرب .

والمعنى : أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون : لو أرسل الله إلينا رسولا أو أنزل علينا كتابا لكانا عباد الله المخلصين .

﴿فَكْفُرُوا بِهِ﴾ الضمير :

للذكر .

أو لمحمد ﷺ ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره .

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعد على كفرهم .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكُفَّارُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ المعنى : سبق

القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم ، وأن جند الله غالبون .

وهذا النصر والغلبة : بظهور الحجة والبرهان ، وبهزيمة الأعداء في

القتال ، وبالسعادة في الآخرة .

﴿فَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٣﴾﴾ أي : أعرض عنهم ، وذلك موادة منسوخة

بالسيف .

والحين هنا يراد به : يوم بدر .

وقيل : حضور آجالهم <sup>(١)</sup> .

وقيل : يوم القيامة .

﴿وَأَنبِئْهُمْ فَسَوْفَ يُصْرُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ هذا وعد للنبي ﷺ ، ووعد لهم .

﴿أَفَعَدَّائِنَا بُسْتَعِجَلُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ إشارة إلى قولهم : «متى هذا الوعد؟» و«أمطر

(١) في أ ، هـ : «أجلهم» .

علينا حجارة من السماء»، وشبه ذلك .

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِهِمُ﴾ السَّاحَةُ : الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور .

وسوء الصباح : مستعمل في ورود الغارات والرزايا .

ومقصد الآية : التهديد بعذابٍ يحُلُّ بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيلٌ يقوم أنذرهم ناصحٌ بأن جيشًا يحُلُّ بهم فلم يقبلوا نصحه، حتى جاءهم الجيش فأهلكهم .

﴿وَأَبْصِرْ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتولِّي عنهم والوعدَ والوعيدَ على وجه التأكيد .

وقيل : أراد بالوعد الأول : عذاب الدنيا، وبالثاني : عذاب الآخرة .

فإن قيل : لم قال أوَّلًا ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ ، وقال هنا : ﴿وَأَبْصِرْ﴾ ، فحذف الضمير المفعول ؟

فالجواب : من وجهين :

أحدهما : أنه اكتفى بذكره أوَّلًا عن ذكره ثانيًا، فحذفه اختصارًا .

والآخر : أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدَّم وغيرهم، كأنه قال : «أبصر جميع الكفار»، بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصة .

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ نَزَّهَ اللهُ تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالًا كثيرةً شنيعةً .



و﴿الْعِزَّةُ﴾ :

إن أراد بها : عزة الله فمعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةُ﴾ : ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها.

وإن أراد بها : عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةُ﴾ : مالكها وخالقها.

ومن هذا قال محمد بن سُحنون<sup>(١)</sup> : من حلف بعزة الله ؛ فإن أراد صفة الله فهي يمين ، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست يمين<sup>(٢)</sup> .  
ثم ختم الله هذه السورة بالسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فأما السلام على المرسلين : فيحتمل أن يريد به :  
التحية .

أو سلامتهم من أعدائهم ، ويكون ذلك تكميلاً لقوله : ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ .

وأما الحمد فيحتمل أن يريد به :

الحمد على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك .

(١) محمد بن سُحنون - واسمه عبد السلام - بن سعيد التنوخي ، ابن الفقيه المالكي المعروف ، تفقه بأبيه ، وتوفي سنة (٢٥٦هـ) . الديباج المذهب (٢/١٦٩) .

(٢) انظر : النوادر والزيادات ، لابن أبي زيد القيرواني (٤/١٥) .

ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق<sup>(١)</sup>.

❦ ❦ ❦

(١) جاء في ب هنا: «كامل تفسير «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حلیم كريم قوي معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مباركًا فيه».

وجاء في ج هكذا: «كامل تفسير سورة «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته والتابعين من بعده وسلم تسليمًا، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حلیم كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

﴿سورة داود﴾<sup>(١)</sup>

[﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ① بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ② كَذَّاهُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ بِحَدِيثٍ فَتَاوٍ ③ وَتَجِئْ بِحَدِيثٍ فَتَاوٍ ④ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ⑤ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ إِلَهِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ⑥ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأُولَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخِلْنَاهُ ⑦ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ⑧ أَمَ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ⑨ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ⑩ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْرَابِ ⑪ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ⑫ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ ⑬ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِي﴾].

﴿صَّ﴾ تكلمنا في حروف الهجاء في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

ويختصُّ بهذا أنه قيل فيه : معناه : «صدق محمد».

وقيل : هو حرف من اسم الله : «الصمد» ، أو «صادق الوعد» ، أو «صانع المصنوعات».

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص : ٩١) : «سورة ص» ، وتسمى سورة داود ﴿ص﴾.

(٢) انظر (١/ ٢٦١).

﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قَسَمٌ، جوابه محذوف تقديره: إن القرآن من عند الله، أو إن محمدًا ﷺ لصادق وشبه ذلك.

وقيل: جوابه في قوله ﴿صَّ﴾؛ إذ هو بمعنى: صدق محمد.

وقيل: جوابه: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾، وهذا بعيد.

وقيل: جوابه: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وهذا أبعد.

ومعنى ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾:

ذي الشرف.

أو الذكري بمعنى الموعظة.

أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقٌ﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشًا، و﴿بَلِ﴾ للإضراب عن كلام محذوف، وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق.

والعزة هي: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما، وتفاقم الكفار فيهما.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ إخبارٌ يتضمن تهديدًا لقريش.

﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِرٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك.

و﴿لَاتَ﴾ بمعنى: ليس، وهي «لا» النافية زيدت عليها علامة التأنيث،

كما زيدت في «رُبَّتْ» و«ثَمَّتْ»، ولا تدخل «لات» إلا على الأزمان، واسمها مضمر، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ خبرها، والتقدير: وليس الحين الذين دعوا فيه حين مناص.

والمناصُ: المفرُّ والنجاة، من قولك: ناص ينوص إذا فرَّ.  
﴿وَعَبَّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمنذر: محمد ﷺ؛ أي: استبعدوا أن بعث الله رسولا منهم.  
ويَحْتَمِلُ:

أن يريد من قبيلتهم.

أو يريد من البشر مثلهم.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان الأصل: «وقالوا»، ولكن وضع هذا الظاهر موضع المضمرة؛ إظهاراً للغضب، وقصدًا لوصفهم بالكفر.  
﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكارٌ منهم للتوحيد.

وسبب نزول هذه الآيات: أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عنا، فإنه يعيب ديننا ويذمُّ آلهتنا، ويُسَفِّهُ أعلامنا، فكلَّمه أبو طالب في ذلك، فقال: ﷺ: «إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب»، فقالوا: نعم، وعشر كلمات معها. فقال: «قولوا لا إله إلا الله»، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدًا<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣٤١٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٩٠/٨).

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا﴾ ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ﴾ : عبارة عن خروجهم عن أبي طالب.

وقيل : عبارة عن تفرقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر .

﴿وَأَنْ آمَسُوا﴾ معناه : يقول بعضهم لبعض : امشوا واصبروا على عبادة آلهم ، ولا تطيعوا محمداً فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده .

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ هذا أيضاً مما حكى الله من كلام قريش ، وفي معناه وجهان :

أحدهما : إن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد ؛ أي : إن هذا التوحيد شيء يراد به الانقياد إليه .

والآخر : أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهم ؛ أي :

إن هذا شيء ينبغي أن يراد ويُتمسك به .

أو إن هذا شيء يريد به الله منا لما قضى علينا به .

والأول أرجح ؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه ، فيكون الكلام على نسق واحد .

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ الْمَلَةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضاً مما حكى من كلامهم ، أي : ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة .

والمراد بـ ﴿آلِ الْمَلَةِ الْآخِرَةِ﴾ : ملة النصارى ؛ لأنها بعد ملة موسى وغيره ، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد .

وقيل : المراد : ملة قريش ؛ أي : ما سمعنا بهذا في الملة التي أدرَكنا عليها آباءنا .

وقيل : المراد : الملة المنتظرة ؛ إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكُهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء .

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ هذا أيضا مما حُكي من كلامهم ، والإشارة إلى التوحيد والإسلام .

ومعنى الاختلاق : الكذب .

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار ، والمعنى : أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم .

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ هذا ردٌ عليهم ، والمعنى : أنهم ليست لهم حجة ولا برهان ، بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده ، فلذلك كفروا .

ويحتمل أن يريد بـ ﴿ذِكْرِي﴾ : القرآن .

﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ هذا وعيدٌ لهم وتهديد ، والمعنى : أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب ، فإذا ذاقوه زال عنهم الشكُّ ، وأذعنوا للحق .

﴿أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا ردٌ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة .

والمعنى : أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا ، بل يعطيها الله لمن يشاء .

ثم وصف نفسه بـ ﴿الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ﴾ ؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء ، والوهاب يُنعم على من يشاء ، فلا حجة لهم فيما أنكروا .

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا ردُّ عليهم ، والمعنى : أم لهم الملك فيتصرفوا فيه كيف شاؤوا؟ ، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء .

و﴿أَمْ﴾ الأولى : منقطعة بمعنى «بل» وهمزة الإنكار .

وأما الثانية : فيحتمل :

أن تكون كذلك .

أو تكون عاطفةً معادلة لما قبلها .

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ هذا تعجيزٌ لهم ، وتهكُّمٌ بهم .

ومعنى ﴿يَرْتَقُوا﴾ يَصْعَدُوا ، و﴿الْأَسْبَابِ﴾ هنا : السلالم<sup>(١)</sup> والطرق ، وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو .

وقيل : هي أبواب السماء .

والمعنى : إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك .

﴿جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْرَابِ﴾ ﴿١١﴾ هذا وعيدٌ بهزيمتهم في القتال ، وقد هُزموا يوم بدر وغيره .

(١) في أ ، هـ : «السلالم» وهما جمعان صحيحان للكلمة .



﴿مَا﴾ هنا : صفة لـ ﴿جُنْدٌ﴾ ، وفيها معنى التحقير لهم .  
 والإشارة بـ ﴿هُنَالِكَ﴾ : إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء .  
 وقيل : الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب ، وهذا بعيد .  
 وقيل : الإشارة إلى موضع بدر .  
 ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ معناه : من جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا للباطل  
 فهلكوا .  
 ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس : كانت له أوتادٌ وخشب يلعب بها  
 عليها .  
 وقيل : كان له أوتاد يُسَمِّرُها في الناس لقتلهم .  
 وقيل : أراد المباني العظام الثابتة ، ورجحه ابن عطية<sup>(١)</sup> .  
 وقال الزمخشري : إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل :  
 ..... في ظلِّ مُلْكِكَ ثابتِ الأوتادِ<sup>(٢)</sup>  
 ﴿وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ﴾ قد ذُكِرَ<sup>(٣)</sup> .

.....

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٢٨) .

(٢) الكشف (١٣/٢٤٣) ، وهذا عجز بيت للأسود بن يَعْفَرُ النهشلي كما في ديوانه  
 (ص : ٢٧) ، وصدر البيت : «ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة» .

(٣) انظر صفحة ٣٧٨ .

[وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلٌ لَنَا قُتِلْنَا قَبْلَ  
 يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْرٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا  
 سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا  
 مُلْكَهُ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَنتَكَ نَبَوَّا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا  
 الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ  
 فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ  
 نَجْعَةً وَلِيَ نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْعِكَ  
 إِلَى نِجَاحِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ  
 وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ  
 النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ  
 عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾].

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ﴿يَنْظُرُ﴾ هنا بمعنى: ينتظر،  
 و﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني: قريشا.

والصيحة الواحدة: النفخة في الصور، وهي نفخة الصعق.

وقيل: الصيحة: عبارة عما أصابهم من قتل وشدائد.

والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ (١).

﴿مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ما لها من رجوع؛ أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣/٢٠).

هذا مشتق من الإفاقة .

الثاني: ما لها من تردد؛ أي: إنما هي واحدة لا ثانية لها .

الثالث: ما لها من تأخير ولا توقّف مقدار فُواقِ ناقة، وهي ما بين حَلْبَتَي اللبن .

وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة ﴿فُواقٍ﴾ بالضم؛ لأن فُواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم .

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا﴾ القِطُّ في اللغة له معنيان :

أحدها: الكتاب .

والآخر: النصيب .

وفي معناه هنا ثلاثة أقوال :

أحدهما: نصيبنا من الخير؛ أي: دعوا أن يعجّله الله لهم في الدنيا .

والآخر: نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء» .

والثالث: صحائف أعمالنا .

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٧٧﴾ الأيد: القوة،

وكان داود جمع قوة البدن والقوة في الدين، والملك والجنود .

والأَوَّاب: الرجّاع إلى الله .

فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار

وبين أمره له بذكر داود؟

**فالجواب عندي:** أن ذُكر داود ومن ذُكر بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسليّة للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعدّ له بالنصر وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه <sup>(١)</sup> يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم؛ كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء.

**والمقصد:** ذكر الإنعام عليهم؛ لتقوية قلب النبي ﷺ.

وأيضاً فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمداً ﷺ بذكرهم؛ ليُعلم أنه يفرّج عنه ما يلقي من إذابة قومه، ويُعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال ابن عطية: المعنى: واذكر داود ذا الأيد في الدين؛ فتأسَّ به وتأيد كما تأيد <sup>(٢)</sup>.

وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبى ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظّم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود،

(١) في ب، ج: «فإنه».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٠).

وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زلَّ زلة فوبَّخه الله عليها فاستغفر وأتاب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟<sup>(١)</sup>.

وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام؛ حيث جعله مثلاً يهدد الله به الكفار، وصرَّح بأنه زلَّ وأن الله وبَّخه على زلته، ومعاذ الله من ذكْرِ الأنبياء بمثل هذا!.

﴿وَالْإِشْرَاقُ﴾ يعني: وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها: فطلوعها.  
﴿مَحْشُورَةٌ﴾ أي: مجموعة.

﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ﴾ أي: كل مسبح لأجل تسبيح داود.  
ويحتمل أن يكون ﴿أَوَّابٍ﴾ هنا بمعنى: رجَّاع؛ أي: يرجع إلى أمره.  
﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ﴾ قيل: يعني: النبوة.  
وقيل: العلم والفهم.  
وقيل: الزبور.

﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ ابن عباس: هو فصل القضاء بين الناس بالحق.  
علي بن أبي طالب: هو إيجاب اليمين على المدَّعى عليه، والبينة على المدَّعي.

وقيل: أراد قول: «أما بعد» فإنه أول من قالها.

وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البين من الكلام الذي يفهمه من يُخاطَب به<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى اختار<sup>(٢)</sup> ابن عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]<sup>(٣)</sup>.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا إِلَى الْحَرَابِ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام؛ تنبيهاً للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يُلقَى البال لها.

والخصم: يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عدل وزور. واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل، بعثهم الله؛ ليضرب بهم المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا.

ومعنى ﴿سَارُوا إِلَى الْحَرَابِ﴾ غلّوا على سوره ودخلوه.

والمحراب: الموضع الأرفع من القصر، أو المسجد، وهو موضع التعبد.

ويحتمل أن يكون المتسور للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة

(١) الكشاف (١٣/٢٥٣).

(٢) في ج، د، هـ: «اختيار».

(٣) المحرر الوجيز (٧/٣٣٢).

إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضمائر في ﴿سَوَّرُوا﴾، و﴿دَخَلُوا﴾، و﴿فَرَعَ﴾ منهم: على وجه التجويز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان.

ويحتمل أنه جاء مع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا عوّل الرمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ هنا: ﴿سَوَّرُوا﴾.

وقيل: هي بدل من الأولى.

وأما ﴿إِذْ﴾ الأولى: فالعامل فيها: ﴿أَتَاكَ﴾، أو ﴿نَبَأُ﴾.

ورّد الرمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوف، تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا<sup>(٢)</sup>.

وإنما فزع داود منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب.

وقيل: إن ذلك كان ليلاً.

﴿خَصِمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى ﴿بَيْنَ﴾: تعدي.

﴿وَلَا تُنْطِطْ﴾ أي: لا تجر علينا في الحكم، يقال: أشطّ الحاكم: إذا جار

وقرئ في الشاذ: ﴿لَا تُنْطِطْ﴾ بفتح التاء؛ أي: لا تبعد عن الحق، يقال: شطّ إذا بُعد.

(١) الكشاف (١٣/٢٥٨).

(٢) الكشاف (١٣/٢٥٩).

﴿سَوَاءٌ أَلْصَرَطُ﴾ أي: وسط الطريق، ويعني: القصد والحق الواضح.  
 ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾  
 هذا حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا: أخوة الدين.

والنمجة في اللغة: تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾: ملئها لي، وأصله: اجعلها في كفالتي.

وقيل: اجعلها كفلي؛ أي: نصيبي.

ومعنى ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عزَّ فلانٌ فلاناً: إذا غلبه.

وهذا الكلام تمثيلٌ للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديماً وحديثاً، حتى قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: «من حدَّث بما يقول هؤلاء القُصَّاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدَّين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله».

ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيهه <sup>(١)</sup> داود عليه السلام.

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبه، وكانت <sup>(٢)</sup> لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة

(١) في ب، ج: «تبرئة».

(٢) في ب، ج: «وكان».



رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، فبعث الله إليه الملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَةً﴾ إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ﴿وَلِي نَجَةٌ وَاحِدَةً﴾ إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته.

فأجابهم داود عليه السلام بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نِجَاحِهِ﴾، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبِّي وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

ولا تقتضي هذه القصة على هذه الراوية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزه عنه؛ لعلو مرتبته ومثانة دينه، فإنه قد يُعَاتَب الفضلاء على ما لا يُعَاتَب عليه غيرهم، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأیضا؛ فإنه كان له تسع وتسعون امرأة، كان غنيا عن هذه المرأة، فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزا.

وروي هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود عليه السلام انفرد يوما في محرابه للتعبد، فدخل عليه طائر من كوة، فوقع بين يديه فأعجبه، فمدَّ يده ليأخذه فطار على الكوة، فصعد داود ليأخذه، فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل

يقاتل عند التابوت، وهو موضع قلما يخلص أحد منه، فتقدم ذلك الرجل فقاتل<sup>(١)</sup> حتى قتل شهيداً، فتزوج داود امرأته بعده، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوج امرأته بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها.

وقيل: إن داود همّ بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاقبة على همّه بذلك.

وروي أن السبب فيما جرى له مثل ذلك: أنه أعجب بعلمه<sup>(٢)</sup>، وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه، ففتن بتلك القصة.

وروي أيضاً أن السبب في ذلك: أنه تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والتزم أن يُبتلى كما ابتلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَيَّ نَعَايَةٍ﴾ ﴿سُؤَالٍ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول، وإنما تعدى بـ «إلى»؛ لأنه تضمن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه.

فإن قيل: كيف قال له داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يثبت عنده ذلك؟ فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك، وحذف ذكر اعترافه اختصاراً.

(١) في أ: «يقاتل».

(٢) في أ، هـ: «بعلمه».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ صَحَّةِ قَوْلِهِ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنْ قَوْلُهُ لِأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ حُجَّةَ الْآخَرِ كَانَتْ خَطِيئَتُهُ الَّتِي اسْتَغْفَرَ مِنْهَا وَأَنَابَ .

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الْخُلَطَاءُ : هُمُ الشَّرَكَاءُ فِي الْأَمْوَالِ ، وَلَكِنَّ الْخُلُطَةَ أَعْمٌ مِنَ الشَّرَكَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْخُلُطَةَ فِي الْمَوَاشِي لَيْسَتْ بِشَرَكَةٍ فِي رِقَابِهَا .

وَقَصَّدَ دَاوُدُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْوَعْظَ لِلْخَصْمِ الَّذِي بَغَى ، وَالتَّسْلِيَةَ بِالنَّاسِ لِلْخَصْمِ الَّذِي بُغِيَ عَلَيْهِ .

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ .

﴿وَوَلَنَ دَاوُدُ أَمَّا فَتَنَّتُهُ﴾ ظَنَ هُنَا : بِمَعْنَى شَعَرَ بِالْأَمْرِ .

وَقِيلَ : بِمَعْنَى أَيْقَنَ .

﴿وَفَتَنَّتُهُ﴾ مَعْنَاهُ : اخْتَبَرَنَاهُ .

﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ مَعْنَى ﴿حَرَّ﴾ : أَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ :

فَقِيلَ : إِنْ الرُّكُوعَ هُنَا : بِمَعْنَى السُّجُودِ .

وَقِيلَ : حَرَّ مِنْ رُكُوعِهِ سَاجِدًا بَعْدَ أَنْ رَكَعَ .

وَمَعْنَى ﴿أَنَابَ﴾ : تَابَ .

وَرَوَى أَنَّهُ بَقِيَ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَبْكِي حَتَّى نَبَتَ الْبَقْلُ مِنْ دُمُوعِهِ .

وهذا الموضوع فيه سجدة عند مالك، خلافاً للشافعي، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، أو عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَنَابٍ﴾؟.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَمَّا لَزَلْنِي وَحُسْنَ مَنَابٍ﴾ الزُّلْفَى: القُرْبَة والمكانة الرفيعة.

والمَنَاب: المرجع في الآخرة.

﴿يَنَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله يا داود.

وخلافة داود: بالنبوة والملك.

قال ابن عطية: لا يقال «خليفة الله» إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم: «خليفة الله» تجوُّزٌ<sup>(١)</sup>.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٢).

[﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٧٧) أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٧٨) كَتَبَ أَرْزُقُهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَذَّبُوا ءَاتِيهِ وَلِتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٧٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٨٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفَوْنَ الْخِثَّاءِ﴾ (٨١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٨٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٨٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٨٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨٥) فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٨٦) وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ (٨٧) وَمَا خَرَيْنَ مُقْرِنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٨٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٨٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ (٩٠)].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي: عبثًا، بل خلقها الله بالحق؛ للاعتبار بها والاستدلال على خالقها.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خِلْقَةُ السموات والأرض عندهم باطلاً لغير الحكمة؛ فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخروي<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ «أَمْ» هنا استفهامية يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل أحد بعمله؛ لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلالٌ على الحشر والجزاء، وفيه أيضًا وعد<sup>(٢)</sup> ووعد.

(١) في ب، هـ: «الأخروي».

(٢) في ب، ج: «وعظ».

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْيَتَامَى﴾ ﴿٣١﴾ ﴿الصَّفِيفَتُ﴾ : جمع صافن، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يديه أو رجله، ويقف على طرف الأخرى.

وقيل : الصافن : هو الذي يسوي يديه .

والصّفن علامة على فراهة الفرس .

و﴿الْيَتَامَى﴾ : السريعة الجري .

واختلف الناس في قصص هذه الآية :

فقال الجمهور : إن سليمان عليه السلام عُرِضَتْ عليه خيل كان ورثها عن أبيه ، وقيل : أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل : أكثر ، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاته صلاة العشي ، وقيل : العصر ، فأسِفَ لذلك ، وقال : ردوا عليّ الخيل ، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها ؛ لما كانت سبب فوت الصلاة ، ولم يترك منها إلّا اليسير ، فأبدله الله أسرع منها ، وهي الريح .

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال : تفويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان ، وعَقَرُ الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأيُّ ذنبٍ للخيل في تفويت الصلاة .

فقال بعضهم : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة ، فعقرها تقرباً إلى الله .

وقال بعضهم : لم تفته صلاة ، ولا عَقَرُ الخيل ، بل كان يصلي فعُرِضَتْ عليه الخيل ، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها ، فلما فرغ من الصلاة قال : «ردّوها عليّ» فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة .

وقيل : إن المسح عليها كان وسماً في سوقها وأعناقها بوسم : «حَبَسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة :

فأما الذين قالوا : إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة : فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الخير هنا : يراد به الخيل ، وزعموا أنه يقال للخيل خيرٌ ، و﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى : آثرتُ ، أو بمعنى فعلٍ يتعدى بـ «عن» ؛ كأنه قال : آثرت حب الخيل فشغلني عن ذكر ربي .

والآخر : أن الخير هنا : يراد به المال ؛ لأن الخيل وغيرها مالٌ ، فهو كقوله تعالى : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة : ١٨٠] أي : مالا .

والثالث : أن المفعول محذوفٌ ، و﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ مصدرٌ ، والتقدير : أحببت هذه الخيل مثل حب الخير ، فشغلني عن ذكر ربي .

وأما الذين قالوا : كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها ؛ فالمعنى : أنه قال : إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، فشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل .

﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، وذكر العشي يقتضيها ، والمعنى : حتى غابت الشمس . وقيل : الضمير للخيل ، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ : دخلت اصطبلاتها .

والأول أشهر وأظهر.

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا عليّ الخيل.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ السُّوق: جمع ساق، يعني: سوق الخيل وأعناقها؛ أي: جعل يمسحها مسحًا.

وهذا المسح مختلفٌ على حسب الاختلاف المتقدم: هل هو قَطْعُهَا وعقرها؟ أو مَسْحُهَا باليد محبةً لها؟، أو وَسْمُهَا بالتحجيس<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان كان له خاتمٌ مُلْكُهُ، وكان فيه اسم الله<sup>(٢)</sup>، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء؛ توقيفًا لاسم الله تعالى، فنزعه يومًا ودفعه إلى جاريته، فتمثل لها جنّي في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر، فقع على كرسيّ سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارًا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتًا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنّي قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه.

ففتنة سليمان على هذا: هي ما جرى له من سلب ملكه.

والجسد الذي أُلقي على كرسيه: هو الجنّي الذي قعد عليه، وسماء

(١) في ب، ج: «اللتحيس».

(٢) في هامش ب زيادة: «الأعظم».



جسدًا ؛ لأنه تصوّر في صورة إنسان .

ومعنى ﴿أَنَابَ﴾ :

رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء .

أو رجع إلى ملكه .

**والقول الثاني :** أن سليمان كانت له امرأة يحبها ، وكان أبوها ملكًا كافرًا قد قتله سليمان ، فسألته أن يصنع لها صورة أيها ، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواربها ، وصار صنمًا معبودًا في داره ، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يومًا ، فلما علم به كسره .

فالفتنه على هذا : عمل الصورة .

والجسد : هو الصورة .

**والقول الثالث :** أن سليمان كان له ولد ، وكان يحبه حبًا شديدًا ، فقالت الجن : إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السُّخرة أبدًا ، فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه .

فالفتنه على هذا : حبه في الولد .

والجسد : هو الولد لما مات ، وسمي جسدًا ؛ لأنه جسد بلا روح .

**والقول الرابع :** أنه قال : « لأطوفن الليلة على مئة امرأة ، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله » ، ولم يقل : « إن شاء الله » ، فلم تحمل واحدةً منهنّ إلا واحدة جاءت بشقّ إنسان .

فالفتنه على هذا : كونه لم يقل : « إن شاء الله » .

والجسد: هو شقُّ الإنسان الذي وُلِدَ له.

فأما القول الأول: فضعيفٌ من طريق النقل، مع أنه يبعد ما ذُكِرَ فيه من سلب الملك عن سليمان وتسليط الشياطين عليه.

وأما القول الثاني: فضعيفٌ أيضًا، مع أنه يبعد أن يُعْبَدَ صنمٌ في بيت نبيٍّ، أو يأمر نبي بعمل صنم.

وأما القول الثالث: فضعيفٌ أيضًا.

وأما القول الرابع: فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْتَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ قدّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهم من الدنيا، فقدّم الأولى والأهم.

فإن قيل: لأي شيء قال: ﴿لَا يَبْتَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج: إنه كان حسودًا<sup>(٢)</sup>؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجني لملكه، فقصد أن لا يُسَلَبَ ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره.

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٩/٧): «وروي في مثالب الحجاج بن يوسف أنه لما قرأ هذه الآية قال: «لقد كان حسودًا»، وهذا من فسق الحجاج».

والآخر: أنه طلب ذلك لتكون<sup>(١)</sup> معجزة، دلالة على نبوته.

﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ معنى ﴿رُحَاءَ﴾: لينة طيبة.

وقيل: مطيعة<sup>(٢)</sup> له.

وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] في «الأنبياء»<sup>(٣)</sup>.

و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد.

﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَاصِرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿الشَّيْطِينَ﴾ معطوف على ﴿الرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ بدل من ﴿الشَّيْطِينَ﴾.

أي: سحرنا له الريح والشياطين من يبني منهم ومن يغوص في البحر. ﴿وَالْآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ أي: آخرين من الجن موثقين في القيود والأغلال.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت.

وقيل: المعنى: امنن على من شئت من الجن بالإطلاق<sup>(٤)</sup> من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود.

(١) في أ، هـ: «ليكون».

(٢) في أ: «طائفة»، وفي هـ: «طبعة».

(٣) انظر صفحة ١٦١.

(٤) في أ، هـ: «بإطلاق».

والأول أحسن، وهو قول ابن عباس.

﴿بَغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

أحدها: أنه لا يُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَعَلَ.

والآخر: بغير تضيقٍ عليه<sup>(١)</sup> في الملك.

والثالث: بغير حساب ولا عدد، بل خارج عن الحضر.

﴿وَإِنْ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْلَفَىٰ وَحُسْنٌ مَّثَابٍ﴾ قَدْ ذُكِرَ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ.



(١) فِي د: «عَلَيْكَ».

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَوَّابًا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ (٤١) أَرْكَضَ بِرَحْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۚ﴾ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ﴾ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرًا وَلَا تَخَشْطْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۚ﴾ (٤٤) وَأَذْكُرْ عَبْدًا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۚ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۚ﴾ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۚ﴾ (٤٧) وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۚ﴾ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ۚ﴾ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ﴾ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۚ﴾ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مَطْرُوفٍ ۚ﴾ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۚ﴾ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ ۚ﴾ (٥٤) هَذَا وَإِنَّ لِلطَّالِفِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ ۚ﴾ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ إِلَيْهَا ۚ﴾ (٥٦) هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ۚ﴾ (٥٧) وَمَا خَرُّ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ۚ﴾ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۚ﴾ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسِفُ الْفَرَارُ ۚ﴾ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۚ﴾ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۚ﴾ (٦٢) أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۚ﴾ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۚ﴾ (٦٤)

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَوَّابًا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ (٤١) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في «الأنبياء» (١).

والتَّصْبُ: يقال بضم النون وإسكان الصاد، ويفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، ويفتحهما، ومعناه واحد: وهو المشقة.

فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟

فالجواب : من أربعة أوجه :

أحدها : أن سبب ذلك كان من الشيطان ، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكراً فلم يغيّره .

وقيل : إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها ، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئاً .

والثاني : أنه أراد : ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء ، فدعا إلى الله أن يدفع<sup>(١)</sup> عنه وسوسة الشيطان بذلك .

والثالث : أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه ، فأهلك ماله فصبر ، وأهلك أولاده فصبر ، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر ، فنسب ذلك إلى الشيطان ؛ لتسليط الشيطان عليه .

والرابع : روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها : قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهب ما به من المرض ، فذكرت المرأة ذلك لأيوب ، فقال لها : «ذلك عدو الله الشيطان» ، وحيث دعا .

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير : «قلنا له : اركض برجلك» ، فضرَب الأرض برجله فنبت له عَيْنُ ماءٍ صافيةٌ باردة ، فشرب منها فذهب<sup>(٢)</sup> كلُّ مرض كان داخل جسده ، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده . وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبت له عيانان ، فشرب من أحدهما ،

(١) في أ ، ب ، هـ : «يرفع» .

(٢) في ب : «فأذهب الله» .

واغتسل من الأخرى .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(١)</sup> .

﴿وَحَذَّ يَدَكَ ضِعْفًا فَأُضْرِبَ بِهِ، وَلَا تَحْنُتُ﴾ الضَّعْفُ : القبضة من القُضبان .

وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مئة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان وقوله لها : إن سجد لي زوجك أذهبت ما به ، فأمره الله أن يأخذ ضغثاً فيه مئة قضيب فيضربها بها ضربة واحدة فيبر في يمينه .

وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حدّ رجل زنى ، وكان مريضاً ، فأمر رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريخ مئة ، فضرب به ضربة واحدة ، ذكر ذلك أبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup> .

وأخذ به بعض العلماء ، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه .

﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ ﴿الْأَيْدَى﴾ جمع يد ، وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحة ، وإنما عبّر عن ذلك بالأيدي ؛ لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي .

وأما ﴿الْأَبْصَرِ﴾ فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم ، من قولك : أبصر الرجل : إذا تبينّت له الأمور .

وقيل : ﴿الْأَيْدَى﴾ جمع يد بمعنى النعمة ، ومعناه : أولوا النعم التي

(١) انظر صفحة ١٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٣٥) ، أبو داود (٤٤٧٢) ، والنسائي في الكبرى (٤٧٣/٦) .

أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما تجمع<sup>(١)</sup> على أيادي.

وقرأ ابن مسعود: «أولوا الأيد»، بغير ياء، فيحتمل:

أن تكون «الأيدي» محذوفة الياء.

أو يكون الأيد بمعنى القوة، كقوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.

﴿إِنَّا أَخْلَصْتُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٢١) معنى ﴿أَخْلَصْتُمْ﴾:

جعلناهم خالصين لنا.

أو خصصناهم<sup>(٢)</sup> دون غيرهم.

و﴿خَالِصَةٍ﴾ صفةٌ حذف موصوفها، تقديره: بخالصة خالصة.

وأما الباء في قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾:

فإن كان ﴿أَخْلَصْتُمْ﴾ بمعنى: جعلناهم خالصين: فالباء سببية للتعليل.

وإن كان ﴿أَخْلَصْتُمْ﴾ بمعنى خصصناهم: فالباء لتعذية الفعل.

وقرأ نافع بإضافة ﴿خَالِصَةٍ﴾ إلى ﴿ذِكْرَى﴾ من غير تنوين.

وقرأ غيره بالتنوين، على أن تكون ﴿ذِكْرَى﴾ بدلاً من ﴿خَالِصَةٍ﴾ على وجه البيان والتفسير لها.

و﴿الدَّارِ﴾ يحتمل أن يريد به: الآخرة أو الدنيا.

(١) في ب، ج، هـ: «يجمع».

(٢) في أ، هـ: «أخلصناهم».



فإن أراد به الآخرة: ففي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ يعني به: ذِكْرُهُم لِلْآخِرَةِ وَحُبُّهُمْ فِيهَا .  
والآخر: أن معناه: تذكيرُهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله .

والثالث: أن معناه: ثواب الآخرة؛ أي: أخصلناهم بأفضل ما في الآخرة .

والأول أظهر .

وإن أراد بالدار الدنيا: فالمعنى: حُسْنُ الثَّناء والذِّكر الجميل في الدنيا،  
كقوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤] .

﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيْرٍ بتشديد الياء، أو خَيْرٍ المخفف من خَيْرٍ، كَمِيتٌ  
مخففٌ من مِيتٍ .

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(١)</sup> .

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء .

وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته .

والأول أظهر .

وكان قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ختامٌ للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام  
آخر، كما يُنمُّ المؤلف بابًا ثم يقول: «فهذا باب»، ثم يشرع في آخر .

(١) انظر صفحة ١٦٣ .

﴿قَصَرْتُ الْأَظْفَرِ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(١)</sup>.

﴿أَرَابُ﴾ يعني: أسنانهن سواء، يقال: فلان يَرُبُّ فلان: إذا كان مثله في السن.

وقيل: يعني: أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء.

﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَائٍ﴾ أي: ماله من فناء ولا انقضاء.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ﴾ تقديره: «الامر هذا»، لما أتم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله: ﴿هَذَا﴾، ثم ابتداء وصف أهل النار. ويعني بالطَّاعِينَ: الكفار.

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَمِيمٌ﴾، و﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: اعتراض بينهما.

والحميم: الماء الحار.

والغساق: قرئ بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار.

وقيل: ما يسيل من عيونهم.

وقيل: هو عذاب لا يعلمه الله.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾ ﴿أَخْرَجْنَا﴾ معطوف على ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، تقديره: وعذاب آخر، قيل: يعني: الزمهرير.

ومعنى ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾: من مثله ونوعه؛ أي: من مثل العذاب المذكور.

و﴿أَزْوَاجٌ﴾ معناه: أصناف، وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر.

والمعنى: أنها أصناف من العذاب.

وقال ابن عطية: ﴿ءَاخِرُ﴾ مبتدأ، واختلف في خبره؛ ف قيل: تقديره: ولهم عذاب آخر<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ مبتدأ، و﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ خبر ﴿أَزْوَاجٌ﴾، والجملة خبر ﴿ءَاخِرُ﴾.

وقيل: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ خبر ﴿ءَاخِرُ﴾، و﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ في موضع الصفة. وقرئ ﴿أَخْرُ﴾ بالجمع، وهو أليق أن يكون ﴿أَزْوَاجٌ﴾ خبره؛ لأنه جمع مثله.

﴿مَدَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج: جماعة من الناس.

والمقتحم: الداخل في زحام وشدة.

وهذا من كلام خزنة النار، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولاً، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه.

وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض.

والأول أظهر.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا يلقون رُحْبًا ولا خيرًا، وهو دعاء من كلام رؤساء

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٥٨).

الكفار؛ أي: لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباع لهم.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتَ لَا مَرْحَبًا بِكَ﴾ هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء، لما قالوا لهم: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنْتَ لَا مَرْحَبًا بِكَ﴾.

﴿أَنْتَ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع خطابًا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم: ﴿بَلْ أَنْتَ لَا مَرْحَبًا بِكَ﴾.

والضمير في ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ للعذاب، ومعنى ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾: أوجبتموه لنا بما قدَّمتم في الدنيا من إغوائنا، وأمركم لنا بالكفر.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع، دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

والضَّعف: زيادة المثل.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ للرؤساء الكفار.

وقيل: للطَّاغين.

والرجال: هم ضعفاء المؤمنين.

فقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم: عمار، وبلال، وصهيب، وأمثالهم.

واللفظ أعم من ذلك .

والمعنى : أنهم قالوا في جهنم : ما لنا لا نرى في النار رجالاً كنا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار .

﴿ اتَّخَذْتَهُمْ سُخْرِيًّا ﴾ قرئ ﴿ اتَّخَذْتَهُمْ ﴾ بهمزة قطع ، ومعناها : توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سُخْرِيًّا .

وقرئ بألف وصل ، على أن تكون الجملة صفة للرجال .  
وقرئ ﴿ سُخْرِيًّا ﴾ :

بضم السين : من التَّسخير ؛ بمعنى الخدمة .

وبالكسر : من معنى الاستهزاء .

﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ هذا يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون معادلاً لقولهم : ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا ﴾ ، والمعنى : ما لنا لا نراهم في جهنم ؟ فهم ليسوا فيها ؟ ، أم هم فيها ولكن زاغت عنه أبصارنا ؟ ومعنى ﴿ زَاغَتْ عَنْهُمْ ﴾ : مالت فلم ترهم <sup>(١)</sup> .

الثاني : أن يكون معادلاً لقولهم : ﴿ اتَّخَذْتَهُمْ سُخْرِيًّا ﴾ ، والمعنى : اتخذناهم سُخْرِيًّا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا ؟

ومعنى زاغت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم ؛ احتقاراً لهم .

(١) في أ ، هـ : «نرهم» .

الثالث: أن تكون «أم» منقطعة بمعنى «بل» والهمزة، فلا تعادل شيئاً ما قبلها.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسره بقوله: ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

وإعراب ﴿تَخَاصُّمُ﴾:

بدلٌ من ﴿لَحَقٌّ﴾.

أو خبر مبتدأ مضمرة.



﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ مِنْ بَشَرٍ مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجْدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿﴾ .

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٧٧) : النبأ : الخبر ، ويعني به : ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة .

وقيل : يعني : القرآن .

وقيل : يوم القيامة .

والأول أعم وأرجح .

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٦٩) : الملاء الأعلى : هم الملائكة .

ومقصد الآية : الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك .

والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للملائكة الأعلى، واختصامهم: هو في قصة آدم حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد فيم يختصم الملائكة الأعلى؟»، فقال: لا أدري، قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد» الحديث بطوله<sup>(١)</sup>.

وقيل: الضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للكفار؛ أي: يختصمون في الملائكة الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (٧١) ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقد ذكرنا في «البقرة» معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس<sup>(٢)</sup>. وذكرنا في «الحجر» معنى قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ يَإِذَائِلِسُ مَا مَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله ﷻ، و﴿بِإِدْنِي﴾: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله.

وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣).

(٢) انظر (١/٣٠٠).

(٣) انظر (٢/٧١٩).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١٩٥/٢.



وقال القاضي أبو بكر ابن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات ذات زائدة على الصفات المتقررة.

قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه<sup>(١)</sup>.

وحكى الزمخشري: أن معنى ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: خلقت بغير واسطة<sup>(٢)</sup>.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْفَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل، و﴿أَمْ﴾ هنا معادلة.

والمعنى: أستكبرت الآن أم كنت قديماً ممن يعلو ويستكبر؟، وهذا على جهة التوبيخ له.

﴿رَجِمْ﴾ أي: لعين مطرود.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني: القيامة، وقد تقدّم الكلام على ذلك في «الحجر»<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ فِيعَزِّكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسمة، أي: أقسم إبليس بعزة الله أن يُغوي بني آدم.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿الضمير في ﴿قَالَ﴾ هنا: لله تعالى.

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٦٤).

(٢) الكشف (١٣/٣٢٤).

(٣) انظر (٢/٧١٩).

﴿الْحَقُّ﴾ الأول: مُقَسَّمٌ<sup>(١)</sup> به، وهو منصوب بفعل مضمر، كقولك: «الله لأفعلن»، وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

وقرئ بالرفع، وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره: الحقُّ يميني.

وأما ﴿الْحَقُّ﴾ الثاني: فهو مفعولٌ بـ ﴿أَقُولُ﴾.

وقوله: ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القسم وجوابه، على وجه التأكيد للقسم.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي: الذين يتصنعون ويتحلّون بما ليسوا من أهله.

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَاقُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد؛ أي: لتعلمنَّ صدق خبره بعد حين.

والحين:

يوم القيامة.

أو موتهم.

أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.

(١) في ب، ج: «المقسم».

## ﴿سورة الزمر﴾

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ② أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ  
أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ③ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا  
لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ④ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ⑤ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ  
أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ⑥ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ  
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑦ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ  
إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسَىٰ مَا كَانَ يُدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ  
قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ⑧ أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ عَائِةً أَيْلًا سَاجِدًا وَقَآئِمًا  
يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
أُولُو الْأَلْبَابِ ⑨ ]

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمّر تقديره: «هذا تنزيل»، و﴿مِنْ اللَّهِ﴾ على هذا الوجه:  
يتعلق بـ﴿تَنْزِيلُ﴾.

أو يكون خبراً بعد خبر.

أو خبر مبتدأ آخر محذوف.

و﴿الْكِتَابِ﴾ هنا: القرآن، أو السورة.

واختار ابن عطية أن يراد به: جنس الكتب المنزلة<sup>(١)</sup>.

وأما ﴿الْكِتَابِ﴾ الثاني: فهو القرآن باتفاق.

﴿يَالْحَقُّ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون معناه: متضمناً للحق.

والثاني: أن يكون معناه: بالاستحقاق والوجوب.

﴿مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو  
الرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل: معناه: من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين  
الخالص.

ويحتمل أن يكون معناه: أن الدين الخالص هو دين الله وهو<sup>(٢)</sup> الإسلام،  
الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره.

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٦٩).

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من ج.

معنى ﴿الْخَالِصُ﴾ : الصافي عن شوائب الشرك .

وقال قتادة : الدين الخالص : شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال الحسن : هو الإسلام ، وهذا أرجح ؛ لعمومه .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء : الشركاء المعبودين .

ويحتمل أن يريد بـ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ :

الكفار العابدين لهم .

أو الشركاء المعبودين .

والأول أظهر ؛ لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على

﴿الَّذِينَ﴾ تقديره : الذين اتخذوهم ، ويكون ضمير الفاعل في ﴿اتَّخَذُوا﴾

عائداً على غير مذكور .

وارتفاع ﴿الَّذِينَ﴾ على الوجهين بالابتداء ، وخبره :

إما قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ .

أو المحذوف المقدّر قبل قوله : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ؛ لأن تقديره : «يقولون ما

نعبدهم» .

والأول أرجح ؛ لأن المعنى به أكمل .

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ هذه الجملة في موضع معمولٍ قولٍ

محذوف ، والقول في موضع الحال ، أو في موضع بدل من صلة ﴿الَّذِينَ﴾ .

وقرأ ابن مسعود : «قالوا ما نعبدهم» بإظهار القول .

أي: يقول الكفار: ما نعبد هذه الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك: الكفار الذين عبدوا الملائكة.

أو الذين عبدوا الأصنام.

أو الذين عبدوا عيسى أو عزيزاً.

فإن جميعهم قالوا هذه المقالة.

ومعنى ﴿زُلْفَى﴾: قريب، فهو مصدرٌ من ﴿يُقَرَّبُونَا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم: ﴿لَيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿لَا يَهْدِي﴾ في تأويله وجهان:

أحدهما: لا يهديه في حال كفره.

والثاني: أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر.

وهذا تأويل: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ و﴿الْكَافِرِينَ﴾ حيثما وقع.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الولد يكون على

وجهين:

أحدهما: بالولادة الحقيقية، وهذا محالٌ على الله تعالى، لا يجوز في

العقل.

والثاني: التبني، بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولد

غيره ولداً؛ لإفراط محبته له، وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله:

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿٩٢﴾ [مريم: ٩٢] يعمُّ نفْيَ الوجهين.

فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية<sup>(١)</sup>: لو أراد الله أن يتخذ ولدًا على وجه التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله.

وقال الزمخشري: معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب، لا على وجه اتخاذه ولدًا، فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب، فحسب الكفار أنهم أولادُه، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثًا، فأفراطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته<sup>(٢)</sup>.

﴿سُبْحَنَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنس له؛ لأنه واحد.

ووصف نفسه بالقهار؛ ليدل على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهورٌ تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكًا له؟

ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السموات والأرض وغيرهما؛ لتدل على وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ التكوير: اللَّفُّ واللِّيُّ، ومنه: كَوَّرُ العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارة.

ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكأن الذي يطول

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٧١).

(٢) الكشف (١٣/٣٣٨-٣٣٩).

من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره، وكأن الذي يقصر يدخل في الذي يطول فيستر فيه<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فشبه في ستره له بثوب يلف على آخر.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء، خلقها من ضلع آدم.

فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ﴾ على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شك أن خلقه حواء كانت قبل خلقه بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو المختار - : أن العطف إنما هو على معنى قوله: ﴿وَاحِدَةٍ﴾ لا على ﴿خَلَقَكُمْ﴾، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة، ثم خلق منها زوجها بعد وحدثها.

الثاني: أن «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر، وكان ذلك قبل خلقه حواء.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ زَوْجٍ﴾ يعني: المذكورة<sup>(٢)</sup> في «الأنعام»:

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧٢).

(٢) في أ، هـ: «المذكورين».



﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وسماها أزواجاً؛ لأن الذكر زوج الأنثى<sup>(١)</sup> والأنثى زوج الذكر<sup>(٢)</sup>.

وأما لفظ ﴿وَأَنْزَلَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض.

الثاني: أن معنى ﴿وَأَنْزَلَ﴾: قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال رزقها، وهذا بعيد.

﴿خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ يعني: أن الإنسان يكون نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح.

﴿فِي طُلُمُنٍ ثَلَاثٍ﴾ هي: البطن والرحم والمشيمة.

وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿بُطُونٌ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ ولم يذكر الصلب.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ﴾ أي: لا يضره كفركم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ ﴿عِبَادِهِ﴾ من قضى الله

(١) في ب، د: «الأنثى».

(٢) في ب، د: «الذكر».

له بالإيمان والوفاء عليه، فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

والآخر: أن الرضا غير الإرادة، والعباد على هذا: على العموم، أي: لا يرضى الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم، فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا، وأراده وقوعًا ووجودًا.

وأما المعتزلة: فالرضا عندهم: بمعنى الإرادة، والعباد على العموم؛ جريًا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عموم، والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان. ﴿وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً﴾ ذكر في «الإسراء»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية؛ يراد بالإنسان هنا: الكافر؛ بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

والقصد بهذه الآية: عتاب وإقامة حجة، فالعتاب: على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة: على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد.

فإن قيل: لم قال هنا: ﴿وَإِذَا مَسَّ﴾ بالواو وقال بعد هذا: ﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ بالفاء؟

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكر المصنف الوجهين عن الأشاعرة، ولم يرجح، والصواب هو القول الثاني، وهو أن الرضا غير الإرادة، وأنه لا تلازم بين الرضا والإرادة الكونية، وعلى هذا فالله لا يرضى الكفر لأحد من عباده، وإن كان قد يشاؤه من بعضهم، فالكافر قد شاء الله منه الكفر، وإن كان لا يرضاه، وهذا يوافق قول أهل السنة. (٢) انظر (٧٩٨/٢).

فالجواب: أن الذي بالفاء مسببٌ عن قوله: ﴿أَشْمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فجاء بقاء السببية<sup>(١)</sup>. قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وهو بعيد.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ معنى ﴿خَوَّلَهُ﴾: أعطاه.

والنعمة هنا: يحتمل أن يريد بها:

كشف الضرر المذكور.

أو أيّ نعمة كانت.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾:

مصدرية؛ أي: نسي دعاءه.

أو تكون بمعنى «الذي»، والمراد بها: الله تعالى.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ﴾ بتخفيف الميم، على إدخال همزة الاستفهام على

«مَنْ».

وقيل: هي همزة النداء.

والأول أظهر.

وقرئ بتشديدها، على إدخال «أَمْ» على «مَنْ» و«مَنْ» مبتدأ، وخبره محذوف، وهو المعادل للاستفهام، تقديره: «أَمْ مَنْ هُوَ قَانِثٌ كغيره»، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده من قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾.

(١) في ب، ه: «التسبب»، وفي د: «التسبب».

(٢) الكشاف (١٣/٤٠٤).

والقنوت هنا : بمعنى الطاعة ، أو الصلاة بالليل .

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ لَيْلًا﴾ : ساعاته .



[﴿قُلْ يٰعِبَادِ الدِّينِ ءَامِنُوا اَنْفُقُوا رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَّ اَرْضُ  
 اللّٰهِ وَّاسِعَةٌۦۙ اِنَّمَا يُوَفَّى الصّٰدِقُوْنَ اَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٢) قُلْ اِنِّىْ اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصًا لِّهِ  
 الدِّينَ﴾ (١١) وَاُمِرْتُ لِاَنْ اَكُوْنَ اَوَّلَ الْمُسْلِمِيْنَ﴾ (١٢) قُلْ اِنِّىْ اَخَافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبِّىْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ  
 ﴿١٣﴾ قُلِ اللّٰهُ اَعْبُدْ مُخْلِصًا لِّهِ دِيْنِىْ﴾ (١٤) فَاَعْبُدُوْا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُوْنِهِ قُلْ اِنَّ الْخٰسِرِيْنَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا  
 اَنْفُسَهُمْ وَاَهْلِيْهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخٰسِرَانِ اَلَمْ يَنْۢبِئْ﴾ (١٥) لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ  
 وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلَلٌ ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبَادَهُ يٰعِبَادِ فَاَنْتَقُوْنَ﴾ (١٦) وَالَّذِيْنَ اٰجْتَنَبُوا الطّٰغُوْتَ اَنْ  
 يَّعْبُدُوْهَا وَاَنَابُوْا اِلَى اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرٰى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (١٧) الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ  
 اَحْسَنَهُۥۙ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ هَدٰىهُمُ اللّٰهُ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْاٰلُفْبِ﴾ (١٨) اَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ  
 الْعَذَابِ اَفَاَنْتَ تُنْفِذُ مِنْ فِى النَّارِ﴾ (١٩) لٰكِنَّ الَّذِيْنَ اَنْفَقُوْا رِزْقَهُمْ لِمُحِبِّۙ هُمْ عَرَفُوْا مِنْ قَوْفِهَا عَرَفُ مَبِيۙةً  
 تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ وَعَدَ اللّٰهُ لَا يَخْلِفُ اللّٰهُ اَلْعِيَادَ﴾ (٢٠) اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ  
 مَآءً فَاَسْلَكْنَا بِتَبِيۙعٍ فِى الْاَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهٖ زَرْعًا مُّخْتَلِفًاۙ اَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰهُ مُضْمَرًا  
 ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَذِكْرٰى لِّاُولٰٓئِكَ اَلْاَلْبِ﴾ (٢١)].

﴿قُلْ يٰعِبَادِ الدِّينِ ءَامِنُوا﴾ الآية؛ نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه  
 حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة.

ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة.

﴿لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلق ﴿فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا﴾:

بـ ﴿اَحْسَنُوا﴾، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة.

أو يتعلق بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾، والحسنة على هذا: حُسن الحال والعافية<sup>(١)</sup> في  
 الدنيا.

(١) في ب، د: «والعافية» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٣/٣٥٣).

والأول أرجح.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ يراد بها : البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها .  
والمقصد من ذلك : حضُّ على الهجرة .

﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين :  
أحدهما : أن الصابر يؤتى أجره ، ولا يحاسب على أعماله ، فهو من  
الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

الثاني : أن أجر الصابرين بغير حضرٍ بل أكثر من أن يحصر<sup>(١)</sup> بعددٍ  
أو وزن ، وهذا قول الجمهور .

﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ اللام هنا يجوز أن تكون :  
زائدة .

أو للتعليل ، ويكون المفعول على هذا محذوفاً .

فإن قيل : كيف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ على ﴿أُمِرْتُ﴾ والمعنى واحد؟  
فالجواب : أن الأول أمرٌ بالعبادة والإخلاص ، والثاني أمرٌ بالسَّبق إلى  
الإسلام ، فهما معنيان اثنان .

وكذلك قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ﴾ ليس تكراراً لقوله : ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ ؛  
لأن الأول إخبارٌ بأنه مأمور بالعبادة ، والثاني إخبارٌ بأنه يفعل العبادة .  
وقدَّم اسم الله تعالى ؛ للحصر واختصاص<sup>(٢)</sup> العبادة به وحده .

(١) في أ : «ينحصر» ، وفي ب : «يحصى» .

(٢) هنا ينتهي سقط الورقة من ج .

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ هذا تهديد، ومبالغة في الخذلان والتَّخْلِيَة لهم على ما هم عليه.

﴿ظُلُلٌ﴾ جمع ظُلة - بالضم -، وهو ما غشي من فوق، كالسقف، فقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ بَيِّنٌ، وأما: ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ﴾ فسماء ظُلة؛ لأنه سقف لمن تحتهم؛ فإن جهنم طبقات.

وقيل: سماء ظُلة؛ لأنه يلتهب ويصعد<sup>(١)</sup> من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا.

وقيل: نزلت في أبي ذرٍّ، وسلمان، وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة، والآية مكية.

والأظهر: أنها عامة.

والطاغوت هنا: كلُّ ما عُبد من دون الله.

وقيل: الشياطين.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: معناه: يستمعون القول على العموم، فيتبعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام.

وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، وشبه ذلك.

(١) في ب، ج: «ويتعقد»!

وقيل : هو الذي يسمع حديثاً فيه حسنٌ وقبيحٌ ، فيحدث بالحسن ويكفّ عما سواه ، وهذا قول ابن عباس ، وهو الأظهر .

وقال ابن عطية : هو عام في جميع الأقوال ؛ والقصد الثناء على هؤلاء ببصائرٍ ونظرٍ سديدٍ يفرّقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك <sup>(١)</sup> .

وقال الزمخشري مثل هذا المعنى <sup>(٢)</sup> .

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون الكلام جملةً واحدةً تقديره : أفمن <sup>(٣)</sup> حقّت <sup>(٤)</sup> عليه كلمة العذاب أنت <sup>(٥)</sup> تنقذه ؟ فوضع ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ موضع المضمّر . والهمزة في قوله : ﴿أَفَأَنْتَ﴾ هي الهمزة التي في قوله : ﴿أَفَمَنْ﴾ وهي همزة الإنكار ؛ كرّرت للتأكيد .

والثاني : أن يكون التقدير : أفمن حق عليه العذاب تتأسّف عليه ؟ ، فحذف الخبر ، ثم استأنف قوله : ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ؟ وعلى هذا يوقف على ﴿الْعَذَابِ﴾ .

والأول أرجح ؛ لعدم الإضمار .

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣) .

(٢) الكشف (١٣/ ٣٦٢-٣٦٣) .

(٣) من هنا يبدأ سقط ورقة من هـ .

(٤) في أ : «حق» .

(٥) في ب ، ج : «أفأنت» .



﴿فَسَلَكَهُ يَنبَيْعَ فِي الْأَرْضِ﴾ معنى ﴿سَلَكَهُ﴾ : أدخله وأجراه .

والينابيع : جمع ينبوع ، وهو العين .

وفي هذا دليلٌ على أن ماء العيون من المطر .

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ﴾ أي : أصنافه ، كالقمح والأرز والبقول وغير ذلك .

وقيل : ﴿أَلْوَنَهُ﴾ : الخضرة والحمرة وشبه ذلك .

وفي الوجهين دليلٌ على الفاعل المختار ، وَرَدَّ على أهل الطبائع .



[أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْفُتُورِ قُلُوبُهُمْ  
مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ  
تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ  
هُدًى لِلَّذِينَ هَدَى اللَّهُ بِيَمِينِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَبْقَى  
بِوَجْهِهِ، سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا  
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾  
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ  
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مِثٌّ وَإِنَّهُمْ مِثْنُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ  
رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴿٣١﴾].

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي  
القلب؟

وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام: علي بن أبي طالب،  
وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم: أبو لهب، وأولاده.  
واللفظ أعم من ذلك.

﴿مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ قال الزمخشري: ﴿مَنْ﴾ هنا: سببية؛ أي: قلوبهم قاسية  
من أجل ذكر الله<sup>(١)</sup>، وهذا المعنى بعيد.

ويحتمل عندي : أن يكون «قاسية» تضمّن معنى : خالية ، فلذلك تعدى بـ «من» ، والمعنى : أن قلوبهم خالية من ذكر الله .

﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني : القرآن .

﴿كِتَابًا﴾ بدل من ﴿أَحْسَنَ﴾ ، أو حال منه .

﴿مُتَشَبِّهًا﴾ معناه هنا : أنه يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والنطق بالحق ، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف .

﴿مَثَانِي﴾ جمع مُثْنِي ؛ أي : تثنى فيه القصص وتكرّر<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن يكون مشتقًا من الثناء ؛ لأنه يُثْنَى فيه على الله .

فإن قيل : ﴿مَثَانِي﴾ جمع ؛ فكيف وُصِفَ به المفرد؟

فالجواب : أن القرآن ينقسم<sup>(٢)</sup> إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار .

ويجوز أن يكون كقولهم : «برمة أعشار» ، و«ثوب أخلاق» .

أو يكون تمييزًا من ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ ، كقولك : «حسن شمائل» .

﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إن قيل : كيف تعدى ﴿تَلَيْنُ﴾ بـ «إلى» ؟

فالجواب : أنه تضمّن معنى فعلٍ تعدى بـ «إلى» ، كأنه قال : تميل أو تسكن

(١) في أ : «يشى . . ويكرر» .

(٢) في أ زيادة : «فيه» .

أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله .

فإن قيل : لم ذكرت الجلود أولاً وحدها ، ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها ؟

فالجواب : أنه لما قال أولاً ﴿ نَفْسَعِرُّ ﴾ ذكر الجلود وحدها ؛ لأن القسْعِرَةَ من وصف الجلود لا من وصف غيرها ، ولما قال ثانياً : ﴿ تَلِينُ ﴾ ذكر الجلود والقلوب ؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود ، أما لين القلوب : فهو ضد قسوتها ، وأما لين الجلود : فهو ضد قسْعِرَتها ، فاقشعرت أولاً من الخوف ، ثم لانت بالرجاء .

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة :

إلى القرآن .

أو إلى الخشية واقشعرار الجلد .

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره ، تقديره : أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب ؟

ومعنى ﴿ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ ﴾ : يلقى النار بوجهه ؛ ليكفها عن نفسه ، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئاً من المخاوف استقبله بيديه ، وأيدي هؤلاء مغلولَةٌ ، فاتَّقوا النار بوجوههم .

﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أي : ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان .

﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا﴾ نصب<sup>(١)</sup> :

على الحال .

أو بفعلٍ مضمر على المدح .

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي : ليس فيه تضادٌ ولا اختلاف ، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر .

وقيل : معناه : غير مخلوق .

وقيل : غير ذي لحن .

فإن قيل : لم قال : ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ولم يقل : «غير مُعَوَّجٌ» ؟

فالجواب : أن قوله : ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أبلغ في نفي العوج عنه ، كأنه قال : ليس فيه شيء من العوج أصلاً .

﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي : متنازعون متظالمون .

وقيل : متشاحون .

وأصله من قولك : رجلٌ شَكِسٌ : إذا كان ضيقَ الصدر .

ومعنى ضرب هذا المثل : بيانُ حال من يشرك بالله ومن يوحدّه ، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ، والمملوك بينهم في أسوأ حال ، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجلٍ واحد .

فمعنى قوله : ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي : خالصاً له .

(١) في ب : «نصبهما» ، وفي ج : «نصبها» .

وقرئ ﴿سَلَامًا﴾ بغير ألف، و﴿سَالِمًا﴾ بألف، والمعنى: واحد.  
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ في هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعدٌ للكفار،  
فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من  
كان على الباطل.

وفيه أيضًا إخبارٌ بأنه ﷺ سيموت؛ لئلا<sup>(١)</sup> يختلف الناس في موته كما  
اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب  
ﷺ موته، حتى احتجَّ عليه أبو بكر الصديق ﷺ بهذه الآية، فرجع إليها.  
﴿تَخَصُّمُونَ﴾ قيل: يعني: الاختصام في الدماء.

وقيل: في الحقوق.

والأظهر أنه اختصامُ النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام  
ما قبله.

ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم  
وغيرها.



(١) في ب، ج: «فلا».

[فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ؟ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾] وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٨﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَذَابٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٣٥﴾].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى : لا أحد أظلم ممن كذب على الله .

ويريد بالكذب على الله هنا : ما نسبوا له <sup>(١)</sup> من الشركاء والأولاد .

﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي : كذب بالإسلام والشرعة .

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قيل : الذي جاء بالصدق : محمد ﷺ ، وهو الذي صدَّق به .

وقيل : الذي جاء بالصدق : محمد ﷺ ، والذي صدَّق به : أبو بكر .

(١) في أ : «إليه» .

وقيل: الذي جاء بالصدق: جبريل، والذي صدَّق به: محمد ﷺ.

وقيل: الذي جاء بالصدق: الأنبياء، والذي صدَّق به: المؤمنون.

واختار ابن عطية أن يكون على العموم، وجعل ﴿الَّذِي﴾ للجنس، كأنه قال: «الفريق الذي...»؛ لأنه في مقابلة من كَذَّب على الله وكَذَّب بالصدق، والمراد به العموم<sup>(١)</sup>.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ تقوية لقلب محمد ﷺ، وإزالة للخوف الذي كان الكفار يخوفونه.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمُ﴾ الآية؛ احتجاج على التوحيد، وردُّ على المشركين.

﴿هَلْ مِنْكُمْ مَنْ كَشَفَتْ ضُرَّه﴾ الآية؛ ردُّ على المشركين، وبرهان على الوحدةانية.

وروي أن سببها: أن المشركين خَوْفُوا رسول الله ﷺ من آلهتهم، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرُونَ على شيء.

فإن قيل: كيف قال: ﴿كَشَفَتْ﴾ و﴿مُمْسِكَتُ﴾ بالتأنيث؟

فالجواب: أنها لا تعقل، فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضاً ففي تأنيثها تحقير لها وتهكُّم بمن عبدها.

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ تهديدٌ ومسالمةٌ منسوخة بالسيف.

﴿بِالْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٩٤).

(٢) انظر صفحة ٧٣٥.



[﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ إِلَيْهِ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَرُزِيقَ الْآخِرَةِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٦) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٧) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٨) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٩) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٠) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٢١) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٢٢) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٣) قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٤) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٢٥) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾].

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية<sup>(١)</sup>

اعتباراً، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين:

أحدهما: وفاة كاملة حقيقية، وهي الموت.

والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وتقديرها: ويتوفى

(١) في ب، ج، د: آية.

الأنفس التي لم تمت في منامها .

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي : يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي .

ومعنى إمساكها : أنه لا يردها إلى الدنيا .

﴿وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي : يرسل الأنفس النائمة .

وإرسالها : هو ردها إلى الدنيا .

والأجل المسمى : هو أجل الموت الحقيقي .

وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق ، والصحيح أن هذا مما استأثر بعلمه الله لقوله : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء : ٨٥] .

﴿أَمْ أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا : بمعنى «بل» وهمزة الإنكار .

والشُّفَعَاءُ : هم الأصنام وغيرها ، لقولهم : ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس : ١٨] .

﴿قُلِ أُولَئِكَ كَانُوا فِي دَعْوَاهُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال ، وتقديره : أيشفعون وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ .

﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي : هو مالکها ، فلا يشفع أحدٌ إليه إلا بإذنه ، وفي هذا ردٌّ على الكفار في قولهم : إن الأصنام تشفع لهم .

﴿وَإِذَا دُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية ؛ معناها : أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبُّون الإشراك به .

ومعنى ﴿أَشْمَأَزَّتْ﴾ : انقبضت من شدة الكراهة .

وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة «النجم» ، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في «الحج»<sup>(١)</sup> ، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى ، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا .

﴿وَيَذَأْلَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي : ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون ؛ لأنهم كانوا يظنون ظنوناً كاذبة .

وقال الزمخشري : إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم ، أي : ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة : ١٧]<sup>(٢)</sup> .

وقيل : معناها : عملوا أعمالاً حسبوها حسنات ، فإذا هي سيئات .

وقال الحسن : ويل لأهل الرياء من هذه الآية .

وهذا على أنها في المسلمين ، والظاهر أنها في الكفار .

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ معنى ﴿وَحَاقَ﴾ : حلّ ونزل .

وقال ابن عطية : وغيره : إن هذا على حذف مضاف تقديره : حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر صفحة ٢١٢ .

(٢) الكشف (١٣/٤٠٢-٤٠٣) .

(٣) المحرر الوجيز (٧/٤٠١) .

ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف، وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون إذا خوفوا بعذاب الله، ويقولون: متى هذا الوعد؟.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: على علم مني بالمكاسب والمنافع.

والآخر: على علم الله باستحقاقي لذلك.

و﴿إِنَّمَا﴾ هنا تحتمل وجهين:

أحدهما - وهو الأظهر - : أن تكون «ما» كافة، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال.

والآخر: أن تكون «ما» اسم «إن» و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ خبرها.

وإنما قال: ﴿أُوتِيتُهُ﴾ بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة؛ للحمل على المعنى.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ رد على الذي قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

﴿فَدَقَّلْنَا الْأَلْبَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارون وغيره.



[قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦٠﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦١﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٢﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتُنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَيَوْمَ الْفِتْمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٤﴾ وَسُجِّيَ اللَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِبِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٥﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٧﴾].

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود: هذه أرجى آية في القرآن.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»<sup>(١)</sup>.

واختلف في سببها:

ف قيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة.

وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففُتِنُوا فافْتَنُوا، ثم ندموا وظنوا

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٢).

أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب، وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي لما جرى له ذلك.

وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زينا، وقتلنا النفوس؟، فنزلت الآية فيهم.

ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره، وذلك أن ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾:

إن أراد به الكفار: فقد أجمعت<sup>(١)</sup> الأمة على أنهم إذا أسلموا غُفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله»<sup>(٢)</sup>، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلدُهم في النار.

وإن أراد به العصاة من المسلمين: فإن العاصي إذا تاب غفر الله ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها:

المغفرة للكفار إذا أسلموا.

أو للعصاة إذا تابوا.

أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة.

والظاهر: أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا

(١) في ب، ج: «اجتمعت».

(٢) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

أسلموا، والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿فَدَّ جَاءَ تَكَ﴾  
 ءَاتِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: اتبعوا القرآن، وليس  
 المعنى: أن بعض القرآن أحسن من بعض؛ لأنه حسن كله، وإنما المعنى:  
 أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالترتيب  
 الذي يقتضيه ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو في الاتباع.

وقيل: يعني: الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقول نفس.  
 وإنما نكر النفس؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفوس الكفار.  
 ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: في حق الله.

وقيل: في أمر الله.

وأصله: من الجنب بمعنى الجانب، ثم استعير لهذا المعنى.

﴿السَّخِرِينَ﴾ أي: المستهزين.

﴿بَلَى﴾ جواب للنفس التي حكي كلامها، ولا يجاب<sup>(١)</sup> بـ «بلى»  
 إلا النفي.

وهي هنا جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنه  
 في معنى النفي؛ لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك

(١) في د: «ولا يجاب».

الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب.

وقال ابن عطية: هي جواب لقوله: ﴿لَوْ أَن لِّ كَرَّةٍ﴾؛ فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتسع للنظر فقليل له: ﴿بِكَلٍّ﴾ على وجه الرد عليه<sup>(١)</sup>.  
والأول أليق بسياق<sup>(٢)</sup> الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي﴾ تفسير لما تضمنته ﴿بِكَلٍّ﴾.

﴿وَجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد:

سواد اللون حقيقة.

أو يكون عبارة عن شدة الكرب.

﴿بِمَفَازِهِمْ﴾ أصله: من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم.

وقيل: معناه بحسناتهم.

وقيل: بفضائلهم.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: قائم بتدبير كل شيء.

﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح.

وقيل: خزائن.

واحدها: مَقْلِيد.

وقيل: إقليد.

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٠٧).

(٢) في ب، ج: «السياق».



وقيل: لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية.

وقال عثمان بن عفان: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السموات والأرض فقال: «هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»<sup>(١)</sup>.

وإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقاً مخلصاً نال الخيرات والبركات من السماء<sup>(٢)</sup> والأرض؛ لأن هذه الكلمات تُوصِل إلى ذلك، فكانها مفاتيح<sup>(٣)</sup> له.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وما بينهما من الكلام اعتراض<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٥٤/١٠).

(٢) هنا ينتهي السقط من هـ.

(٣) في ج: «مفاتيح»، وفي د: «مفتاح».

(٤) الكشف (٤٢٣/١٣).

[﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ٧٦٥ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٧٦٥ ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٧٦٦ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧٦٧ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٧٦٨ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٧٦٩ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٧٧٠].

﴿أَغْفِرَ اللَّهُ﴾ منصوب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾.

﴿تَأْمُرُونِي﴾ حذف إحدى النونين تخفيفاً.

وقرى بنونين على الأصل.

وقرى بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليل على إحباط أعمال المرتد مطلقاً، خلافاً للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر.

فإن قيل: الموحى إليهم جماعة، والخطاب بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ لواحد؟

فالجواب: أن المعنى: أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حدته.

فإن قيل: كيف خطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟

فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: لو وقع منهم شرك

لحبطت أعمالهم، لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة.  
ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبواهم؛ ليدل المعنى على غيرهم  
بالطريق الأولى.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه، ولا وصفوه بما  
يجب له، ولا نزهوه عما لا يليق به.

والضمير في ﴿قَدَرُوا﴾: لقريش.

وقيل: لليهود.

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾  
المقصود بهذا: تعظيم جلال الله، والرد على الكفار الذين ما قدروا الله  
حق قدره.

ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات:

فقال المتأولون: إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة.

وقال ابن الطيب: إنها صفات زائدة على صفات الذات.

وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من  
المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا الله<sup>(١)</sup>.

وقد قال ابن عباس ما معناه: إن الأرض في قبضته والسموات مطويات،  
كل ذلك بيمينه.

وقال ابن عمر ما معناه: أن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسموات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القرن الذين ينفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصعق، وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزع، ولم تذكر في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: يعني: جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثم يميتهم بعد ذلك.

وقيل: استثنى الأنبياء.

وقيل: الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ هي نفخة القيام.

﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظر.

وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، وإنما وحّدها؛ لأنه أراد الجنس.

وقيل: هو اللوح المحفوظ.

﴿وَجَاءَ يَلْبِئِينَ﴾ ليشهدوا على قومهم.

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ يحتمل أن يكون:

جمع شاهد.

أو جمع شهيد في سبيل الله .

والأول أرجح ؛ لأن فيه معنى الوعيد ، ولأنه أليق بذكر الأنبياء  
الشَّاهدين ، والمراد على هذا : أمة محمد ﷺ ؛ لأنهم يشهدون على الناس .

وقيل : يعني : الملائكة الحفظة .

﴿وَفُضِّلَ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق .

• • •

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كَفَرْتُمْ مَنَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِن حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين : جمع زُمرة، وهي الجماعة من الناس، وقال ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»<sup>(١)</sup>.

﴿خَزَنَتُهَا﴾ جمع خازن حيث وقع.

﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ يعني: القضاء السابق بعذابهم.

﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إنما قال في الجنة ﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بالواو وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ على هذا محذوف، وأما أبواب النار فإنما فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِّحَتْ﴾ جوابًا للشرط، فكان بغير واو.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية.

وقيل: الواو زائدة، و﴿فُتِّحَتْ﴾ هو الجواب.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الجنة، والوراثة هنا: استعارة؛ كأنهم ورثوا موضع<sup>(١)</sup> من لم يدخل الجنة.

﴿نَبَّأُوا﴾ أي: نزل من الجنة حيث نشاء ونَتَّخَذَهُ مَسْكَنًا.

﴿حَافِيَتِ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي: مُحْدِقِينَ بِهِ، دائرين حوله.

﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمُ﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول.

ويحتمل هنا أن يكون للملائكة.

والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسب منازلهم.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك:

الملائكة.

أو جميع الخلق.

أو أهل الجنة؛ لقوله: ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[يونس: ١٠].

(١) في أ، هـ: «مواضع».

## ﴿ سورة المؤمن ﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ٣﴾ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ٤﴾ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوِجِ وَالْأَخْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِكَلِمَتِي عَلَيْكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦﴾ الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩﴾].

﴿حَمَّ ١﴾ تقدّم الكلام في حروف الهجاء<sup>(١)</sup>.

ويختص<sup>(٢)</sup> ﴿حَمَّ ١﴾ بأنها قيل : معناها : «حم الأمر»، أي قضي.

وقال ابن عباس : «ألر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن.

(١) انظر (١/٢٦١).

(٢) في ب، ج، د : «وتختص».



﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ذكر في «الزمر»<sup>(١)</sup>.

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي: ذي الفضل والإنعام.

وقيل: الطَّوْل: الغنى والسَّعة.

﴿فَلَا يَغْرُوكَ فَتْلُهُمْ فِي الْإِلَادِ﴾ جعل ﴿فَلَا يَغْرُوكَ﴾ بمعنى: لا يحزنك، ففيه تسليّة للنبي ﷺ، ووعدٌ للكفار.

﴿وَالْأَحْزَابِ﴾ يراد به: عاد وثمود وغيرهم.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا به الحق.

﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطفت على ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ﴾.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون بالله؟

فالجواب: أن ذلك إظهارٌ لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدةً أخرى وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق، لا بالرؤية<sup>(٢)</sup>.

وهذه نزعة<sup>(٣)</sup> إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله.

(١) انظر صفحة ٧٣٤.

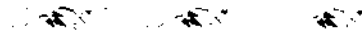
(٢) الكشاف (١٣/٤٦٤-٤٦٥).

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «نزعة» بالغين.

﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾ أصل الكلام: وسعت رحمته وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم، وإنما أُسندتا في اللفظ إلى الله تعالى؛ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء.

﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتُ﴾ يحتمل:

أن يكون المعنى: فيهم السيئات نفسها، بحيث لا يفعلونها.  
أو يكون المعنى: فيهم جزاء السيئات، فلا تؤاخذهم بها.



[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادُّوكَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُؤْبَانَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِمَا أَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَسَّلْتُمْ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٨﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَافِ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٢١﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِسَابٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٢٣﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٥﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادُّوكَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

المقت: البغض الذي يوجهه ذنب أو عيب.

وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي: مقت بعضهم بعضاً، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم.

فقوله: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ مصدر مضاف إلى الفاعل، وحذف المفعول لدلالة مفعول ﴿مَقَتِكُمْ﴾ عليه.

وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف، العامل فيه: ﴿مَقْتُ اللَّهِ﴾ من طريق

المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن ﴿مَقْتُ الله﴾ مصدر؛ فلا يجوز أن يُفصل بينه وبين بعض صلته، فيحتاج أن يقدر للظرف عامل، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى.

وقد جعل الزمخشري ﴿مَقْتُ الله﴾ عاملاً في الظرف، ولم يعتبر الفصل<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]:

فالموتة الأولى: عبارة عن كونهم عَدَمًا، أو كونهم في الأَصْلَاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية: الموت المعروف، والحياة الأولى: حياة الدنيا، والحياة الثانية: حياة البعث في القيامة.

وقيل: الحياة الأولى: حياة الدنيا، والثانية: الحياة في القبر، والموتة الأولى: الموت المعروف، والموتة الثانية: بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد؛ لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاثة مرات.

فإن قيل: كيف اتّصال<sup>(٢)</sup> قولهم: ﴿أَمْنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾ بما قبله؟ فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حينئذ؛ ليَرْضُوا الله بإقرارهم حينئذ، فقولهم: ﴿أَمْنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾ إقرار بالبعث على أكمل الوجوه؛ طمعاً منهم أن

(١) الكشاف (١٣/٤٧١).

(٢) في أ: «اتصل».

يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله ؛ إذ كانوا يُدعون إلى الإيمان فيكفرون .

﴿ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِكُمُ الْفَاءَ هُنَا رَابِطَةٌ مَعْنَاهَا التَّسْيِيبُ .

فإن قيل : كيف يكون قولهم : ﴿ أَمَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ ﴾ سبباً لاعترافهم بالذنوب ؟

فالجواب : أنهم كانوا كافرين بالبعث ، فلمَّا رأوا الإمامة والإحياء قد تكرَّرا عليهم علموا أن الله قادرٌ على البعث فاعترفوا بذنوبهم ، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي ، فإن من لا يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ الباء : سببية للتعليل .

والإشارة بـ ﴿ ذَلِكَكُمْ ﴾ تحتمل أن تكون :

إلى العذاب الذي هم فيه .

أو إلى مقت الله لهم .

أو مقتهم لأنفسهم .

والأحسن : أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام ، وذلك أنهم لما قالوا : ﴿ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ كأنهم قيل لهم : « لا سبيل إلى الخروج » ، فالإشارة بقوله : ﴿ ذَلِكَكُمْ ﴾ إلى عدم خروجهم من النار .

﴿ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ يعني : العلامات الدالة عليه ؛ من مخلوقاته ومعجزات رسله .

﴿ وَيُرْسِلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ يعني : المطر .

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى :

مرتفع الدرجات ، فيكون بمعنى العلي<sup>(١)</sup> .

أو رافع درجات عبادَه في الجنة<sup>(٢)</sup> وفي الدنيا .

﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ يعني : الوحي .

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريد :

الأمر الذي هو واحد الأمور .

أو الأمر بالخير .

فعلى الأول : تكون ﴿مِنْ﴾ للتبعيض ، أو لابتداء الغاية .

وعلى الثاني : تكون لابتداء الغاية ، أو بمعنى الباء .

﴿يَوْمَ النَّالِقِ﴾ يعني : يوم القيامة .

وسمّي بذلك ؛ لأن الخلائق يلتقون فيه .

وقيل : لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض .

وقيل : لأنه يلتقي الخلق<sup>(٣)</sup> مع ربهم .

والفاعل بـ ﴿لِيُنْذِرَ﴾ : ضمير يعود على ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ، أو على ﴿الرُّوحَ﴾ ،

أو على الله .

(١) في ب ، ج : «العلو» .

(٢) في ب : «الآخرة» .

(٣) في د ، ه زيادة : «فيه» .

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى ؛ تقريرًا للخلق يوم القيامة ؛ فيجيئونه ويقولون : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وقيل : بل هو الذي يجيب نفسه ؛ لأن الخلق يسكتون هيبة له .

وقيل : إن القائل ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ : ملك .

﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يعني : القيامة ، ومعناه : القريبة .

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ معناه : أن القلوب قد صعدت من الصدور<sup>(١)</sup> ؛ لشدة الخوف حتى بلغت إلى الحناجر ، فيحتمل أن يكون ذلك : حقيقة .

أو مجازًا عبر به عن شدة الخوف .

والحناجر : جمع حَنْجَرَةٍ ، وهي الحلق .

﴿كَظِيمٍ﴾ أي : محزونين حُزنًا شديدًا كقوله : ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

[يوسف : ٨٤] .

وقيل : معناه يكظمون حزنهم ؛ أي : يطمعون أن يخفوه ، والحال تغلبهم .

وانتصابه على الحال :

من أصحاب القلوب ؛ لأن معناه : قلوب الناس .

أو من المفعول في ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «الصدر» .

أو من ﴿الْقُلُوبِ﴾ ، وجمَعها جمع المذكر ؛ لما وصفها بالكُظم الذي هو من أفعال العقلاء .

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ﴾ أي : صديق مشفق .

﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون :

نفى الشفاعة وطاعة الشفيع .

أو نفى طاعة خاصة ، كقولك : «ما جاءني رجل صالح» فنفيَت الصلاح ، وإن كان قد جاءك رجل غير صالح .

والأول أحسن ؛ لأن الكفار ليس لهم مَنْ يشفع<sup>(١)</sup> فيهم .

﴿يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي : استراق النظر .

والخائنة :

مصدرٌ بمعنى الخيانة .

أو وصفت للنظرة .

وهذا الكلام متصل بما تقدّم من ذكر الله ، واعتّرض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله : ﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّارِ﴾ .



(١) في ب ، هـ : «مِن شَفِيعٍ» .



[أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاوٍ ۝٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢٢ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٢٧].

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات.

﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولاً قبل ميلاد موسى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتله.

ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِي﴾ أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى.

﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ يعني: فساد أحوالهم في الدنيا.

وقرئ ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ﴾:

بالواو فقط، وب﴿أَوْ﴾.

و﴿يُظْهِرُ﴾:

[أ-] بفتح الياء، ورفع ﴿الْفَسَادُ﴾ على الفاعلية.

[ب-] وبضم الياء، ونصب ﴿الْفَسَادَ﴾ على المفعولية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾ الآية؛ لما سمع موسى ما همَّ به فرعون من قتله، استعاذ بالله فعصمه الله منه.

وقال: ﴿مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره، وليكون فيه وصف لفرعون بذلك الوصف القبيح.

\*\*\*

[وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَحِمَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُضَيِّبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٣٨﴾ يَنْقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِلَهِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤١﴾ وَيَنْقُومُ إِلَهِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْعُمُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ بِلْ صَرِيحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٤٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٤٧﴾].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل : إن اسم هذا المؤمن حبيب .

وقيل : حَرْقِيل .

وقيل : شمعان بالشين المعجمة .

وروي أن هذا المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله : ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة للمؤمن .

وقيل: كان من بني إسرائيل، فقله: ﴿مَنْ أَلِ فِرْعَوْنَ﴾ على هذا يتعلّق بقوله: ﴿يَكْفُرُ إِيمَانُهُ﴾.

والأول أرجح؛ لأنه لا يُحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقله: ﴿فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء، بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام.

﴿أَنْ يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: أقتلونه من أجل أن يقول ربي الله.

﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: إن كان موسى كاذباً في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلا يسيء شيء تقتلونه؟.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ بعد أن كان قد آمن به؟ فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التّكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجة لقومه، فقسّم أمر موسى إلى قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجه من القسمين.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ قيل: إن ﴿بَعْضُ﴾ هنا بمعنى: «كل»، وذلك بعيد.

وإنما قال ﴿بَعْضُ﴾ ولم يقل «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما بعدهم؛ ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصّب لموسى، ويظهر النصيحة لقومه، فيرتجي إجابتهم للحق.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أولاً.

وقيل: هو موسى عليه السلام، وهذا بعيد، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أولاً غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه؛ إذ كان يكتُم إيمانه.

والجواب: أنه كتم إيمانه في أول الأمر، ثم صرح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة؛ لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضاً؛ أي ينادي أهل الجنة: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] وينادي أهل النار: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار.

وقيل: هارين من النار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب.

وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب.

والبيّنات التي جاء بها يوسف: لم تعين لنا.

واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؟؛ لأن كل من ملك مصر يقال له: «فرعون».

﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ كلام هذا لا يدل على أنهم مؤمنون

برسالة يوسف، وإنما مرادهم: لن يأتي أحد يدعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: إنما هو تكذيبٌ لرسالة من بعده مضمومٌ إلى تكذيب رسالته<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بدلٌ من ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: كلُّ مسرفٍ. ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾: مصدرٌ ﴿يُجَادِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: الفاعل ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿الْأَسْبَبَ﴾ هنا: الطريق.

وقيل: الأبواب.

وكررهما؛ للتفخيم وللبيان.

﴿فَأَطْلِعْ﴾ بالرفع: عطفٌ على ﴿أَنْبَلُغْ﴾.

وبالنصب: بإضمار «أَنْ» في جواب ﴿لَعَلَّيْ﴾؛ لأن الترجي غير واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول: إن «لعل» أشربت معنى «ليت» كما قال بعض النحاة.

(١) المحرر الوجيز (٤٤٢/٧).

(٢) الكشف (٥٠٩/١٣).

(٣) أي: كَبُرَ جدالهم مقْتًا. المحرر الوجيز (٤٤٢/٧).

(٤) الكشف (٥١٠/١٣).

﴿تَبَاب﴾ أي: خسران.

[﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٣١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَعْلَرِ ﴿٣٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لِيَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٣٣﴾﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٤﴾﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٣٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا فَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٣٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٤٠﴾﴾].

﴿مَتَّعٌ﴾ أي: يُتَمَتَّعُ به قليلاً.

فإن قيل: لم كرر المؤمن نداء قومه مراراً؟

فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم، وإظهار الملاطفة والنصيحة.

فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: ﴿وَيَقَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟

فالجواب: أن الثاني بيانٌ للأول وتفسير، فلم يصحَّ عطفه عليه، بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصَحَّ عطفه.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم، كأنه قال: «وأشرك به ما ليس بآله»، وإذا لم يكن إلهاً لم يصحَّ علمُ ربوبيته.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شك.

﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى: ليس له قدرٌ ولا حقٌّ يجب أن يُدعى إليه أحدٌ، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة<sup>(١)</sup>.

ويحتمل اللفظ أن يكون معناه: ليس له دعوة قائمة، أي: لا يُدعى أحدٌ<sup>(٢)</sup> إلى عبادته.

﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ دليلٌ على أن مَنْ فَوَّضَ أمره إلى الله ﷻ كان الله معه.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ﴿النَّارُ﴾ بدلٌ من ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾.

أو مبتدأ.

أو خبر مبتدإ مضمَر.

وَعَرَّضُهم عليها: من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدَّة البرزخ،

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٤٦).

(٢) في أ، ب، هـ: «يُدعى»، وفي ج: «يدعو».



بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر.

وروي أن أرواحهم في أجواف طير سود تروح بهم<sup>(١)</sup> وتعدو إلى النار.

﴿عُدُّوْا وَعَشِيَّاتٌ﴾ قيل: معناه: في كل غُدْوَةٍ وعَشِيَّةٍ من أيام الدنيا.

وقيل: المعنى: على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هَلَّا قال: «الذين في النار لخزنتها»؟ فلم صرَّ باسمها؟

فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلاً ليس في ذكر الضمير.

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلام خزنة جهنم، فيكون متصلاً بقولهم: ﴿فَادْعُوا﴾.

أو أن يكون من كلام الله تعالى استئنافاً.

(١) في ب، ج: «بها».

[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٨﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتْلَهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِسَلْفِيَةٍ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٦١﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٥﴾].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعام؛ لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكرياء ويحيى.

والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكره: أن زكرياء ويحيى لم يكونا من الرسل، وإنما كانا من الأنبياء الذي ليسوا بمرسلين، وإنما ضَمِنَ الله نصر الرسل خاصة، لا نصر الأنبياء كلهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني: يوم القيامة.

و﴿الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، أو شهيد.

ويَحْتَمِلُ أن يكون بمعنى:

الحضور.

أو الشهادة على الناس .

أو الشهادة في سبيل الله .

والأظهر : أنه بمعنى الشهادة على الناس ؛ لقوله : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء : ٤١] .

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ﴾ : يحتمل :

أنهم لا يعتذرون .

أو يعتذرون ، ولكن لا تنفعهم معذرتهم .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [المرسلات : ٣٦] فنفي الاعتذار والانتفاع به .

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني : وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه .

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قيل : العشي : صلاة العصر ، والإبكار : صلاة الصبح .

وقيل : العشي : بعد العصر إلى الغروب ، والإبكار : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني : كفار قريش .

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي : تكبرٌ وتعاضمٌ يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك .

وقيل : كِبْرُهُمْ : أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ، ورأوا أنهم أحقُّ بها .

والأول أظهر؛ لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسدٌ، والأول هو الكبرُ.  
﴿مَّا هُمْ بِلِغِيَّةٍ﴾ أي: لا يبلغون ما يقتضيه كبرُهم من الظهور عليك،  
أو من نيل النبوة.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: استعذ من شرهم؛ لأنهم أعداء لك.

أو استعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد.

أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ الخلق هنا: مصدر  
مضاف إلى المفعول.

والمراد بهذا<sup>(١)</sup>: الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات  
والأرض على كبرها قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها.

وقيل: المراد: توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خلق السموات  
والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم  
من أصغر مخلوقاته وأحقّهم؟

والأول أرجح؛ لوروده في مواضع من القرآن، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّ  
السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدّم الدليل، ثم ذكر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا: هو الطلب والرغبة،  
وهذا وعدٌ مقيّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له.

(١) في أ، هـ: «به».

وقيل: ﴿أَدْعُوْنِي﴾ هنا: بمعنى اعبدونني؛ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية<sup>(١)</sup>، و﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على هذا القول بمعنى: أغفر لكم وأعطيكم أجوركم.

والأول أظهر، ويكون قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ بمعنى: يستكبرون عن الرغبة إليّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرّعه إلى الله.

﴿ذَخِرِينَ﴾ أي: صاغرين.

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٢٤٤/١٠)، وابن ماجه (٣٨٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٣).

[اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَةَ لَنَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا اللَّهُ لَنُؤْتِي قُضِيَّةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي سَاعَةٍ وَلَٰكِنَّا لَا يُبْدِي السَّاعَةَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُفٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾].

﴿لَنَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في «يونس»<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: المستلذات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا متصل بما قبله، قال ذلك ابن عطية<sup>(٢)</sup> والزمخشري<sup>(٣)</sup>، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) انظر (٥٥٨/٢).

(٢) المحرر الوجيز (٤٥٤/٧).

(٣) الكشف (٥٤٠/١٣).

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ، ولذلك قال ابن عباس : من قال : « لا إله إلا الله » فليقل : « الحمد لله رب العالمين » .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿٢﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿٣﴾ اسْتِثْنَاءً .

﴿٤﴾ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴿٥﴾ أراد الجنس ، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة .

﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ﴿٧﴾ ذِكْرُ الْأَشَدِّ فِي سُورَةِ «يُوسُفَ» <sup>(١)</sup> ﴿٨﴾ .

واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره : ثم يبقاكم لتبلغوا .

وكذلك ﴿٩﴾ لَتَكُونُوا ﴿١٠﴾ .

وأما ﴿١١﴾ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى ﴿١٢﴾ فمتعلقٌ بمحذوف آخر تقديره : فعل ذلك بكم

لتبلغوا أجلاً مسمى ، وهو الموت ، أو يوم القيامة .



[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَاجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُصَرَّفُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾ أَذْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُهُمْ أَوْ نَوَفِّقُكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٨٨﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَاجِدُونَ﴾ يعني: كفار قريش.

وقيل: هم أهل الأهواء، كالقدرية وغيرهم، وهذا مردود بقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾، إلا إن جعلته منقطعاً مما قبله، وذلك بعيد.

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

وجعل الظرف الماضي موضع المستقبل؛ لتحقيق الأمر.

﴿يُسْحَبُونَ﴾ في ﴿الْحَمِيمِ﴾ أي: يُجْرُونَ، والحميم: الماء الشديد الحرارة.

﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هذا من قولك: سَجَرْتُ الشَّوْر: إذا ملأته بالنار،

فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار.

﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المَرَح، وهو الأشر والبطر.



وقيل: الفخر والخيلاء.

﴿فَيَسْ مَنَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: «بئس مدخل الكافرين»؛ لأنه تقدّم قوله: ﴿أَدْخُلُوا؟﴾.

فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء.

﴿فَكَمًا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل ﴿وَأَمَّا تُرِيدُكَ﴾: «إِنْ تُرِكَ»<sup>(١)</sup> ودخلت «ما» الزائدة بعد «إن» الشرطية.

وجواب الشرط محذوف، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرّت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشدّ الانتقام.

﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول»<sup>(٢)</sup>، وفي حديث آخر: «أربعة آلاف»<sup>(٣)</sup>، وفي حديث أبي ذر: «إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر»<sup>(٤)</sup>؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصّ عليه، ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه.

(١) في النسخ الخطية هكذا: «إِنْ تُرِيدُكَ» بإثبات الياء، والمثبت هو الصواب نحوياً، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٣/٥٤٧)؛ لأن الفعل مجزوم بأداة الشرط، وهو معتلّ فيحذف منه حرف العلة في حالة الجزم.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٦٨/٢٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٦٨/٢٠).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨).

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله: القيامة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عطية: المعنى: إذا أراد الله إرسال رسول قضى ذلك<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن يريد بأمر الله: إهلاك المكذبين للرسول لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ في الموضعين: يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان.



(١) الكشف (١٣/٥٥٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٥٨).

[﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ﴾ (٨٠) وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَتَ اللَّهُ إِلَيْنَا قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥)].

﴿الْأَنْعَمَ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز.

فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني: الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: اللحوم، والمنافع: اللبن والصوف وغير ذلك، ﴿وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني: قطع المسافات البعيدة، وَحَمَلِ الْأَنْفَالِ عَلَى الْإِبِلِ.

و﴿تَحْمِلُونَ﴾ يريد: الركوب عليها، وإنما كرّره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾؛ لأنه أراد بالركوب الأول: المتعارف في القرى والبلدان، وبالحمل عليها: الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>.

﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ هذا عمومٌ بعد ما قدّم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبّخهم بقوله: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾.

﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٥٩).

(٢) في ب، ج: «المذكورين».

وفي تفسير علمهم وجوه:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون.

والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل؛ أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذبهم.

وأما الضمير في: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجَّح<sup>(١)</sup> أن يكون الضمير في ﴿فَوَحُوا﴾ يعود عليهم؛ ليتسق الكلام.

﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ نُصِبَ على المصدرية.

(١) في د: «وذلك يرجح».



## فهرس الموضوعات

| الموضوع                    | الصفحة |
|----------------------------|--------|
| ﴿ سورة الكهف ﴾             | ٥      |
| ﴿ سورة مريم عليها السلام ﴾ | ٦٠     |
| ﴿ سورة طه ﴾                | ٩٠     |
| ﴿ سورة الأنبياء ﷺ ﴾        | ١٣٠    |
| ﴿ سورة الحج ﴾              | ١٧٥    |
| ﴿ سورة المؤمنين ﴾          | ٢٢٦    |
| ﴿ سورة النور ﴾             | ٢٦٢    |
| ﴿ سورة الفرقان ﴾           | ٣٢٣    |
| ﴿ سورة الشعراء ﴾           | ٣٥٥    |
| ﴿ سورة النمل ﴾             | ٣٨٧    |
| ﴿ سورة القصص ﴾             | ٤٢٢    |
| ﴿ سورة العنكبوت ﴾          | ٤٥٩    |
| ﴿ سورة الروم ﴾             | ٤٨٣    |
| ﴿ سورة لقمان ﴾             | ٥٠٣    |
| ﴿ سورة السجدة ﴾            | ٥١٤    |

|           |                  |
|-----------|------------------|
| ٥٢٣ ..... | ﴿ سورة الأحزاب ﴾ |
| ٥٧١ ..... | ﴿ سورة سبأ ﴾     |
| ٦٠١ ..... | ﴿ سورة فاطر ﴾    |
| ٦٢٥ ..... | ﴿ سورة يس ﴾      |
| ٦٥٣ ..... | ﴿ سورة الصافات ﴾ |
| ٦٩٤ ..... | ﴿ سورة داود ﷺ ﴾  |
| ٧٣٤ ..... | ﴿ سورة الزمر ﴾   |
| ٧٧١ ..... | ﴿ سورة المؤمن ﴾  |
| ٨٠١ ..... | فهرس الموضوعات   |

